التربية السياسية
في فكر
الإمام الفقيه المحدث الملا
علي بن سلطان محمد القاري
المتوفي سنة ١٠١٤هـ

د. محمد علي محمد المرصفي

التربية السياسية فى فكر الإمام الفقيه المحدث الملا
على بن سلطان محمد القاري

●●

المؤلف

أ.د. محمد على محمد المرصفى

●●



٢٨شارع عدنان المالكى . المنيا تليفون: ٠٨٦/٣٦٣٠٧٩

٣ب شارع السودان . المهندسين تليفون : ٠٢/٣٠٢٤٤٣١

٠١٠٦٦٨٣٩٩ . ٠١٢٣٥٠١٩٧٣

●●

التنفيذ الفنى

عفت إبراهيم

●●

تصميم الغلاف

كامل جرافيك

●●

المشرف العام

عادل متولى

●●

رقم الإيداع: ٣٢٨٥/ ٢٠٠٣

الترقيم الدولى: 977-6063-15-2

مطبعة أبلايد آرت جروب (ش.م.م)

د. محمد على محمد المرصفى
دكتوراه فلسفة فى التربية - جامعة ويلز - إنجلترا
وكيل كلية التربية - جامعة طنطا

التربية السياسية فى فكر

الإمام الفقيه المحدث الملا على بن سلطان محمد القارى المتوفى سنة ١٠١٤هـ

تحقيق ودراسة لمخطوطته
تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء

الناشر
دار فرحة للنشر والتوزيع

إهداء..

إلى رفيقة عمرى زوجتى فاطمة حفظها الله
إلى أبنائى الأعزاء.. خالد ووليد وعلى وفقهم الله وحفظهم
إلى بناتى وحبيباتى.. سهير وسحر قرة عينى
إليهم جميعا أهدى هذا العمل الجليل

دكتور/ محمد على المرصفى

٢٠٠٣/١/١

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم أ. د محمد على محمد المرصفى

المتغيرات التى يشهدها العالم عموماً، ويشهدها المجتمع الإسلامى على وجه الخصوص، تؤكد حتمية إعادة النظر فى كتب التراث، ليس لسردها وتحليلها فقط ولكن لإمعان النظر فيها، والتدقيق فى فكرها، للوصول إلى كلمة، لعل فيها حلاً لمشكلات هذا العصر، وإسهاماً فى مواجهة هذا التخبط فى الفكر.

والمتتبع لحركة الصراع الفكرى فى العصر الحديث يلمح أن أعداء الإسلام يرتدون ثيابا تبدو فيها البراءة، وتخفى بداخلها الحقد الأعمى للإسلام والمسلمين.

والحديث عن ذلك يطول، وليس هنا موضع مناقشته ولكن يبقى التدمير الواضح لكثير من القيم وانتشار الفساد وتفشى تيارات الخلاف بين المذاهب الفكرية والوضعية، والصراع داخل الفكر الإسلامى ولا شك أن أشد ما تعانيه أمة من الأمم هو استبداد اليأس بأهلها، وانتشار الإرهاب فى ربوعها، والفساد الفكرى بين علمائها، والتخبط فى الفتاوى والأحكام لأبناء أمتها.

هذا وإذا كان علماء الدين يتحملون المسئولية فى ترسيخ القيم الخلقية والروحية، فكيف بهم توارت أو - كادت - أدوارهم، وازورت أفكارهم وباتوا وأصبحوا وقد تخلوا عن دورهم الحقيقى وواجبهم الدينى. ولا يكفى أن تصل أمة - أى أمة - فى الاقتصاد إلى مداه وفى المال إلى نهايته فهذا هدف يخبو أمام القيم الخلقية والروحية

وتأصيل السلوك المستقيم الذى يحمى اقتصاد الأمم من الانهيار، ويصون مالها من التدمير. لكل ما سبق تأتى مخطوطة «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» تأتى جديدة ومتجددة، تحكى على مر الزمان أن تراث الأمة وإن كان يحفظ لها حضارتها، ويدعم لها ثقافتها متمثلاً فى جذورها المديدة عبر الزمان، فإن هناك من التراث ما يبقى يفعل فعله ويؤدى دوره فى حركة الحياة.

وهذا لعمرى يتوفر بصورة صادقة فى مخطوطة «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» والعلماء ورثة الأنبياء، والعمل هو الحد الفاصل بين العلماء العاملين وغير العاملين.

قال عليه السلام لأبى الدرداء «إذا ازددت عقلا ازددت من ربنا قربا» فقال: «بأبى أنت وأمى فكيف لى بذلك؟» فقال: «إجتنب محارم الله، وأدِّ فرائض الله، تكن عاقلاً واعمل بالصالحات من الأعمال، تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة، وتنل بها من ربك قربة وعزة» ابن المحبر.

وقال ابن المسيب: إن عُمر وأُبى بن كعب وأبا هريرة دخلو على رسول الله ﷺ فقالوا: «من أعبد الناس؟» فقال: «العاقل».

قالوا«فمن أ فضل الناس» قال: «العاقل» قالوا أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته، وجادت كفه، وعظمت منزلته؟».

فقال: ﴿وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾

الزخرف: آيه (٣٥)

«إن العاقل هو المتقى ولو كان فى الدنيا خسيساً دنياً» ابن محبر

هذا وإذا كان النفاق صفة مرزولة للناس ككل، فإنه من العلماء يكون أشد وأنكى؟ لأنه يصدر من علماء الدين ورجالات العلم وفقهائه.

ويبقى أن صلاح الأمم ينبع من صلاح العلماء، فكلما تمسك العلماء بمبادىء العقيدة وكانوا قدوة صالحة كلما انتظم المجتمع، وكلما تحقق الرضا والعدل الاجتماعى، وتماسكت فئات المجتمع بأسره.

هذا وتأتى الطبعة ا لثانية لتلك المخطوطة مزيدة ومنقحة، خصوصاً وأنها روجعت فى طبعتها الجديدة من: «لجنة مراجعة كتب التراث» بمجمع البحوث الإسلامية وتم نسخ الآيات القرآنية من المصحف مباشرة كما تم استكمال الأجزاء التى كانت قد استبعدت فى الطبعة الأولى حيث أنها تمت وفقاً لقواعد النشر لسلسلة: «قضايا تربوية» والتى تلتزم بما لا يتجاوز ٢٢٠ صفحة.

من هنا فالطبعة الجديدة تأتى مزيدة ومنقحة..

والله أسأل أن ينفع بها وأن يهدينا سواء السبيل وأن يجنبنا النفاق أنه سميع مجيب.

أ.د/ محمد على المرصفى

القاهرة ٢٨ شوال ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣/١/١

تقديم الطبعة الأولى

بقلم الدكتور/ سعيد إسماعيل على

إذا كان (المال) يقف فى مقدمة الإغراءات التى يسيل لها لعاب الإنسان ويقاتل فى سبيل الحصول عليها، حيث ينظر إليه على أنه الطريق إلى تحقيق معظم ما يريد مما يباع ويشترى، فإن (السلطة) تتفوق على (المال) لأنها تستطيع أن تأتى به، وتستطيع أن تمنعه عن الغير وتستولى عليه. والمال صورة من صور القوة، لكنه لا يستغرقها كلها. و(السلطة) تعبير عن القوة، وهى تتدرج فيما تحمله من (قوة) بمقدار ما يكون فى يدها من صلاحيات تشريعية، لذلك ارتبطت دائماً بالحكم والجهاز الحاكم. لكن هناك صوراً أخرى من (القوة) لا تستند إلى سلطة تشريع وحكم، ومع ذلك فلربما فاقت الكثير من مراكز السلطة، والتاريخ يحفظ لنا أمثلة كثيرة عن دور نساء جميلات استطعن أن يشكلن مراكز تأثير على حكام، وخاصة فى نظم الحكم التى تقوم على الإدارة الفردية.

ونستطيع أن نؤكد هناك بغير مغالاة أن (العلم) هو أيضاً يشكل (قوة) تجعل منه (سلطة) رفيعة المستوى، لكن المشكلة الكؤود التى تقف أمام هذه الصورة من صور السلطة، أنها تفتقد إلى سلاحين هامين: أولهما المال، وثانيهما: الصلاحيات القانونية، مما يجعل حامل العلم فى بعض الأحيان يحترق شوقاً إلى هذين السلاحين. وفى كثير من الأحيان، نجد (الحاكم) - وسبحان الله - يفتقد صور (العلم)

أكثر من صور القوة تقديراً واحتراماً، على الرغم من أنه يضع يده على الصورتين الأخريين: المال والتشريع؛ من هنا يحرص نفر من الحكام على أن يقربوا إليهم نفراً من العلماء، ربما ليستنيروا بالفعل بجهودهم ويستعينوا بآرائهم، وربما لمجرد (التزين) واستكمال الصورة، كمثل ذلك التاجر الذى يروى عنه فى التاريخ الإسلامى من أنه ذهب إلى السوق فوجد واحداً يرغب فى شراء كتاب فعرض التاجر ثمنا أعلى وأخذ يزايد حتى وصل إلى ثمن أعجز الآخر، فلما سأله: لماذا هذا الإلحاح على شراء ذلك الكتاب بالذات؟ أجاب بأن له مكتبة فى منزله بها مكان خال، وهذا الكتاب بحجمه، هو المناسب لشغل الفراغ رغم أنه لا يقرأ ولا يكتب، وكان ذلك فى عصر كان العلم فيه قيمة من القيم العليا، فأصبح (التعليم) هدفا من الأهداف الكبرى لكثير من الناس وخاصة أصحاب المال الذين افتقدوا العلم.

وهكذا شاهدنا سعى حكام إلى تقريب العلماء، وشاهدنا فى الوقت نفسه سعياً من عدد من العلماء ليتقربوا إلى الحكام.. كل يريد أن يحصل على ما يفتقده ليستكمل صور (القوة).

وإذا كان المنطق النظرى قد يبرر هذا التقريب حتى تقوم أعمال الحاكم على آراء وأفكار العلماء ولا تكون نتيجة تفكير قاصر أو نزوة وهوى، وكذلك إتاحة الفرصة للعلماء أن يطبقوا ما يفكرون فيه وما يصلون إليه من آراء ويوفروا لها الدعم المالى والمساندة التشريعية، إلا أن هناك منطقا آخر هو المنطق العلمى الذى يكشف عن عشرات من الثغرات والأخطاء القاتلة التى يمكن أن يفرزها الإرتباط بين السلطة والعالم فالجمهرة الكبرى من أصحاب السلطان لا تتفتح آذانهم إلا لما يحبون أن يسمعوه، وتزور - غالباً - عن سماع ما يجب أن يسمعوه، بحيث يتحول دور العالم إلى دور المبرر والمحلل. وهناك علماء، عندما يشعرون بذلك، يحكمهم منطق (المسايرة)، فيبررون ويحللون ويرتكبون بذلك جريمة كبرى، ذلك لأنهم يوفرون للحاكم (غطاء علمياً) لما يفعلون فتكتسب أعمالهم قوة وشرعية. هذا بطبيعة الحال عندما تكون هذه الأعمال فى غير صالح الأمة.

كذلك فإن القـرب من أصـحاب السلطان يشـعـر العـالم بأنه قـد أصبح جـزءاً من الجهاز الحاكم مما يقتضى أن يتخذ موقف الدفاع عما يأتيه هذا الجهاز حتى ولو كان خطأ، مستخدما فى ذلك مهاراته الفكرية وأسانيده العلمية وبراهينه المنطقية، خاصـة وأن استمرار المعية فى مناخ الاسترخاء الاقتـصادى بالقـرب من السلطة، والرفاهية وعلو المركز، تؤدى فى كثير من الأحيان إلى الانفصال الشبكى بين العالم وبين حركة الواقع بمشكلاتها وتموجاتها ونبضها.

من هنا حـذر بعض العلمـاء من أن يعملوا من أصـحـاب ا لسلطان، من هؤلاء، الفقيه النابه (على القارى) الذى ألف كتاباً مخصوصاً عن أهمية (تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء) مشيراً إلى أهمية وضرورة (البعد) عن مواقع السلطة والحكم.

ولعـمـرى، فـإن مـوضـوع هـذا الكتـاب، على الرغم من مـرور الزمن الطويل على تأليفه، يكاد أن يكون - كما يقال - قضية الساعة، والتى اصطلح على تسميتها حاليا بقضية العلاقة بين المثقف والسلطة.

ولا شك أن إخراج الكتاب من صورته (الخطية) إلى هذه الصورة المنشورة المحققة التى بين يدى القـارىء يعـد جـهـداًعلمـيـاً عـالى المسـتـوى، وخطوة علمـيـة من تلك الخطوات التى تتـرك بصـمـة واضحـة على طريق البـحث قـام بهـا د. محـمـد على المرصفى باقتدار لا يسعنا معه إلا أن نهنئه ونشد على يده تقديراً وإعتزازاً.

تبقى بعد ذلك قضية هامة؛ ربما يرى البعض أنه ليس من الجـائز أن نثيرها فى هذا المكان، لكنى استسمح القارىء فى أن أشغله بها لأننى حين أكتب، تلح على ذهنى دائماً مسئولية (التـاريخ)، فمثل هذه القضية إن لم أثرها هنـا، فلن يجد لها أحد مظهراً وثائقياً يمكنه أن يضمه إلى وقائع تاريخ الفكر التربوى فى وطننا العربى.

فإذا كان موضوع هذا الكتـاب، كمـا أشرنا هو عن عـلاقة المثقف بالسلطة، فهل يدخل فى مـجـالات أصـول التـربيـة؟ إن القـارىء بالطبع لا يهـمـه كـثـيـراً مـثل هذا التـصنيف الذى يهـمنا نحن البـاحـثين: هل يقع فى دائرة (المناهج) أم (المقـارنة) أم

(أصول التربية) أم فى مجال آخر غير تربوى.. وهكذا؟ كل ما يهم القارىء هو: هل هو موضوع جدير بالقراءة أم لا؟

ومع ذلك فإن تعرف القارىء على (هوية المجال) الذى تنتمى إليه الدراسة، هام فى عمليات (الفهم) و(التفسير) وإدراك المعانى والدلالات.

أما الرأى الذى أذهب إليه، فهو أن هذه الدراسة تقع فى عقر دائرة الدراسات الأصولية التربوية من زاويتين:

الزاوية الأولى: إنها جهد من الجهود العلمية التى تدخل فى باب (التربية الإسلامية) لأنها عمل عالم مسلم قام به فى العصور الإسلامية وانطلق من منطلق أصولى دينى وهو الاستناد إلى القرآن الكريم والسنة النبوية فعالج موضوعات تتصل بالعلم وطلبه وأهله وتقديرهم وشروط توظيفه واستخدامه، وما إلى هذا وذاك من المبادىء والأسس والفلسفة والأهداف، من مجالات دراسة أصول التربية.

الزاوية الثانية، هى إن الدراسة، إذ تتناول علاقة المفكرين بالحكام، فإنما تتصدى لقضية مجتمعية كبرى تتعلق بوظيفة المثقف ودور الثقافة فى المجتمع، وما الشروط الصحية التى يجب أن تحكم العلاقة بين المفكر والحاكم.

وأرجو ألا أصدم القارئ إذا همست فى أذنه: هل تصدق أن هناك من قال بأن هذه الدراسة لا تدخل فى أصول التربية؟

أعلم علم اليقين أن الحديث عن النفس مرذول، لكننى مضطر إلى هذا عندما أقول للقارىء إن كاتب هذه السطور، إذ صنف هذه الدراسة فى دراسات أصول التربية، إنما أستند لا إلى (موقع وظيفى) فقط، وإنما - كذلك - إلى (تاريخ علمى)، فكاتب هذه السطور درس الفلسفة بفروعها المختلفة: يونانية، وإسلامية ومسيحية وغربية ،وشرقية وتصوف وعلم الكلام، وعلوم النفس المتعددة، وعلم الاجتماع منذ انتهائه من الثانوية العامة فى النصف الأول من الخمسينات، وكل هذه الدراسة التى تشكل المصادر الحقيقية لأصول التربية، ثم توجت هذه المسيرة برسالة ماجستير فى فلسفة التربية ورسالة دكتوراه عن الفكر التربوى العربى.

ولأن الكتاب العلمى ساحة فكر وميدان علم، لا يتسع لغير الفكر ولغير العلم فلا أريد أن أذهب إلى ما هو أكثر من هذا. ولا أستطيع إلا أن أؤكد مرة أخرى أن القارىء الذى سيقرأ فعلا كل سطور الكتاب، سيلمس مقدار الجهد الذى بذله المحقق الدكتور محمد على المرصفى فى قراءة المخطوط، وفى تحقيقه والتعليق عليه وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومختلف التواريخ والشخصيات، فضلاً عن الشرح والتحليل، كما لابد لى أن أؤكد للمحقق نفسه: أنك خطوت خطوة لم يسبقك إليها باحث من باحثى أصول التربية فى مصر، فجزاك الله عنا خير الجزاء: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

صدق الله العظيم

(سورة المائدة: آيات ٤٩ ـ ٥٠)

■■■

الدراسة

مقدمة الدراسة

تحتل التربية الإسلامية فى الظروف الراهنة مكانة متميزة، حيث بدأت الساحة التربوية تحظى باجتهادات الكثير من المتخصصين، الأمر الذى أثرى - إلى حد ما - المكتبة العربية والإسلامية بالفكر التربوى من منظور إسلامى.

وليس هنا مجال التقييم لطبيعة هذه الأبحاث فى مجال التربية الإسلامية، من حيث توجهاتها وفلسفتها، وأهدافها ومكانتها العلمية، إلا أنه تجدر الإشارة أن المكتبة التربوية الإسلامية تخلو - على حد علم الباحث - من دراسة الفكر التربوى الإسلامى فى منظور تحقيق المخطوطات.

هذا وإذا كانت التربية الإسلامية فى حد ذاتها، تستوجب إحاطة بالمنهج الاستنباطى الذى يساعد على استنتاج الفكر التربوى فى النصوص سواء القرآنية منها أو السنة النبوية، إضافة إلى الإحاطة بعلوم القرآن الكريم وعلوم الحديث والتاريخ الإسلامى وأصول الفقه، إذا كان ذلك كذلك فإن الدراسة للآراء التربوية من خلال تحقيق المخطوطات تستوجب بالإضافة إلى ما سبق الأمانة والصبر، والتمرس بقراءة المخطوطات وتخريج الآيات والأحاديث، وترجمة الأعلام، والضبط للكلمات المحرفة والمصحفة، والتبويب للمخطوطة، والربط بين أفكارها بعناوين تعبر عما ورد بها.

هذا ولا يفوتنا أن نؤكد أن التحقيق يستوجب أيضا الحنكة فى اللغة، وحبكة السياق، وتناسق العبارات... إلخ.

والباحث وهو يقدم لتحقيق هذه المخطوطة يود أن يشير إلى أن كشف الفكر التربوى من خلال تحقيق المخطوطات، يثرى المكتبة التربوية الإسلامية، ويفيد فى تنويع الإنتاج العلمى من منظور إسلامى، خصوصاً وأن هذا الاتجاه يأتى نزولا على رغبة استاذ لى فى التربية، له من طول الباع وعلو الهمة فى مجال التربية عموما، والتربية الإسلامية على وجه الخصوص الكثير، بل وإليه تعزى باكورة أول إنتاج علمى فى مجال التربية الإسلامية، والذى تتالت بعده الأقلام باحثة ومنقبة كل على طريقته، أقول إن تحقيقى لتلك المخطوطة جاء استجابة لإشارة وإلماحة من أستاذى الفاضل المربى القدير الأستاذ الدكتور سعيد إسماعيل على ـ حفظه الله ـ حينما جمعتنا به جلسة علمية تطرقنا فيها إلى الحديث عن حال التربية عموما والتربية الإسلامية على وجه الخصوص، فكان أن أشار سيادته بأهمية التوجه نحو التحقيق، وكشف النقاب عن الفكر التربوى الإسلامى المطمور، والذى يحتاج إلى الجهد الكثير. فكان أن استخرت الله رب العالمين، وشمرت عن ساعد الجد، ولا أدعى أننى وجدت المجال أمامى سهلا أو ميسورا، ذلك أن ميدان التحقيق، عالم بذاته، والبحث عن المخطوطات يحتاج إلى الكثير من الجهد إداريا (الجهات المسئولة) وفنيا (سهولة التصوير وخلافه).

وعلى وجه العموم فلا أخالنى فى حاجة إلى الإشارة حول صعوبة التحقيق، أو التهويل من أمره، إنما كل عمل يدل على نفسه بآثاره، وحسبى ـ والله أعلم ـ أن أقول إن المخطوطة التى نحن بصدد تحقيقها استغرقت وقتا وجهدا كبيرين، خصوصا فى عملية ضبط وتدقيق بعض كلماتها المحرفة والمصحفة وتخريج آيات القرآن والأحاديث والترجمة للأعلام.. إلخ.

وحسبى فى هذا العمل أنه باكورة أرجو الله تعالى أن تكون علامة على الطريق، ولبنة فى بناء وبداية يتلوها جهد المخلصين من متخصصى التربية عموما والتربية الإسلامية على وجه الخصوص.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من اشتمال هذه المخطوطة «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» اشتمالها عن الكثير من الآراء التربوية التى تدور حول:

العلم وفضله.

أقسام العلوم.

التربية الخلقية.

التربية العقلية.

التربية السياسية.

وقد جاءت هذه الآراء غاية فى الدقة، خصوصا وأنها تتوافق فى كثير مما جاء بها مع ما يعانيه العلماء فى هذا العصر، من غربة، سواء غربة ذاتية أو غربة مكانية. هذا إضافة إلى أن تلك الآراء التربوية تلتقى فى كثير منها مع ظروف المجتمع المعاصر، كما أنها أبعد ما تكون أن يتصف بها عالم حصيف أو مفكر لبيب. ويكفى ما نشهده فى الآونة الأخيرة من صفات النفاق وتملق الحكام استجداء لمال أو استمطارًا لمكانة أو منزلة اجتماعية.

الهدف من الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

إبراز الآراء التربوية للعلامة على بن سلطان محمد القارى الحنفى المكى (..........- ١٠١٤هـ) من خلال تحقيق مخطوطته: «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء».

الاستفادة من إيجابيات تلك الآراء التربوية فى حياتنا المعاصرة كلما أمكن ذلك.

الكشف عن أهمية التحقيق فى إثراء الفكر التربوى من المنظور الإسلامى.

التساؤلات التى ستجيب عنها الدراسة

لا شك أننا محاصرون فى الآونة الأخيرة بهجمة شرسة، مفادها أن المنهج السلفى غير جدير بمواكبة الحياة المعاصرة، ولما كانت طبيعة التاريخ تؤكد أنه لن يكتب لأمة من الأمم الشخصية المتميزة والقدرة على مواكبة التقدم والرقى إلا بالعودة إلى الذات قبل كل شىء، ولما كان أحد طرق العودة إلى الذات تكمن فى الكشف عن الفكر التربوى الإسلامى لمفكرين مسلمين، وبعث آرائهم المطمورة فى بطون المخطوطات والمراجع، والتى استندت فى الكثير منها إلى الكتاب والسنة والتاريخ الإسلامى، لما كان الحال كذلك فقد نشأت الحاجة إلى دراسة الآراء التربوية لهؤلاء المفكرين من خلال مخطوطاتهم. ولعل هذا التوجه يسهم ـ على معنى من المعانى ـ بل وقد يغنى عن استيراد الفكر التربوى من بيئات غير إسلامية.

فى ضوء ما تقدم يمكن صياغة تساؤلات الدراسة على الوجه التالى:

ما المقومات التى أثرت فى الآراء التربوية للعلامة على بن سلطان محمد القارى وانعكست فى فكره التربوى من خلال مخطوطته: «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء».

ما آراؤه حول التربية العقلية.

ما نظرته حول التربية السياسية.

ما رأيه فى التربية الخلقية والروحية.

ما مفهومه حول العلم وفضله وأقسامه.

ما آداب المعلم وما العلاقة بينه وبين المتعلم.

حدود الدراسة

تقتصر الدراسة على:

ـ مناقشة الآراء التربوية للعلامة: على بن سلطان محمد القارى من خلال مخطوطته: تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء».

- التعليق والربط بالواقع المعاصر كما أمكن ذلك.

- الالتزام بمنهج التحقيق لنصوص المخطوطة من جميع الوجوه.

منهج الدراسة

ستستخدم الدراسة

- المنهج التاريخى فيما يرتبط بالمقومات التى أثرت فى الفكر والآراء التربوية للعلامة على بن سلطان محمد القارى.

- المنهج المستخدم فى تحقيق المخطوطات والنصوص، حتى يتسنى تحقيق المخطوطة التى بين أيدينا «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء».

الدراسات السابقة

الدراسة الأولى:

دراسة عبدالله على الملا، بعنوان: «كتاب ردُّ النصوص» المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود للإمام الفقيه الملا على بن سلطان محمد القارى المتوفى سنة ١٠١٤هـ. وتحقيق.(١)

موضوع الدراسة

تقع الدراسة فى جزئين:

يتناول الجزء الأول دراسة لكتاب «رد النصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود». والكتاب ينسب لمؤلفه: على بن سلطان محمد القارى الذى رد به على: محى الدين بن عربى فى كتابه «نصوص الحكم»(٢) والذى ادعى فيه: وحدة الوجود.

---

(١) عبد الله على الملا. «كتاب رد النصوص المسمى مرتبه الوجود ومنزلة الشهود للإمام الفقيه المحدث الملا على بن سلطان محمد القارى المتوفى سنة ١٠١٤هـ دراسة وتحقيق» رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة أم القرى بمكة المكرمة كلية الدعوة وأصول الدين. قسم العقيدة ١٤٠٩هـ.

(٢) هكذا سماه محيى الدين بن عربى حيث أنه قسم الكتاب إلى نصوص بدلا من أن يقسمه إلى فصول.

كما تناول الجزء الأول من الدراسة أيضا الرد على محى الدين بن عربى من زاويتين:

الأولى: إبطال دعوى وحدة الوجود وذلك من خلال رأى العلامة على بن سلطان محمد القارى وما تناوله فى كتابه «رد النصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود». هذا وتقوم قضية وحدة الوجود عند محى الدين بن عربى على أن العالم كله واحد: لا أنا ولا أنت، فما نحن إلا مظاهر للواحد «وحدة الوجود» بل «والأنبياء كلهم واحد من لدن آدم إلى محمد ﷺ».

وقد بنى رأيه هذا على أساس أن: «الوجود كله واحد وإنما الاختلاف فى المشخصات» وفقا لنظرية الصيرورة فى الماء، فالماء يصير ثلجا ثم يصير مائعا ثم يصير بخارا والأساس واحد وهو الماء.

وقد بلغ التطرف مداه عند محى الدين بن عربى حينما يقول: أنت الله والله أنت، فالعابد والمعبود واحد والمعذِّب والمعذب واحد. وأكثر من هذا تطرفا فإنه يقول: «بوحدة الأديان فعبدة الأصنام كلهم ناجون».

وقد استطاع الباحث فى دراسته أن يكشف بطلان دعوى ابن عربى مستندا فى ذلك إلى الآراء الدقيقة التى أوردها العلامة: على بن سلطان محمد القارى فى كتابه سالف الذكر.

الثانية: أما الزاوية الثانية والتى تناولتها الدراسة فى جزئها الأول فقد قام الباحث بالرد على من ادعى أن محى الدين بن عربى لم يقل بوحدة الوجود.

وقد فند الباحث آراء هذا الفريق وأبطل دعواه، خصوصا وأن هذا الفريق أنزل ابن عربى منزلة كبيرة حيث اعتبره رائدا من رواد الفكر الإسلامى، وأنه لم يقل بوحدة الوجود. وهذا الرأى يقول به فلاسفة المتصوفين، أو من يغترون باسم محى الدين بن عربى من عوام المتصوفة.

وقد جاء خطأ هؤلاء من جهتين: أولهما ما ورد من بعض الألفاظ والجمل التى رددها محى الدين بن عربى وبخاصة فى الفتوحات المكية، حينما تحدث عن:

العابد والمعبود والمخلوق والخالق.

وثانيهما يعتمد على سوء قصد، وهو أنهم يقولون بوحدة الوجود ويريدون أن يموهوا الأمر ليضللوا الرأى العام للمسلمين.

وأياما كان الأمر فقد تمكنت الدراسة فى الجزء الأول أن تبطل زعم محى الدين ابن عربى الذى يقول فيه بوحدة الوجود وأن تثبت أن وحدة الوجود تخالف الإسلام بل وتخالف كل الأديان السماوية مخالفة واضحة، وأنه يستحيل الالتقاء بين الأديان جميعها ووحدة الوجود.

أما الجزء الثانى من الدراسة: فيتناول تحقيق كتاب: «رد النصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود» للعلامة على بن سلطان محمد القارى.

وقد قام الباحث فى هذا الجزء بمقارنة النسخ وضبط الجمل والتعليق والتهميش عليها بما يضمن سلامة النص ويخرجه فى قالب علمى صحيح.

المنهج المستخدم فى تلك الدراسة:

اعتمد الباحث على استخدام:

المنهج التاريخى فيما يرتبط بوصف الظروف السياسية والدينية والاجتماعية التى واكبت عصر العلامة على بن سلطان محمد القارى.

المنهج المتبع فى تحقيق المخطوطات والنصوص، ليصل إلى تحقيق:

«كتاب رد النصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود» للعلامة على القارى.

أهم النتاج التى توصلت إليها الدراسة:

- تحقيق كتاب «رد النصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود». لعلى بن سلطان محمد القارى.
- إثبات أن محى الدين بن عربى يقول بوحدة الوجود مهما بدا عنده مما قد يفيد خلاف ذلك.

● الرد على مزاعم من يتوهمون من المتصوفة أن ابن عربى لم يقل بوحدة الوجود.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الباحث قد استفاد من تلك الدراسة خصوصا فيما يرتبط بالمقومات السياسية فى عصر على بن سلطان محمد القارى وأيضا الترجمة له.

الدراسة الثانية:

دراسة أحمد عبدالرازق الكبيسى بعنوان: «فصول مهمة فى حصول المتمة» تحقيق ودراسة.(١)

موضوع الدراسة:

تناولت الدراسة فى جزئها الأول بيان أهمية الصلاة ومكانتها، ومميزات الرسالة محل التحقيق، ولمحة عن المؤلف ونسبة الكتاب إليه والتحقيق من اسم الكتاب والتعريف بالنسخ المخطوطة ووصفها ومصادر المؤلف.

أما الجزء الثانى من الدراسة فقد تضمن التحقيق لنصوص الكتاب، مشتملا على حكم الاعتدال والطمأنينة فى الصلاة مع تفصيل آراء العلماء وأدلتهم ووجوب متابعة الإمام ومعرفة آداب السجود وهيئته.

وعلى وجه العموم فقد تناولت موضوعات النص خمس فصول:

الفصل الأول: يعالج مرض الاعتدال والطمأنينة فى الصلاة.

الفصل الثانى: يعالج أهمية متابعة الإمام وخطورة مسابقته.

الفصل الثالث: يعالج ما يقع فيه كثير من الناس من مرض التفريط فى صفة السجود وهيئته وآدابه.

---

(١) أحمد عبد الرازق الكبيسى: «فصول مهمة فى حصول المتمة» للإمام العلامة على بن سلطان القارى المكى، المتوفى سنة ١٠١٤هـ، تحقيق، مطابع الصفا بمكة ١٤٠٩/١٩٨٩م.

الفصل الرابع: يعالج ما يقع فيه بعض الناس من مرض مسابقة الإمام فى السلام.

الفصل الخامس: يعالج المرض العضال وهو: تحسين الظاهر بإصلاح الطاعات وتخبيث الباطن بمراعاة المراءآة وهو المرض المهلك الذى يفنى ويهلك.

المنهج المستخدم فى الدراسة:

لم ينص الباحث فى دراسته على المنهج المستخدم إلا أننا استنتجنا أنه استخدم فى دراسته منهج التحقيق ليصل من ورائه إلى تحقيق كتاب: «فصول مهمة فى حصول المتمة» لعلى بن سلطان محمد القارى.

أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة:

لم يحدد الباحث فى دراسته نتائج بعينها إلا أننا نستطيع أن نؤكد أنه بإخراجه هذا الكتاب على صورته التى تمت يعتبر فى حد ذاته انتاجا ثريا وإبرازاً لقضية معاصرة يقع فيها كثير من المسلمين خصوصا ممن يتظاهرون ويراءون بصلاتهم والله سبحانه يقول الحق وهو يهدى السبيل.

هذا ولا ندعى أننا استفدنا كثيرا من تلك الدراسة، خصوصا أنها خلت من الحديث عن جانب مهم من حياة على القارى وعمره وهو الجانب السياسى سواء فى هراة أو فى مكة المكرمة. وعموماً فلا أخالنى فى حاجة أن أنوه أننا بشكل أو بآخر استفدنا من تلك الدراسة على الأقل على أنها عمل له أصوله ومنهجه.

الصعوبات التى واجهت الباحث:

من منطلق أن المحقق لابد أن يتصف بسمات منها:

الإشفاق والحذر وليس الجرأة فى غير دقة.

الأمانة والصبر والمثابرة.

اليقظة العلمية.

بذل الجهد فى سخاء.

من هذا المنطلق لم يدخر الباحث جهدا، فى سبيل البحث والتفتيش فى المكتبات الكبرى، من أجل الحصول على نص مخطوطى يكون مناسبا للدراسة والتحقيق، ويتحقق من خلاله الفائدة التربوية ـ كلما أمكن ذلك ـ خصوصا فى ظروفنا الراهنة. وبتوفيق من الله تعالى اهتدى الباحث بعد جهد جهيد إلى هذه المخطوطة التى نحن بصدد تحقيقها:

«تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» للعلامة على بن سلطان محمد القارى. وكان ذلك بالمكتبة الأحمدية بمسجد سيدى أحمد البدوى بطنطا.

هذا وقد قام الباحث بقراءة المخطوطة قراءة أولية، ما وسعه الجهد فى فك الكثير من ألفاظها، التى لم تكن يسيرة القراءة. ولما شعر الباحث بأهمية ما احتوته المخطوطة من آراء وأفكار تربوية، استخار الله تعالى أن يعزم على تحقيقها.

ولكن الأمر لم يكن ميسرا، وكان لابد من استئذان الجهات الرسمية بوزارة الأوقاف بالقاهرة، الأمر الذى استغرق وقتا وجهدا ورجاء إلى درجة لا توصف ولما سنحت الفرصة بالإذن فى تصوير المخطوطة، كان على الباحث أن يفتش على نسخ أخرى، ورغم أن الباحث قد أعياه الجهد فى دور المخطوطات بالقاهرة ومنها:

الهيئة العامة للكتاب (دار الكتب سابقا).

مكتبة الجامع الأزهر.

دار المخطوطات بالقاهرة.

مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

مكتبة الملك عبدالعزيز بجدة.

المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة.

مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

ومع ذلك لم يهتد الباحث إلى نسخة مماثلة لتلك المخطوطة، اللهم عدا رسائل ومخطوطات أخرى لنفس المؤلف.

ورب سائل يقول: إذن فلماذا الإصرار على تلك المخطوطة؟

وجوابنا أننا بفضل من الله اهتدينا إلى ثلاثة كتب، عثرنا بها على كمٍ لا بأس به من نصوص المخطوطة التى بين أيدينا، ولما كانت منهجية التحقيق تجيز الرجوع إلى «طائفة منسوبة من نصوص الكتاب مضمنة في كتاب آخر»[1] فقد يسر الله للباحث هذا المنهج من خلال ثلاثة كتب:

إحياء علوم الدين للغزالى.

منهج البلاغة لعلى بن أبى طالب.

العقد الفريد لأبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى.

هذا إضافة إلى ما تميزت به تلك المخطوطة من:

الاستناد إلى الكتاب والسنة فى الاستدلال.

التحدث عن التزام العالم وتعففه.

الإشادة بالعلم والعلماء.

الحديث عن العقل ووظيفته.

التحدث عن الآفات التى يتسم بها بعض العلماء ومنها النفاق والتملق للحكام.

التحدث عن الورع والتقوى وأثرهما فى تربية النفس.

التحدث عن السمو الروحى والارتفاع فوق الشبهات.

لكل ما سبق، وكثير غيره، ونظرا لأننا نعيش الآن فترة نكاد أن نقول عنها: «ما أشبه الليلة بالبارحة»، فقد آثر الباحث أن يخرج هذا النص ليرى النور، لعل فيه عظة وعبرة لأولى الألباب. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2] وحسبى فى هذا الجهد أن أكون قد أرضيت ضميرى، وأوصلت كلمتى من

---

(١) عبد السلام هارون. تحقيق النصوص ونشرها. مؤسسة الحلبى للنشر والتوزيع . ط٢، القاهرة. (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ص٤٠.

(٢) سورة ق، آية (٣٧).

خلال تلك المخطوطة فى وقت عزت فيه الكلمة على النشر، وجف القلم أمام انفراد الذئب بفريسته.

وهكذا يعيش العالم غريبا فى داخله وفى ذاته، كما يعيش غريبا عن مجتمعه، وربما غريبا بجسمه وعقله، فيهجر وطنه، وهذا هو بعينه نزيف العقول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

■■■

المقومات التى أثرت فى فكر على بن سلطان محمد القارى:

مولــــده:

لا يوجد على وجه التحديد تاريخ دقيق لميلاد الملا على بن سلطان محمد القارى سواء فى الكتب والمخطوطات التى كتبها، أو فيما كتبه عنه طلابه اللهم فيما عدا استنتاجات وتنبؤات لتاريخ مولده، قد ترقى إلى درجة الصحة فى الغالب الأعم؛ ذلك أنه قد ثبت أن شيخ الإسلام الهروى[1] قد توفى سنة ٩١٦هـ وإذا ترجح أن وفاة الشيخ معين الدين شيخ الملا على القارى، كان فى العام نفسه، أى سنة ٩١٦هـ، وكان الملا على القارى قد درس عليه قراءة القرآن، كما أشار بنفسه إلى ذلك، إذا أدركنا هذا علمنا أن على القارى كان آنذاك حديث السن، صغيرا، خصوصا إذا كانت العادة تقتضى أن الآباء يرسلون أبناءهم إلى الكتاتيب لحفظ القرآن وتلاوته فى سنة التمييز والفهم أى من سن الخامسة إلى العاشرة تقريبا، إذا علمنا ذلك فيمكن القول:

أن تاريخ ميلاد الملا على بن سلطان القارى يقع ما بين عام ٩٠١هـ . إلى ٩١٠هـ.

هذا وقد كانت ولادته فى هراة[2] من بلاد أفغانستان، وقد استقر فيها فترة من الزمن تتلمذ فيها على بعض علمائها، ثم ارتحل بعد ذلك إلى مكة. ويرجح أن ارتحاله إليها كان عام ٩٣٥هـ، كما أنه قضى حياته وعمره فى المقام بمكة المكرمة.

---

(١) هو: أحمد بن يحيى بن محمد بن سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى، الهروى، سيف الدين، شيخ الإسلام الحنفى، ولى قضاء هراة مدة ثلاثين عاما. ولما دخلها الشاه إسماعيل الصفوى أمر بقتله مع جماعة من علماء هراة، دون ذنب، وقد نعت بالشهيد. له عدة مؤلفات منها: «حاشية على شرح التلخيص» وشرح تهذيب المنطق» و«الدرر الفضيه فى مجموعة الحفيد» انظر ترجمته فى: روضات الجنات ٣٤٢/١، هدية العارفين ١٣٨/١، الإعلام ٢٧٠/١.

(٢) هراة: بالفتح مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة، وخيرات كثيرة، محشوة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثراء، وقد أصابها عين الزمان، ونكبتها طوارق الحدثان، وجاءها =

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:(1)

هو على بن سلطان محمد القارى، الهروى، ثم المكى الحنفى. واسم أبيه من الأسماء المركبة (سلطان محمد) على أرجح الآراء. ويؤيده أن الأعاجم اعتادوا على الأسماء المركبة فهى تكثر فيهم.

وتجدر الإشارة إلى أن على القارى ينحدر من أسرة عادية، بخلاف ما قد يوحى إليه لفظ (سلطان) فلم ينقل أن كان أبوه ملكا أو وزيرا أو من الوجهاء، ولو كان كذلك لاشتهر ذلك بين الناس، بل من المؤكد أن العلامة على القارى نفسه كان سينبه بنفسه عن ذلك، خصوصا وأنه شهد فى هراة ظهور الدولة الصفوية بها، واستيلائهم عليها وقتلهم للأهالى والعلماء من أهل السنة الأمر الذى حذا بالعلامة على ا لقارى أن يهجر «هراة» إلى «مكة».

وأما كنيته فهى «أبوالحسن» على القارى، كما يلقب بـ«نور الدين» وأما القارى «فهو اسم فاعل من» قرأ «قلبت همزته ياء طلبا للتخفيف» لقب المؤلف نفسه به لأنه كان حاذقا فى علم القراءات، الأمر الذى جعله أحيانا يذكر فى بعض مصنفاته: المقرىء بدل القارى.

هذا كما يلقب على القارى أيضا ب «الملا بضم الميم وتشديد اللام» كلمة فارسية، معناها الأستاذ أو الشيخ، وأما الهروى فنسبة إلى «هراة» مسقط رأسه كما سبق أن أشرنا.

=

الكفار من التتر، فخربوها حتى أدخلوها فى خبر كان، وذلك فى سنة ٦١٨هـ انظر: الشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى:
معجم البلدان ـ المجلد الخامس. دار صادر ـ بيروت ١٩٧٧م، ص٣٩٦ ـ ٣٩٧.

(1) استعان الباحث بالحديث عن ترجمة المؤلف فيما يتصل باسمه ونسبه وكنيته ولقبه بالمصادر والمراجع الآتية:
خلاصة الأثر رقم ٢٦٦ تاريخ جـ١٨٥/٣
قطف السمر رقم ١٤٢٠ تاريخ ص٣٢٣.
الفوائد البهية رقم ٥٧١ تاريخ ص٨ فى التعليقات.
كتاب رد النصوص المسمى مرتبه الوجود ومنزلة الشهود. للإمام الفقيه المحدث الملا على بن سلطان محمد القارى المتوفى سنة ١٠١٤هـ، دراسة وتحقيق. للباحث: عبد الله على الملا. مرجع سابق. انظر الفصل الثانى ص٧٠ وما بعدها.

وتجدر الإشارة إلى أن العلامة: على القارى كان يكتفى بالكفاف من العيش، ولم يذكر أنه انصرف عن طلب العلم إلى جمع المال، فلم يكن صاحب تجارة، فى الوقت الذى لم يذل نفسه على أبواب السلاطين والأمراء استجداء واستدرارا لعطفهم، بل من الثابت أنه كان يأكل من عمل يده، فقد وهبه الله جمال الخط، فجعله سببا لارتزاقه، حيث كان يكتب مصحفا فى كل عام بخط جميل، عليه طرز ثم يبيعه ويرتزق من ثمنه.

وأما ما يرتبط بأسرته، وزوجاته وأولاده، فقد ثبت أنه كان متزوجا وله أعقاب من بعده، فقد أفاد بعض شراح الحزب الأعظم بأنه سمع أن أحد أحفاده قال: «إن لجدنا ثلاثمائة من المؤلفات، وأنه أوقفها وشرط بأن لا يمنع من استنساخها.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن على بن سلطان محمد الهروى المعروف بالقارى، وبملا على القارى الحنفى قد توفى بمكة سنة ١٠١٤هـ.

وقد وردت ترجمته فى: خلاصة الأثر رقم ٢٦٦ تأريخ جـ٣/١٨٥.

وله أيضا ترجمة مختصرة فى: قطف السمررقم ١٤٢٠ تأريخ ص٣٢٣.

وله أيضا: الفوائد البهية رقم ٥٧١ تأريخ ص٨ فى التعليقات من مؤلفاته:

رسالة فى علامات القيامة وهى فى الكلام على موضع من تفسير البيضاوى أنوار التنزيل.

المالين على الجلالين وهى حاشية.

المسألة فى البسملة، بين فيها كون البسملة من كل سورة.

المنح الفكرية على نزهة النظر لابن حجر فى المصطلح.[1]

••

(١) انظر: فهرس الخزانة التيمورية، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤١م جـ٣، أسماء المؤلفين ٣/٢٣٤.

الظروف السياسية:

لا يساورنا شك أن الظروف السياسية التى تواكب ظهور عالم أو مفكر تؤثر تأثيرا كبيرا فى توجهاته العلمية والدينية، وإذا كان العلامة على القارى، قد عاش فترة من الزمن فى هراة ثم ارتحل بعدها إلى مكة المكرمة فحرى بنا أن نقف على طرف من الظروف السياسية التى أوحت لهذا العالم أن يهجر موطنه الأصلى ومسقط رأسه.

واكب ميلاد على القارى نشوء الدولة الصفوية على يد الشاه إسماعيل الصفوى[1] الذى نشأ وترعرع ما يقرب من خمس سنوات فى «لاهجان» يتلقى فيها التشيع، حتى تشبعت روجه بهذه النزعة التى ظهرت آثارها فى سياسته.

هذا وقد بدأ ظهور أمر الشاه إسماعيل الصفوى على ساحة الصراع السياسى بين القوى والحكومات المتعددة فى بلاد العجم عامة، وفى إيران خاصة، وقد بادر بالدعوة للانتقام من قاتل أبيه حاكم «شيروان» فحاربه عام ٩٠٦هـ فى جيش مكون من سبعة آلاف مقاتل وانتصر عليه وقتله.

هذا وقد كانت إيران فى عصر الشاه إسماعيل مقسمة إلى حكومات متعددة مستقلة، استطاعت أن تنفصل واستقل عن حكم دولة التيموريين. ومن أشهر هذه الحكومات المستقلة، حكومات أسرة «آق قويونلو»[2] التركمانية الأصل، والتى كانت تقطن آسيا الوسطى.

أما خراسان فقد كانت مقسمة تحت حكم كل من التيموريين، ومقر حكمهم الهند، والأزابكة ومقر حكمهم بلاد ما وراء النهر، وقد كان الأزابكة يحكمون الجزء الشرقى من إيران بالإضافة إلى حكمهم لبلاد ما وراء النهر.

---

(١) هو الشاه إسماعيل بن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد بن الشيخ ابراهيم، المعروف بشيخ شاه بن خواجه سياهبوش، ابن الشيخ صدر الدين موسى ابن الشيخ صفى الدين الأردبيلى، والى هذا الأخير ينسب الصفويون. انظر: هدية العارفين ٢١٧/١ دائرة المعارف الإسلامية ١٧٥/٢.

(٢) معناها أصحاب القطيع الأبيض.

هذا وتجدر الإشارة إلى مواكبة دولتين عظمتين فى تلك الفترة بجوار هذه الدول والحكومات، هاتان الدولتان هما: الدولة العثمانية وعاصمتها اسطنبول ودولة المماليك.

وقد خطط الشاه إسماعيل الصفوى فى سبيل توسيع رقعة حكومته وفرض المذهب الشيعى على كل بلد ومدينة يضمها إلى مملكته، لذلك فقد حاول القضاء على الحكومات المجاورة له وضمها إلى أقاليم دولته.

ولقد استمر حكم الأسرة الصفوية فى إيران إلى أن قضى عليها الأفغان بعد قرنين من الزمان.

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نؤكد أن الشاه إسماعيل الصفوى كان طاغية، أثيما وسفاكا للدماء، وحاقدا على أهل السنة، يحملهم على اعتناق التشيع بالرغم عنهم، والذى يرفض مصيره القتل، لا ينجيه منه إلا الفرار والهروب بدينه، مما دفع بالكثير من العلماء أن يهجر موطنه ويفر إلى بلد مجاور أو يهيم على وجهه فى أرض الله.

ومن العلماء الذين هاجروا من بلادهم إبان تسلط الصفويين العلامة:

الملا على بن سلطان محمد القارى، فقد هجر هراة من بلاد أفغانستان إلى مكة المكرمة، حيث قضى فيها بقية عمره، مما يضطرنا كذلك أن نوجز حديثا عن الأحوال السياسية فى مكة إبان وجود العلامة على القارى بها.(١)

ظلت الحجاز ومكة المكرمة حتى الربع الأول من القرن العاشر الهجرى وما سبقه ظلت ولاية تابعة لدولة المماليك فى مصر، وذلك حتى عام ٩٢٣هـ، حين دخل السلطان العثمانى سليم الأول مصر فى نفس العام، حيث أسقط دولة المماليك الأمر الذى ترتب عليه أن أصبحت الحجاز ومكة المكرمة تابعة لدولة الخلافة العثمانية وولاية من ولاياتها.

(١) استند الباحث فى كثير من حديثه عن الحالة السياسية إبان حكم الدولة الصفوية إلى رسالة دكتوراه للباحث: عبد الله على الملا. كتاب رد النصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود للإمام الفقيه المحدث الملا على بن سلطان محمد القارى المتوفى سنة ١٠١٤هـ دراسة وتحقيق. مرجع سابق، ص٣ : ١٧.

هذا وتجدر الإشارة أن الأشراف الحسنيين، من أولاد موسى الجون، هم الذين استقلوا بحكم مكة لعدة قرون، بداية من عام ٣٥٨هـ، حيث يعتبر جعفر بن محمد بن الحسين أول من وليها منهم. وقد استمر الأشراف يحكمون مكة المكرمة حتى سنة ١٣٤٣هـ حين دخل الملك عبدالعزيز فى هذا العام مكة المكرمة لينهى بذلك حكم الأشراف الذى استمر ما يقرب من ألف سنة.

ويهمنا أن نوضح طبيعة الظروف السياسية فى مكة فى غضون القرن العاشر الهجرى، وهى الفترة التى تواكب هجرة الملا على بن سلطان محمد القارى إليها.

تولى إمارة مكة المكرمة فى مفتتح القرن العاشر، الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان[1] وذلك فى الفترة من سنة ٨٥٩هـ إلى عام ٩٠٣هـ تاريخ وفاته، حيث شب نزاع بين أبنائه فيمن يتولى إمارة مكة.

انحصرت فترة حكم مكة المكرمة منذ عام ٩٠٣هـ حتى ١٠٣٤هـ بين السادة الأشراف خلال خمس فترات، شبت فيها المنازعات بين الأخوة الأشقاء الذين يحكمون مكة المكرمة، وقد كانت هذه تقريبا السمة الأساسية التى اتصفت بها طبيعة تلك الفترة، وإن كان الملاحظ أن هذه النزاعات والخلافات قد كانت داخلية بحتة لم تتعدد حدود الحجاز، حيث أنها تقريبا كانت تنتج عن منافسة بين الأشقاء للاستقلال بالحكم، وأحيانا أخرى تدب الحرب لتأديب إحدى القبائل التى تتنازع وتستغل وتنهب الأهالى..... إلخ.

وهذا فى حد ذاته دليل على أن الحجاز ظلت بعيدة تماما عن مناطق الصراع الخارجى سواء خلال تبعيتها للمماليك أو الدولة العثمانية اللهم فيما عدا الحروب والمنازعات الداخلية كما أشرنا.

●●

---

(١) ولد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان عام ٨٤٠هـ بمكة وتوفى عام ٩٠٣هـ.

الفترة الأولى:

وقد تقلد إمارة مكة خلالها «بركات بن محمد بن بركات»[1] خلال الفترة من عام ٩٠٣ - ٩٣١هـ. وقد أيده سلطان مصر فى ذلك الوقت، السلطان محمد بن السلطان قايتباى.

هذا وقد اتسمت هذه الفترة بكثرة المنازعات والمنافسات بين الأخوة حول الاستقلال بأمارة مكة، خصوصا وقد أشرك الشريف بركات أخاه هزاع فى تسيير دفة الحكم، إلا أن اتفاقهما هذا لم يدم أكثر من سنة واحدة، ثار بعدها النزاع والشقاق حيث استطاع الشريف هزاع بمؤازرة جموع من المقاتلين أن ينتصر على الشريف بركات عام ٩٠٤هـ.

وهكذا استمرت المنازعات بين الأخوين، ففى الوقت الذى تم فيه إصلح بينهما وعودة الشريف بركات إلى مكة فى أواخر عام ٩٠٤هـ، لم يدم هذا أكثر من عامين حيث استأنف الشريف هزاع هجومه على أخيه الشريف بركات، ودارت معركة بينهما فى البرقاء فى جمادى الأولى عام ٩٠٧هـ، حيث انتصر جيش هزاع للمرة الثانية، وتولى حكم مكة، إلا أنه توفى فى رجب من العام نفسه.

وقد تم تعيين أخيه أحمد الجازانى واليا على مكة، إلا أن الشريف بركات لم يهمله طويلا، حيث تحرك بجيشه إلى مكة بعد أسبوعين فقط من ولاية الشريف أحمد، فلما علم بقدومه، فر هاربا دون أن يبدى أية مقاومة تذكر. وظل الحكم يتأرجح ما بين الشريف بركات إلى الشريف أحمد إلى أخيهما حميضة إلى أن استقر أخيرا للشريف بركات.

هذا وقد استمر حكم الشريف بركات حتى عام ٩٣١هـ، حيث استتب الأمن فى مكة المكرمة وتخلصت إلى حد ما من الحروب والمنازعات الداخلية، وفى ولاية الشريف بركات أصبحت مكة ولاية الخلافة العثمانية، حيث دخل السلطان العثمانى سليم الأول القاهرة فاتحا عام ٩٢٣هـ.

---

(١) بركات بن محمد بن بركات ٨٦١ ـ ٩٣١هـ.

الفترة الثانية:

وفى هذه الفترة تولى «محمد بن بركات بن محمد»[1] الحكم اعتبارا من ٩٣١ حتى ٩٧٤هـ. وفى عهده خمدت نيران الفتنة، وأصلح الله به ما كان فاسدا، وأمن أهل الحرمين الشريفين، وقضى على أصحاب النهب والفوضى وأدار إمرة مكة بكل حزم وصرامة.

هذا وقد عرف أبونمى «محمد بن بركات بن محمد» عرف عند أشراف مكة بصاحب القانون، لأنه جمع أنسابهم، وجعل لهم فيها قانونا.

وقد ظلت فترة حكمه حوالى ٧٢ سنة، إلا أنه كان يشرك خلالها بعض أبنائه، ومنها أنه استصدر أمرا من السلطان العثمانى عام ٩٤٧هـ بمشاركة ابنه حسنا فى الحكم كما استعان بعد ذلك بابنه أحمد الذى توفى فى حياة أبيه.

وتجدر الإشارة أن محمد بن بركات بن محمد والمعروف بأبى نمى قد تنازل عام ٩٧٤هـ عن الحكم لابنه الحسن وذلك لكبر سنه من جهة، ولتفرغه للعبادة من جهة أخرى.

الفترة الثالثة

وفى هذه الفترة تولى الشريف: حسن بن محمد بن بركات[2] إمارة مكة فى الفترة التى امتدت منذ ٩٧٤هـ حتى ١٠١٠هـ. وكان الشريف حسن عظيم القدر، مشمولا بكريم الفضائل والسخاء، صاحب فراسة عجيبة ودقيقة، محبا للعلم، شغوفا بالأدب، لا يقل صرامة وكفاءة وحزما عن أبيه، فعم عدله جميع طبقات الناس، حتى اختلط العرب بالعجم وأمنت الطرق الحجازية.

وقد استعان الشريف حسن بأكبر أولاده مسعود، وبعد وفاته استعان بابنه أبى طالب. وكثيرا ما كان يؤمر أبناءه على سرايا القتال لتأديب بعض القبائل، خصوصا

---

(١) هو: محمد بن بركات بن محمد المعروف بأبى نمى الثانى (٩١١ ـ ٩٩٢هـ) وترجمته فى: شذرات الذهب ٤٢٢/٨، الجامع اللطيف ص٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) هو حسن بن محمد بن بركات ٩٣٢ ـ ١٠١٠هـ.

من جهات اليمن. ومن أبنائه: الحسين، وعقيل، وعبدالمطلب وعبدالله. وقد كانت عساكر الشريف حسن تربو على الخمسين ألف ما بين راجل وراكب.

هذا وفى عام ١٠١٠هـ توفى الشريف حسن بنجد ودفن بمكة، وقت أن كان قد ذهب إليها غازيا، وقد كان أبوطالب ابنه خارج مكة وقتها، فحضر إليها، وتأمر على مكة عام ١٠١٠هـ.

الفترة الرابعة:

وفى هذه الفترة تولى الشريف: أبوطالب بن حسن بن محمد (٩٦٦- ١٠١٢هـ) امارة مكة المكرمة. منذ عام ١٠١٠هـ حتى ١٠١٢هـ. وكان متصفا بفضائل الأخلاق كأسلافه، سخيا كريما شجاعا مقداما ذكيا.

هذا وقد توفى عام ١٠١٢هـ أثناء رجوعه من بعض غزواته ودفن بمكة ولم يعقب خلفا يتولى الحكم من بعده.

الفترة الخامسة:

وقد تولى فيها الشريف: إدريس بن حسن بن محمد (٩٧٤: ١٠٣٤هـ) تولى إمارة مكة الفترة من ١٠١٢ حتى ١٠٣٤هـ. وتجدر الإشارة إلى أن السادة الأشراف أشركوا معه فى الحكم أخاه: فهيد بن حسن، وابن أخيه محسن بن الحسين بن الحسن.

وتجدر الإشارة إلى أنه قد تم خلع الشريف إدريس عام ١٠٣٤هـ، بعد قتال دار بينه وبين أخيه محسن، وقد استمر القتال بينهما يوما كاملا فى جميع أنحاء مكة، إلا أن الشريف إدريس وافق على الصلح وخرج من مكة إلى جبل «شمر» بمكان يسمى «ياطب» وعاش هناك لشهور ثم توفى ودفن بهذا المكان.

فى ضوء ما تقدم عن الأحوال السياسية سواء فى هراة «مسقط رأس» الملا على ابن سلطان محمد القارى أو فى مكة المكرمة حيث استقر بها مهاجرا، نلمح أن القرن العاشر الهجرى وما سبقه أو تلاه، كان مشحونا بالخلافات والمنازعات، سواء

منها الخلافات المذهبية (بين أهل السنة والشيعة) كما حدث فى غضون حكم الدولة الصفوية لبلاد العجم عامة وإيران بوجه خاص، أو ما حدث بمكة المكرمة من مشاحنات على تولى الإمارة، خصوصا إذا علمنا أن اختيار أمراء مكة كان يتم عن طريق الأشراف أنفسهم من داخلهم، ومن وجهائهم دون تدخل يذكر سواء من قبل دولة المماليك أو من قبل السلطان العثمانى.

وحتى اختيار الوزراء والقضاء وأهل الفتيا والرأى فى أمور الدين كان يتم داخل الأشراف أنفسهم، الأمر الذى يؤكد استغراق بعض أهل العلم فى معمعة القوى السياسية التى كانت تحكم مكة فى ذلك العصر.

ولا يخالجنا شك أو ريب أن صاحبنا العلامة الملا على بن سلطان محمد القارى، قد استشعر من كيانه ومن سريرته الكثير من استغراق بعض أهل العلم ومسايرتهم للحكام، ونزولهم على آرائهم. ارضاءا لهم واستمطارا لأموالهم، وهذا فى حد ذاته كفيل أن يجعل صاحبنا يقف موقفا حاسما إزاء هذا التطرف أو الانحراف بالعلم والفقه والشريعة عن مسارها الصحيح.

ولا غرو أن الرسائل التى سجلها العلامة ابن سلطان القارى، جاءت انعكاسا صريحا لكثير مما عاصره من الأحداث السياسية، ويأتى على رأس هذه الرسائل الرسالة التى نحن بصدد تحقيقها «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» ويبدو والله أعلم أن مكة المكرمة ظلت امارة مستقلة تماما، ولم يكن لها من الصلة بدولة الخلافة سوى الصفة الأسمية فقط، وهذا فى حد ذاته كفيل أن يوقد نار الفتن، ويضع المطامح فى السلطة للكفاءات من الأشراف وغيرهم.

وعلى وجه العموم فمن المؤكد أن الحالة السياسية التى عاصرها العلامة السلطان على القارى أثرت فى فكرة، وألزمته كلمة التقوى، وكان أحق بها وأهلها، فصب خلاصة آرائه فى رسائله المتعددة وعلى رأسها رسالة: «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» ولا شك أن هذه نزعة تؤكد أن هناك أصولا وجذورا فى الفقه

والشريعة تركز حول التربية السياسية وكيفية تعامل العلماء مع الأمراء، وسياسة الأمراء مع العلماء.

وسيأتى مزيد من التفصيل حول تأثير ذلك على حياته العلمية، ومؤلفاته، وتلامذته، وفكره.... إلخ.

علمه وشيوخه وتلامذته ومؤلفاته:[1]

ألمحنا مسبقا أن العلامة على القارى عاش فترة فى «هراة» مسقط رأسه، كما عاش بقية حياته بمكة المكرمة، وقد استغرقت كلا الفترتين حياة الرجل للعلم متعلما وطالبا، فقيها ومحدثا.

وتؤكد المصادر أن من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم العلامة على القارى خلال نشأته الأولى بـ«هراة»:

الشيخ الخطيب فى جامع هراة.

العالم المقرىء معين الدين بن حافظ زين الدين الهروى. وقد حفظ العلامة على القارى على يديه القرآن الكريم، وأخذ عنه علم التجويد.

ولا يخالجنا شك فى أن العلامة على القارى قد استفاد من هذه الفترة وهو فى مقتبل العمر، فقد حفظ القرآن الكريم وأتقن التجويد وحفظ المتون العلمية ودرس فقه الأحناف.. وغير ذلك كثير مما يؤكد أنه استثمر فترة وجوده بهراة واستفاد من شيوخ عصره بها.

أما فترة وجوده واستقراره بمكة، فقد كان له من العلم الحظ الوافر، بل وتفوق على أقرانه، وكثرت تأليفاته، وطار اسمه بين الناس.

---

(١) استمد الباحث هذا الجانب من: خلاصة الأثر رقم ٢٦٦ تاريخ جـ٣/١٨٥ . مرجع سابق.
كتاب رد النصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود. للإمام الفقيه المحدث الملا على بن سلطان محمد القارى. المتوفى سنة ١٠١٤هـ. دراسة وتحقيق الباحث: عبد الله على الملا. رسالة دكتوراه. مرجع سابق. انظر: المبحث الثانى. ص٧٧ وما بعدها.

قرأ القرآن الكريم على القراء الأجلاء، وأتقن الحفظ، كا حفظ «الشاطبية» وقرأ السبعة من طريقها، وأتقن القراءات بوجوهها، وتلا ورتل القرآن الكريم حتى اشتهر بالقارى.

هذا وقد اهتم العلامة على القارى أيضاً بدراسة الحديث والفقه والأصول والتفسير والتصوف وعلوم اللغة والبلاغة والنحو. هذا إضافة إلى اتقانه وبراعته فى الخط، خاصة خط الثلث والنسخ، فقد كان يجيدها تماما.

ومن أشهر العلماء البارزين الذين تتلمذ عليهم بمكة:

الشيخ الإمام زين الدين عطية بن على بن حسن السلمى المكى، المفسر والفقيه والمتوفى عام ثلاث وثمانين وتسعمائة للهجرة، فقد درس عليه علوم الحديث والتفسير، حيث ذكر فى: «شم العوارض» سيدى وسندى فى علم التفسير الشيخ عطية المالكى السلمى.

العلامة مسند مكة الشيخ زكريا، الذى أشار إليه العلامة على القارى فى مقدمة كتابه: «مرقاة المفاتيح» ومنهم (أى من المشايخ الذين قرأ عليهم) زبدة الفضلاة وعمدة العلماء مولانا السيد زكريا.

الإمام العالم الكبير مسند الحرم الشيخ على المتقى بن حسام الدين بن القاضى عبدالملك بن قاضى خان، القرشى، الحنفى جاور بمكة مدة طويلة وله: «كنز العمال» و«مختصر النهاية لابن الأثير» توفى بمكة عام (٩٧٥هـ).

العلامة الشيخ أبوالعباس، شهاب الدين، أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيثمى، السعدى، الأنصارى، الشافعى. ولد عام ٩٠٩هـ فى إقليم الغربية بمصر.

وقد تبحر ابن حجر الهيثمى فى علوم الفقه والحديث والأصول والتفسير وغيرها. هذا وقد توفى ابن حجر بمكة عام ٩٧٤هـ.

الشيخ عبدالله بن سعد الدين السندى، الحنفى. كان من كبار العلماء البارعين، توفى بمكة عام ٩٨٤هـ وله مصنفات عدة منها: حاشية على عوارف المعارف للسهرودى.

العلامة الحافظ مفتى مكة الشيخ قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد النهروالى[1] الهندى، المكى، الحنفى. ولد عام ٩١٧هـ وكان بارعا ومفتيا فى الفقه والتفسير والعربية ونظم الشعر. ومن مؤلفاته: «البرق اليمانى فى الفتح العثمانى» و«الأعلام فى أخبار بيت الله الحرام» توفى عام ٩٩٠هـ.

الإمام الفقيه، المحدث الشيخ محمد بن أبى الحسن البكرى المصرى، الشافعى. كان حجة فى الدرس والإملاء. من مصنفاته: شرح أبى شجاع فى الفقه.

شمس الدين محمد بن على بن أحمد بن سالم، الجناحى[2]، ثم القاهرى الأزهرى المكى. ولد عام ٨٦٠هـ. وقد حفظ القرآن الكريم وألفية ابن مالك ودرس الفقه وعلوم العربية.

الفقيه الواعظ الشيخ: سنان الدين يوسف بن عبد الله الأمامى، الرومى، الحنفى، توفى بمكة عام ألف من الهجرة. من مؤلفاته: كتاب تبيين المحارم، فى مجلد، والمجالس النسائية فى الوعظ والإرشاد.

العالم الفقيه: بدر الدين الشهاوى الحنفى المفتى بالحرم المكى، فقد أشار إلى تلك العلاقة على القارى حيث قال فى حقه: «شيخنا بدر الدين الشهاوى الحنفى المفتى بالحرم المكى.

المحدث محمد سعيد بن مواجه الحنفى، الخراسانى الشهير بـ «ميركلان» قال العلامة على القارى فى مقدمة «مرقاة المفاتيح» ثم إنى قرأت أيضا بعض أحاديث المشكاة على منبع بحر العرفان الشهير بـ «ميركلان».

سراج الدين عمر اليمنى الشوانى، شيخ القراء بمكة المكرمة، ذكر عنه العلامة على القارى فى ذيل كتابه: «المنح الفكرية على متن الجزرية» أما سندى فى تحقيق القراءات، وتدقيق الروايات، فعلى المشايخ العظام، والقراء الكرام، ومن أهمهم شيخ القراء العالم العامل: الشيخ سراج الدين عمر اليمنى.

---

(١) النهروالى: نسبة إلى : «نهروالة» بلدة من توابع كجرات بالهند.

(٢) نسبة لجناح: قرية بين البحرارية وسنهور من الغربية (مصر).

ومن مشايخه أستاذ فى فن الخط، الخطاط، الشيخ حمد الله بن الشيخ مصطفى الأمامى المعروف بابن الشيخ. ولد عام ٨٤٠هـ وطلب العلم ثم اشتغل بالخط فأتقنه، كتب بخطه سبعا وأربعين مصحفا.

هذه لمحة عن الشيوخ الذين درس عليهم العلامة، على بن سلطان بن محمد القارى، والتى ترينا مدى عمق الرجل، وتتلمذه على فحول العلماء، الأمر الذى جعله يقف بين أقرانه فى عمره، يكتب عنه القاصى والدانى، ويستفيد من علمه معاصروه ومن تلاهم.

أما عن تلامذته[1]، فلم تسعفنا كتاباته عن ذلك، اللهم فيما عدا ما سطره تلامذته فى تراجمهم. من هؤلاء:

عبد القادر الطبرى ٩٧٦ ـ ١٠٣٣هـ. هو عبد القادر بن محمد بن يحيى بن مكرم بن محب الدين محمد بن رضى الدين، الحسينى، الطبرى، المكى، الشافعى، الخطيب، المفتى، إمام أئمة الحجاز، ولد ونشأ بمكة. حفظ القرآن وهو ابن اثنتى عشرة سنة. حفظ المتون ومنها: الأربعين النووية فى الحديث، والعقائد النسفية، وألفية ابن مالك. وقد قرأ على شيخه على القارى جانبا من متن الشاطبية.

عبد الرحمن المرشدى ٩٧٥ ـ ١٠٣٧هـ: هو عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد، العمرى، الحنفى، المكى، العلامة، الفقيه، القاضى، نشأ بمكة المكرمة ودرس على علمائها ومنهم على القارى حيث جود عليه القرآن الكريم.

محمد الموردى ٩٩٦ ـ ١٠٦١هـ: هو محمد بن منلا فروخ بن عبد المحسن بن عبد الخالق الموردى نسبة إلى «مورة» بلده بالروم. المكى الحنفى، ولد بمكة ونشأ بها، وحفظ القرآن وهو صغير، وأخذ العلم عن جماعة من العلماء ومنهم الملا على القارى. من مؤلفاته: «القول السديد فى مسائل الاجتهاد والتقليد» و«إعلام القاصى والدانى بمشروعية تقبيل الركن اليمانى».

---

(١) استمد الباحث التلامذة الذين خلفهم على القارى من رسالة الباحث:
عبد الله على الملا: كتاب رد النصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود. للعلامة الفقيه المحدث الملا على ابن سلطان محمد القارى المتوفى عام ١٠١٤هـ، رسالة دكتوراه مرجع سابق ص٨٧ وما بعدها.

منزلته بين علماء عصره:

من الأهمية بمكان أن نؤكد قبل الخوض فى مناقشة منزلة الإمام العلمية بين علماء عصره، من الأهمية أن نؤكد أنه كلما زاد انشغال العالم بالمذاكرة والمدارسة والفتيا، والتأليف والتصنيف كلما زادت المناقشات وكثر الجدل خصوصا حول أمور فقهية، ترد حولها الأدلة، وتكثر الاستنباطات والاستنتاجات ويحتدم النقاش، وهذا شأن كثير من العلماء، خصوصا إذا كانوا من المعاصرين للجهابذة والفحول من القراء كما هو الحال عند صاحبنا العلامة الشيخ على القارى.

هذا ولقد توفرت فى العلامة على القارى أهلية الفتيا، حيث جمع العلوم العقلية والنقلية، وأحاطها فهما وتدقيقا وتحقيقا، ودرس الكتاب والسنة حفظا وعلما، ودرس الفقه والأصول وعلوم العربية. كما درس علم الكلام والتصوف.

من هذا المنطلق انتشرت مؤفاته شرقا وغربا، خصوصا إذا علمنا أنه كان لا يتحرج أن يخالف بعض العلماء والأئمة مستندا فى ذلك إلى قريحته التى تميل إلى أن آراءهم تحيد عن الكتاب والسنة.

ومن ردوده هذه: رده على الإمام مالك فى ارسال اليدين فى الصلاة وأيضا رده على إمام الحرمين الجوينى فى كتابه: «مغيث الخلق» الذى رجح فيه مذهب الشافعى.

ولا يفوتنا أن نؤكد أن ردود الإمام على القارى هذه قد أوحت لبعض العلماء أن ينتقصوا من كتبه وعلمه، والحق أن مصنفاته فيها من العلم والتحقيق والتدقيق ما ليس فى غيرها، خصوصا وأنها فى التفسير والحديث والقراءات والفقه والعقائد وغيرها.

هذا ولا يخالجنا الشك أن ردود العلامة على القارى على الأئمة هؤلاء يعود إلى وضوح الأدلة خصوصا إذا أدركنا أن ارسال اليدين فى الصلاة ليس عليها دليل صحيح.

ومذهب الجمهور: عدم الارسال لوضوح الأدلة فيها.

أما رده على الإمام الجوينى، فإنه لم يتطرق فيه إلى الشك والطعن فى مذهب الشافعى، بل ألفه للرد على من طعن فى مذهب أبى حنيفة. وقد أورد الشوكانى فى هذا المقام ما نصه: «هذا دليل على علو منزلته (يعنى على القارى) فإن المجتهد شأنه أن يبين ما يخالف الأدلة الصحيحة، سواء كان قائله عظيما أو حقيرا».

ومما هو جدير بالذكر أن مؤلفات على القارى قد انتشرت بين الناس واستفاد منها الكثير على ما سوف يأتى بيانه.

هذا ولقد حظى العلامة على القارى بالثناء الكثير ممن ترجم له منهم:

الشيخ «المحبى» فى كتابه «خلاصة الأثر» حيث قال: «على بن محمد سلطان الهروى المعروف بالقارى، الحنفى، نزيل مكة، وأحد صدور العلم فريد عصره، الباهر السمت فى التحقيق وتنقيح العبارات، وشهرته كافية عن الاطراء فى وصفه.

جمال الدين محمد بن أبى بكر الشلى. «الشيخ الملا على القارى... الجامع للعلوم العقلية والنقلية، المتضلع من السنة النبوية، أحد جماهير الأعلام ومشاهير أولى الحفظ والأفهام...».

قال عنه: اللكنوى: «على بن سلطان محمد القارى... اشتهر ذكره، وطار صيته، وألف التآليف النافعة.. وقد كانت تصانيفه كلها مفيدة، بلغته إلى مرتبة المجددية على رأس الألف».(١)

هذا ولا شك أن اعتبار على القارى من المجددين للقرن العاشر، فى حد ذاته شهادة له بطول باعه، وسعة اطلاعه، وكثرة مؤلفاته وفتياه، ومعاصرته ونظرته الفاحمة الناقدة لكثير مما اشتهر فى زمانه.

وعلى وجه العموم فيكفيه شرفا أن أحيا علوم التفسير والقراءات والحديث والفقه.. وكثير غيرها.

---

(١) من باب: أن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها.

مؤلفاتــــه:

بلغت مصنفاته ما يقرب من ثلاثمائة مصنف، ما بين كتاب كبير ومتوسط ورسائل صغيرة فى ورقات. وقد ارتبطت مؤلفاته بالفقه والتفسير والحديث والأصول وعلوم اللغة والنحو والقراءات وغيرها.

هذا وللعلامة على القارى أحد عشر فرعا من فنون العلم المختلفة سوف أشير إلى أهمها:(1)

أولا: مؤلفاته فى علم القراءات:

تخريج قراءات البيضاوى

شرح طيبة النشر فى القراءات العشر

الضابطية للشاطبية

المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية

الهبة السنية العلية على أبيات الشاطبية الرائية

ثانيا: مؤلفاته فى علوم التفسير:

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

البينات فى تباين بعض الآيات

الجمالين على تفسير الجلالين

المسألة فى شرح البسملة

ثالثا: مؤلفاته فى علوم الحديث:

الأحاديث القدسية والكلمات الأنسية

أربعون حديثا فى جوامع الكلم

(1) انظر: عبد الله على الملا. كتاب رد النصوص. المسمى مرتبة الوجود ومنزله الشهود للإمام الفقيه الملا على ابن سلطان محمد القارى المتوفى سنة ١٠١٤هـ. مرجع سابق. ص٩٦ وما بعدها.

الأزهار المنثورة فى الأحاديث المشهورة

تعليقات القارى على ثلاثيات البخارى

شرح الجامع الصغير للسيوطى

شرح صحيح مسلم

شرح مسند الإمام أبى حنيفة

المبين المعين لفهم الأربعين

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

الهبات السنيات فى تبيين الأحاديث والموضوعات

رابعا: مؤلفاته فى الفقه وعلومه:

الاصطناع فى الانطباع

ترتيب وظائف الوقف

توضيح المبانى وتنقيح المعانى وهو شرح على مختصر المنار لزين الدين الحلبى

حاشية على فتح القدير للكمال ابن الهمام

الخط الأوفر فى الحج الأكبر

رسالة فى الاستنجاء

رسالة فى الثبوت الشرعى

رسالة فى الجمع بين الصلاتين

رسالة فى مسائل الصلاة

رسالة فى وقف الإجارة

لسان الاهتداء فى بيان الاقتداء

ملخص البيان فى ليلة النصف من شعبان

خامسا: مؤلفاته فى التوحيد والفرق:

دامغة المبتدعين وناصرة المهتدين

ذيل الرسائل الوجودية فى نيل المسألة الشهودية

ضوء المعالى شرح منظومة بدء الآمالى

عقيدة أهل الإسلام والإيمان

القول السديد فى خلق الوعيد

المختصر الأوفى فى شرح أسماء الله الحسنى

الروض الأزهر فى شرح الفقه الأكبر

سادسا: مؤلفاته فى السيرة والشمائل والفضائل:

أربعون حديثا فى فضل القرآن

الاستئناس بفضائل ابن عباس

البرهان الجلى على من تسمى من غير مسمى بالولى

جمع الوسائل فى شرح الشمائل

حاشية على المواهب اللدنية

ذيل الشمائل للترمذى

زبدة الشمائل وعمدة الوسائل

السيرة الكبرى

العلاقات البينات فى فضائل بعض الآيات

فتح الرحمن بفضائل شعبان

مناقب الإمام الأعظم (أبى حنيفة)

المورد الروى فى المولد النبوى

سابعا: مؤلفاته فى الأدعية والأذكار والمواعظ:

الاستدعاء فى الاستسقاء

«تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» وهى المخطوطة التى نحن بصدد تحقيقها

تحفة الحبيب فى موعظة الخطيب

تطهير الطوية فى تحسين النية

الحرز الثمين للحصن الحصين

الحرز الأعظم والحزب الأفخم

الدرة المضيئة فى الزيارة المصطفوية

الذخيرة الكثيرة فى رجاء المغفرة للكبيرة.

ثامنا: مؤلفاته فى النحو واللغة والأدب:

إعراب القارى على أول باب البخارى

التجريد فى إعراب كلمة التوحيد

فتح الاسعاد فى شرح قصيدة: بانت سعاد

الناموس فى تلخيص القاموس

تاسعا: مؤلفاته فى التراجم:

الثمار الجنية فى أسماء الحنفية

نزهة الخاطر الفاتر فى ترجمة الشيخ عبد القادر

عاشرا: كتب منوعة:

أدلة معتقدات أبى حنيفة فى أبوى الرسول

الأصول المهمة فى حصول المتمة

بهجة الإنسان ومهجة الحيوان

رد المتشابهات إلى المحكمات

رسالة رد بها على من نسبه إلى سب الإمام الشافعى

رسالة فى باب الإمارة والقضاء

رسالة فى طريق تحصيل العلم

رسالة فى الكلمة الطيبة

رسالة فى مناقشة البيضاوى فى الحديث الذى ذكره فى رفع العذاب عن أهل القبور

غاية التحقيق فى نهاية التدقيق

مولد النبى ونجاة أبويه

وفاتـــــه:

بعد تلك الشذرات والدرر الحافلة بالعلم، توفى العلامة على بن سلطان محمد القارى، وقد خلف آثارا عظيمة عالج بها الكثير من قضايا عصره. وكانت وفاته عام ١٠١٤هـ باتفاق المصادر ويرجح أنه توفى فى رمضان من السنة نفسها ودفن بمقابر «المعلاة» بمكة المكرمة. ولما بلغ ذلك علماء مصر صلوا عليه صلاة الغائب بالجامع الأزهر فى جمع يربو على أربعة آلاف نسمة.

إجراءات الدراسة التربوية:

تعتمد دراستنا للجانب التربوى فى فكر العلامة على بن سلطان محمد القارى على الآراء التربوية التى طرحها فى مخطوطته، والتى استند فى الكثير منها إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وسوف لا يدعم الباحث الآراء التربوية التى يتوصل إليها من خلال دراسته لتلك المخطوطة بالأحاديث الضعيفة والتى قد أشير إليها فى هامش التحقيق.

هذا كما أن الباحث لن يلجأ كثيرا للتدليل على تلك الآراء التربوية من كتب التربية، اللهم فيما عدا النذر اليسير الذى يرى الباحث الاتفاق الكامل بين الأدلة التربوية وبين الرأى الذى نحن بصدد التأييد أو النفى له.

وهذا لا يعنى بالضرورة أن الباحث سوف يحيط بكل ما دق وما علا فى هذه المخطوطة من آراء تربوية، إنما سيحاول قدر الإمكان أن يجمع المتناثرات من الآراء التربوية فى محاور، ثم يدلل عليها، ولن يلتزم الباحث فى موقف التدليل بالترتيب الذى سارت عليه المخطوطة، إنما سيدور حول تلك المحاور التربوية، ليثبت أو ينفى وفق ما يتوفر لديه من أدلة، كما أنه لن يلتزم بترتيب المخطوطة حول الموضوعات التى ناقشتها، إنما سيسير الباحث حسب الأهمية من وجهة نظره.

هذا وسوف تدور المحاور التربوية التى سيقوم الباحث بدراستها من خلال هذه المخطوطة على النحو التالى:

التربية العقلية.

التربية السياسية.

التربية الخلقية.

التربية الروحية.

فضل العلم.

أقسام العلوم.

آداب المعلم والعلاقة بينه وبين المتعلم.

■ ■ ■

التربية العقلية فى فكر « على القارى »:

سوف يناقش الباحث التربية العقلية فى فكر العلامة «على القارى» وفقا للتالى:

تمهيد.

لماذا التسمية بالعقل.

مفهوم العقل وأقسامه.

أوصاف العاقل.

فضل العقل.

التفاضل بالعقل.

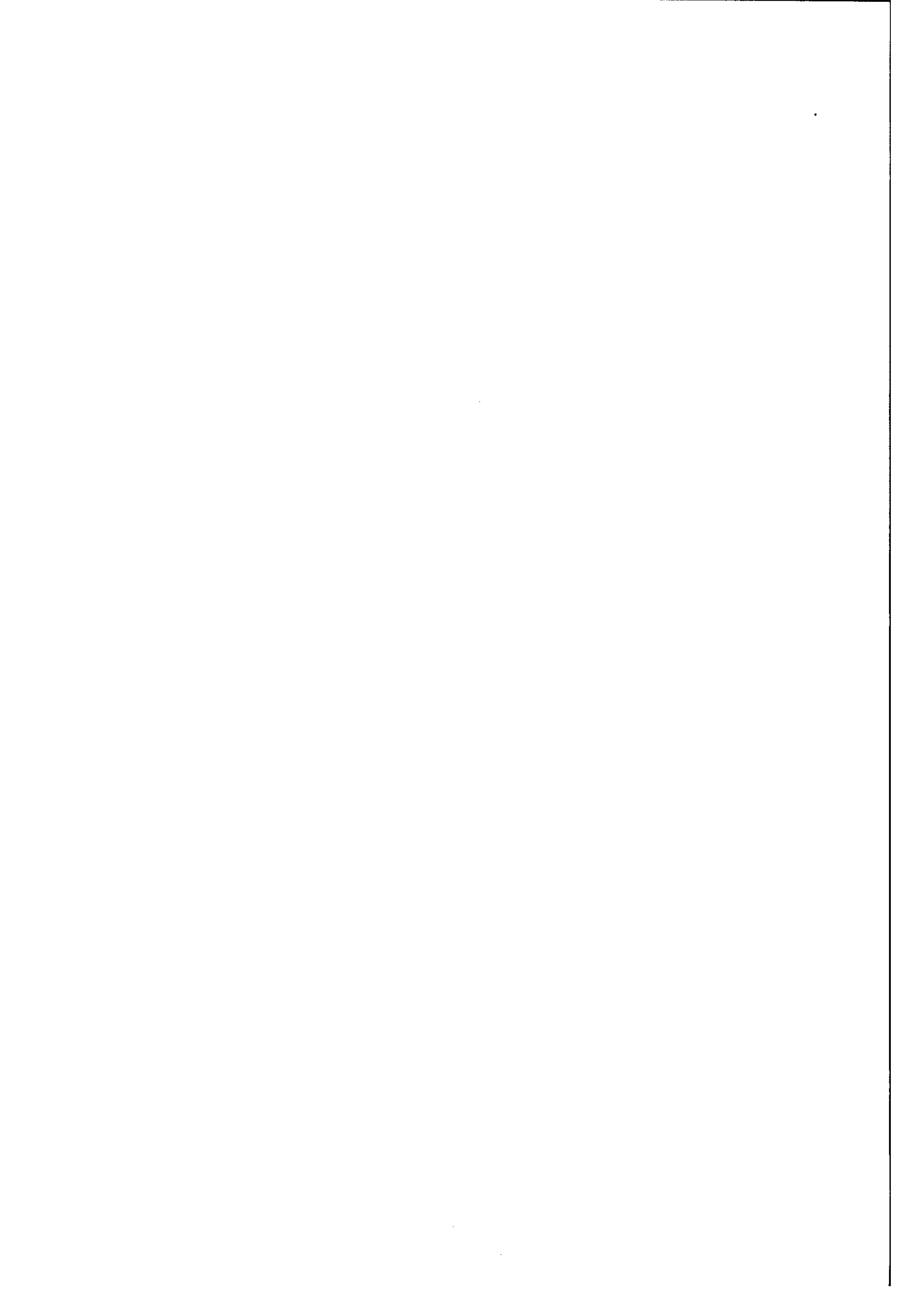
شرف العقل وثمرته.

طرق اكتساب العقل.

التفاوت فى العقل.

الفرق بين العلم والعقل.

تعليق.



تمهيد

تميز الإنسان على سائر الكائنات الحية بالعقل، والعقل للإنسان هو صمام الأمان للفرد الإنسان، به مناط التكليف، حيث يستطيع العقل أن ينسق المعلومات وينظمها ويضع العلاقة بينها، كما يبحث عن الأسباب والمسببات حولها.

وإذا كان الإنسان هو موضوع التربية، وإذا كان العقل هو الأداة التى بها يفهم الانسان ويتأمل ويتفكر ويتعلم، فلا غرابة أن ينوه القرآن الكريم فى كثير من الآيات بالعقل، وأن يلفت الانتباه إلى الإشادة بالعقل والثقة به.

هذا ويشير سعيد إسماعيل فى كتابه: «أصول التربية الإسلامية» إلى الكثير العزيز من تلك الآيات والتى منها:

﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[1]. «اى فقها وحكمة».

﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[3]

﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾[4]

---

(١) سورة يوسف، آية (٢٢).

(٢) سورة الروم، آية (٢٨).

(٣) سورة الطلاق، آية (٢٨).

(٤) سورة يس، آية (٧٠).

هذا والقرآن الكريم وهو يشيد بالعقل ينعى على الكفار اهمالهم للعقل واتباعهم ما كان عليه آباؤهم. قال تعالى:﴿أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾(١)

ويرى الإمام محمد عبده أن: «عقل الشىء، معرفته بدلائله وفهمه بأسبابه ونتائجه، وأقرب الناس إلى معرفة الحق الباحثون الذين ينظرون فى الدلائل بقصد صحيح ولو فى غير الحق، لأن الباحث المستدل إذا أخطأ يوما فى طريق الاستدلال أو فى موضوع البحث، فقد يصيب فى يوم آخر، لأن عقله يتعود الفكر الصحيح واستفادة المطالب من الدلائل، وأبعد الناس عن معرفة الحق المقلدون الذين لا يبحثون ولا يستدلون.(٢)

وتجدر الإشارة إلى أن العقل لا يقتصر دوره على أنه مناط التكليف، بل أنه حجر الزاوية فى أمر العقيدة، الأمر الذى يؤكد الأهمية الكبرى لنمط وأسلوب التربية فى تدعيم العقل المطبوع عن طريق العلم واكتسابه بأساليب التحصيل المختلفة.

وهذا المنهج هو الذى ناقشه وأشار إليه العلامة. «على بن سلطان محمد القارى» كما سوف نشير إليه فى الصفحات التالية.

لماذا التسمية بالعقل؟

يشير على القارى إلى أن: «العقل يسمى به لعقله، ومنعه صاحبه عما لا يليق به، كما يسمى نهى، لنهيه عن الفحشاء والمنكر ونحوه» ولعل على القارى يشير إلى أن العقل يسمى «نهى» موافقة لما جاء فى القرآن الكريم: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَىٰ﴾(٣) «أى أصحاب العقول».

هذا ويشير الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين إلى أن شرف العقل مدرك بالضرورة، وقد سماه الله نورا فى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾.(٤)

---

(١) سورة البقرة، آية (١٧٠).
(٢) سعيد اسماعيل على. أصول التربية الإسلامية. دار الثقافة للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٧٨م، ص٢٧ ـ ٢٨.
(٣) سورة طه، آية (٥٤).
(٤) سورة النور، آية ٣٥.

كما سمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾(١)

«وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾(٢)

والمراد بالنور والظلمة هنا العلم والجهل(٣). قال تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.(٤)

مفهوم العقل وأقسامه:

يرى العلامة: على القارى أن العقل: «هو الوصف الذى يتميز به الانسان عن سائر الحيوان، وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفيه الفكرية، وكماله: أن تنتهى قوة تلك الغريزة، إلى أن يعرف عواقب الأمور وآخرها، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقسرها وهى القصوى، والدرجة العليا.(٥)

وعن على رضى الله تعالى عنه:

«رأيت العقل عقلين
فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع إذا
لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس
وضوء العين ممنوع»

وتميز الإنسان بالعقل واستعداده لقبول العلوم النظرية والصناعات الخفية، أمر مطبوع فى النفس البشرية فهو غريزة فيها، يقول الحارث بن أسد المحاسبى فى حد

---

(١) سورة الشورى، آية (٥٢).

(٢) سورة الانعام، آية (١٢٢).

(٣) الامام أبى حامد الغزالى. احياء علوم الدين، جـ١. دار الشعب بدون، القاهرة.

(٤) سورة المائدة، آية (١٦).

(٥) استند الباحث فى الحديث عن الآراء التربوية فى العقل لعلى القارى إلى ما ورد فى مخطوطته (محل دراستنا) تحت عنوان «وظيفة العقل»

العقل: «إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لإدراك الأشياء. ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية، فإن الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقدالعلوم(١). أما كمال العقل فيكون بإدراك عواقب الأمور، وقمع الشهوات الداعية إلى اللذة العاجلة فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا، من حيث أن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة، وهذه أيضا من خواص الإنسان التى يتميز بها عن سائر الحيوان.

هذا ويؤكد الإمام الغزالى إلى أن كمال العقل، وإدراكه عواقب الأمور وقمع الشهوات يتم بالاكتساب، بل هو الثمرة الأخيرة والغاية القصوى، كما أن من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يستطيع أن يدرك العلوم من خلال تجاريه التى تجرى مجرى الأحوال، كما أنه يسمى فى العادة عاقلا.(٢)

وأما إيراد قول على رضى الله عنه حول تقسيم العقل إلى:

- العقل المطبوع.
- والعقل المسموع.

فقد فسر هذا الإمام الغزالى فى ضوء ما أشرنا إليه سابقا، حيث اعتبر الغزالى أن العقل المطبوع يشتمل على:

الوصف الذى يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية. وتدبير الصناعات الخفية الفكرية.

العلوم التى تخرج إلى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات: كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد.

---

(١) الإمام ابى حامد الغزالى. إحياء علوم الدين، جـ١، دار الشعب، القاهرة. ص١٤٥. مرجع سابق.
(٢) المرجع السابق، ص١٤٦.

أما العقل المسموع فقد عنى به الغزالى:

العلوم التى تستفاد بالتجارب.

إدراك عواقب الأمور وقمع الشهوات الداعية إلى اللذة العاجلة.[1]

والعقل المطبوع والمسموع صنوان متلازمان للإنسان بهما يتميز عن الحيوان، ويتهيأ لإدراك العلوم النظرية منها والفنية، كما تتكون لديه القدرة التنبؤية، والرؤية البعيدة للأمور، فيستطيع كسر الشهوة العاجلة أملا فى السعادة الآجلة.

هذا ولعل العلامة على القارى يميل إلى نظرة الإمام الغزالى إلى العقل، ومع أن الغزالى من فقهاء، القرن الخامس الهجرى، إلا أن «على القارى» ـ وبالرغم من أنه من المتأخرين (القرن العاشر الهجرى) ـ فالاتجاه السلفى واضح فى فكره، لدرجة أن المنطلق فى كثير من آرائه حول العقل استند فيها إلى الإمام الغزالى.

ويمكن تفسير ذلك، حيث أن العصر الذى عاشه العلامة: «على القارى» شبيه إلى حد ما بما عاشه الإمام الغزالى، من حيث كثرة الفتن وشدة المناظرات العلمية والمذاهب والفرق واضطهاد الحكام والأمراء للعلماء... إلخ.

من هنا فلا غرابة أن يستند «على القارى» فى الكثير من آرائه إلى الإمام الغزالى، وأيا ما كان الأمر فإن «على القارى» ينشد من وراء ذلك إلى: وصول الفرد، إلى أقصى درجة لوظيفة العقل، وهى الترفع فوق اللذة العاجلة، والتحكم فى وظائف الجسم الحسية.

ولا شك أن العقل إذا اكتمل على هذه الهيئة، يستطيع أن يصل الإنسان به إلى درجة الاشراق والشفافية، من باب: «عبدى أطعنى أجعلك عبدا ربانيا تقول للشىء كن فيكون».

●●

---

(١) الإمام أبى حامد الغزالى. احياء علوم الدين، مرجع سابق ص١٤٥ ـ ١٤٦.

أوصاف العاقل:

بعد أن عرض العلامة «على القارى» لحديث ابن المسيب، والذى روى فيه أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة سألوا رسول الله ﷺ عن:

- أعلم الناس.
- أعبد الناس.
- أفضل الناس.
- أتقى الناس.

وأجابهم ﷺ، إجابة واحدة فى كل مرة «العاقل» أقول بعد أن عرض «على القارى» هذا الحديث يمكن القول:

إن: العالم - العابد - الفاضل - المتقى، هى صفات العاقل، وإن كان فى الدنيا خسيسا دنيا، كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيبا من سألوه: «أليس العاقل من تمت مروءته، وظهرت فصاحته، وجادت كفه، وعظمت منزلته؟: أجاب ﷺ قائلا: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.(١)

إن العاقل هو المتقى وإن كان فى الدنيا خسيسا دنيا».

هذا ولعمرى أن تلك المفاهيم حول العقل والتى استند فيها «على القارى» إلى الأحاديث الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ تختلف تماما عن المفاهيم الحديثة حول العقل، والتى يحتكم إليها الناس فى عصرنا، فهى باطلة شرعا، خصوصا وأنها تستند إلى معايير ومقومات غير إسلامية ومنها:

- اللباقة فى الحجة.
- القدرة على إفحام الخصوم.
- التظاهر بصفات الجود والكرم وليست خلقا فيهم.

---

(١) سورة الزخرف، آية (٣٥).

- التزلف والتقرب للحكام ليأكلوا فريقا من أموال الناس بالباطل.

- المباهاة والغرور بعلو الهمة وكمال المروءة والمنزلة.

من هنا فمفهوم العقل بمنطق العصر الحديث، مفهوم دنىء، يحمل بين طياته عوامل هدمه، وهذا بالطبع ما تؤكده الوقائع وتشهد به الأحداث.

أفليس الأمر يتولاه من ليس له أهلا، لا عقلا ولا دينا، ولا فضلا ولا تقوى، إنما هى مواصفات تعتمد على المظهر (أهل الثقة) أكثر من اعتمادها على المخبر (أهل الخبرة).

وبناء على ذلك يكون «على القارى» قد أطل علينا بتلك المفاهيم والمعايير حول العقل، والتى هى مفاهيم الإسلام، وبل وكشف النقاب من خلال الآيات والأحاديث عن الأصول الاعتقادية فى فهم ووصف العاقل.

ولا شك أن «على القارى» بهذا المنهج يعتبر من المفكرين والمربين الذين حاولوا جهد طاقتهم أن يكشفوا للناس عيوب عصرهم، وأن يرسلوها صريحة أمام جمهرة المسلمين.

والتربية فى عصرنا الراهن، ومدارسنا جزء منها، فى حاجة أن تسترشد بتلك القواعد حول معنى العقل، ومعنى العاقل، ومواصفاته، أملا فى بناء فكر مسلم قوامه العبادة والعلم والتقوى.

فضل العقل:

العقل ضد الحمق، والعاقل ضد الأحمق، والفرق كبير بينهما، فالعقل هو الذى يميز العباد أمام ربهم، فبقدر عقل الرجل، تكون درجة قربه من ربه، والعكس بالعكس، فالأحمق يستطيع أن يحقق بحمقه الكثير، بل وأكثر من الفاسق الفاجر.

وفى هذا بيان صريح فى فضل العقل، وأن الناس لا يتفاضلون إلا بالعقل. ولا شك أن العلامة «على القارى» قدتبنى هذا الاتجاه، ودافع عنه إلى أبعد مدى، بل

واستدل بالكثير الغزير من الآيات والأحاديث التى تؤكد هذا التوجه وإن كان يؤخذ على العلامة «على القارى» الاستشهاد ببعض الأحاديث الضعيفة ومع ذلك فلنا أن نعتمد من الأحاديث فى فضل العقل والتى استدل بها «على القارى» على الصحيح منها. من ذلك:

ما رواه أنس: قال: «أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ حتى بالغوا «فقال عليه السلام»: كيف عقل الرجل؟» فقالوا: «نخبرك عن اجتهاده فى العبادة وأصناف الخير، وتسألنا عن عقله!!! «فقال: إن الأحمق يصيب لحمقه أكثر من فجور الفاجر، وإ نما يرتفع العباد غدا فى الدرجات من ربهم على قدر عقولهم».

هذا وقد استدل الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين على فضل العقل بحديث صحيح رواه البراء بن عازب رضى الله عنه حيث قال: «كثرت المسائل يوما على رسول الله ﷺ، فقال: «يا أيها الناس إن لكل شىء مطية ومطية المرء العقل، وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا(١)» الحديث: ابن المحبر وعنه الحارث.

وإذا كان هذا هو مفهوم الإسلام فى فضل العقل، فإن الإسلام بذلك يكون قد سبق ما نادت به التربية الحديثة، فى إحدى مفاهيمها التى ترمى إلى أن التربية: «هى إعداد العقل السليم فى الجسم السليم» وهذا المفهوم برز «نتيجة لاعتقاد البعض أن المعرفة هى موضوع التربية، وأن سلوك الإنسان إنما يتأتى عن طريق معرفته، ويعتبر هذا المفهوم من أقدم المفاهيم التى قدمت للتربية، نجده عند أفلاطون وأرسطو، والتربية التقليدية تلتزم به على طول الخط، ومع الاتجاه المثالى فى الفلسفة، منذ الفكر اليونانى، وحتى اليوم، وظل مع الاتجاه المسمى بالعقلانى».(٢)

ولا شك أن هذا مؤداه أن العقل له الفضل الأول فى التأثير على الجسم إلى درجة كبيرة، ونحن لو تتبعنا هذا المعنى لوجدنا أن هناك تلازما بين الأثر العقلى

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالى. احياء علوم الدين. جـ١، مرجع سابق، ص١٤٣.

(٢) إبراهيم عصمت مطاوع: أصول التربية. دار المعارف. ط ٣. ١٩٨٣م، القاهرة ص٢٨.

والحالات الجسمية، فكل عمل عقلى يؤثر فى الجسم تأثيرا يتفاوت وقوة العمل العقلى.(١)

وعلى وجه العموم فإن وجهة نظر الإسلام حول فضل العقل، والتى تبناها العلامة «على القارى» تفوق نظرة التربية الحديثة حول فضل العقل فالإسلام لا يقصر أفضلية العقل وتأثيره فقط على الجسم، بل إن العقل يبلغ فضله درجة عالية، هى تمام إيمان المؤمن واستقامة دينه، وهدايته إلى طرق الخير وإبعاده عن طرق الهلاك. يؤكد هذا المعنى ما أورده «على القارى» فى مخطوطته من الحديث الصحيح الذى رواه عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اكتسب رجل مثل فضله عقل يهدى صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله» ابن المحبر فى العقل وعنه الحارث بن أبى أسامة.

التفاضل بالعقل:

يقيم الإسلام للعقل وزنا يصل به إلى درجة لا تضاهيها قيمة أخرى من القيم، فالنصر فى المعركة يعتمد على العقل، وبمقدار نية الرجل وصدق يقينه وقوة إرادته، وسمو عقله، يكون بلاؤه فى القتال، فلا وزن لشجاعة غير محسوبة، ولا قيمة لشهامة فى تهور، إنما مقياس ذلك فى الإسلام، يعتمد على درجة العقل التى تتوفر فى الفرد الإنسان.

استند العلامة «على القارى» فى إبراز هذا الجانب، استند إلى الحديث الصحيح الذى رواه أبو هريرة قال: «لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أحد سمع الناس يقولون: «كان فلان أشجع من فلان، وفلان أبلى ما لم يبل فلان ونحو هذا» فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فلا علم لكم به» قالوا: «وكيف ذاك يا رسول الله؟ : فقال: «إنهم قاتلوا على قدر ما قسم لهم من العقل، وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم، فأصيب منهم من أصيب، على منازل شتى، فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم» ابن المحبر.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠.

هذا كما استشهد «على القارى» على التفاضل بالعقل، بالحديث الصحيح الذى رواه البراء بن عازب، أن النبى ﷺ قال: «جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله تعالى بالعقل، وجد المؤمنون من بنى آدم على قدر عقولهم، فأعملهم بطاعة الله أوفرهم عقلا» ابن المحبر فى مسنده.

وهذه الأحاديث تدلل بما لا يدع مجالا للشك، أن العقل درجات، وأن التفاوت قائم بين الناس بالعقل على ما سوف يأتى بيانه بعد قليل.

شرف العقل وثمرته:

لما كان العقل وعاء ومنبعا للعلم، وأساسا ومنطلقا به، خصوصا وأن العلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس، والرؤية من العين، لما كان الحال كذلك، كان شرف العقل مدركا بالضرورة، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة؟

هذا وكيف يحدث شك حول شرف العقل، والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل، حتى أن أعظم البهائم بدنا، وأقواها سطوة، إذا رأى صورة الإنسان احتشمه وهابه، لشعوره باستيلائه عليه، لما خص به من إدراك الحيل. قال ﷺ: «الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته» وليس ذلك لكثرة ماله، ولا لكبر شخصه، ولا لزيادة قوته، بل لزيادة تجربته التى هى ثمرة عقله.(١)

هذا وقد أكد العلامة «على القارى» شرف العقل باستدلاله بحديث رواه الترمذى: «وما خلق الله خلقا هو أكرم عليه من العقل» كما استدل كذلك بما رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث على: «إذا اكتسب الناس من أنواع البر يتقربون بها إلى ربنا عز وجل، فاكتسب أنت أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة».

كما أكد الإمام الغزالى هذا المعنى مستدلا عليه بحديث طويل رواه ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شىء آلة وعدة، وإن آلة المؤمن العقل،

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالى: إحياء علوم الدين. جـ١، مرجع سابق ص١٤٠ ـ ١٤١.

ولكن شىء مطية ومطية المرء العقل، ولكل شىء دعامة، ودعامة الدين العقل، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل، ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم، وقيم بيوت الصديقين العقل، ولكل خراب عمارة، وعمارة الآخرة العقل، ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به، وعقب الصديقين الذى ينسبون إليه ويذكرون به العقل، ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل».

من هذه الاستشهادات والاستدلالات يتضح أن العقل له من الشرف والمنزلة ما لا يضاهيه ولا يجاريه فيه شىء آخر، حتى أنواع البر التى يتقرب بها العباد إلى ربهم، يتفوق عليها العقل.

من هذا المنطلق فلا غرابة أن ينبه الأئمة الأربعة على أهمية الاستدلال بالعقل، تأكيدا لشرفه وتعزيزا لثمرته. يقول الفقيه أبى الليث السمرقندى: «حدثنا إبراهيم أبى يوسف عن أبى حنيفة أنه قال: «لا يحل لأحد أن يأخذ قولنا مالم يعلم من أين قلناه» وروى عن عصام بن يوسف أنه قيل له: «إنك تكثر الخلاف لأبى حنيفة». فقال: «إن أبا حنيفة قد أوتى مالم نؤت، فأدرك فهمه مالم ندركه، ونحن لم نؤت من الفهم إلا ما أوتينا، ولا يسعنا أن نفتى بقول مالم نفهم من أين قلناه».(١)

طرق اكتساب العقل:

إذا كنا قد أشرنا إلى أن هناك نوعين من العقل:

- عقل مطبوع (يتم بالغريزة التى تطبع فى الإنسان).
- وعقل مسموع (يكتسب بالتجارب والتحصيل).

إذا كنا قد أشرنا إلى ذلك، فإن المساحة التى يستطيع الفرد أن يتحرك ويحدث نوعا من التنمية فيها، هى العقل المسموع (المكتسب) بمعنى أن الفرد يستطيع

(١) سعيد إسماعيل على: أصول التربية الإسلامية. مرجع سابق ص٢٩.

بالتعلم، والتجارب والخبرة، أن يضيف إلى رصيده من العقل الكثير إذا استخدم المنهج الإسلامى فى ذلك.

ولقد أشار العلامة «على القارى» إلى هذه الطرق، مستندا إلى الحديث الصحيح الذى يحصرها فى:

اجتناب محارم الله.

أداء الفرائض الواجبة لله رب العالمين.

الالتزام بعمل الصالحات.

ونص الحديث فى ذلك أن رسول الله ﷺ قال لأبى الدرداء: «إذا ازددت عقلا ازددت من ربك قربا» فقال: «بأبى أنت وأمى فكيف لى بذلك؟» فقال: «اجتنب محارم الله، وأد فرائض الله، تكن عاقلا، وأعمل بالصالحات من الأعمال، تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة، وتنل بها من ربك قربة وعزة».

ولا شك أن أساليب التربية لو استخدمت هذه الطرق، ودعت من خلال مناهجها إلى الالتزام باجتناب المحرمات، وأداء الفرائض، وعمل الصالحات لاختفت مظاهر كثيرة من انحراف الشباب، بل سوف يتمسك الشباب بالقيم التربوية الإسلامية، مثل: الصدق، الأمانة، وصيانة المراق العامة، والحشمة، وحب الانفاق والتصدق فى سبيل الله.

التفاوت فى العقل:

الناس متفاوتون فى قدرة العقل على الإدراك، والعقل ينمو مع الفرد الإنسان وفق عمره الزمنى، كما أن كمال العقل يحدث فى سن الأربعين.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١)

---

(١) سورة الأحقاب، آية (١٥).

من هنا يمكن القول: أن هناك فروقا فردية بين الناس، وأن هناك تفاوتا واضحا بينهم، وضوح الفرق بين نور البصيرة ونور البصر.

ولقد استدل العلامة «على القارى» على هذا التفاوت فى العقل، وأيضا على التدرج فى تمامه استدل بتلك المقولة: «ثم التفاوت فى العقل الذى هو الغريزة فلا سبيل إلى جحده، فإنه مثل نور يشرق على النفس، ويطلع صبحه ومبادئ إشراقه عند شمس التمييز. ثم لايزال ينمو ويأخذ فى التدريج إلى أن يتكامل بقرب أربعين سنة. ومثاله نور الصبح، فإن أوائله تخفى خفاء يشق إدراكه، ثم يتدرج إلى الزيادة، إلى أن يكمل بطلوع قطر الشمس. وتفاوت نور البصيرة، كتفاوت نور البصر، والفرق بين مدرك الأعمش وبين مدرك الحاد البصر، بل سنة الله جارية فى جميع خلقه بالتدريج، حتى أن غريزة الشهوة لا تركب فى الصبى عند البلوغ دفعة وبغتة، بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج، فكذلك جميع القوى والصفات. ومن أنكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة، كان متخلفا عن رتبة العقل الغريزى».

وهذا يؤكد أن منهج التدريج هو المنطلق الحقيقى فى الإسلام، والقاعدة الشرعية أن التمييز عند الصبى والبلوغ هما مناط التكليف، ولم يكن ذلك كذلك إلا باكتمال العقل عند الإنسان.

هذا وقد ألمح العلامة «على القارى» إلى تفاوت المتعلمين ، وفقاً لتفاوت عقولهم. ويمكن وضعهم فى تصنيفات ثلاث:

بليد لا يفهم إلا بالتفهيم.

ذكى يفهم بأدنى رمز.

كامل تتبعث عن نفسه حقائق الأمور دون التعلم.

وهذا الصنف الأخير ينحصر فى الأنبياء، حيث تتضح لهم فى بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم أو سماع. ويعبر عن ذلك بالإلهام.

قال تعالى: ﴿يَكَادُ زيتها يضيء ولو لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.(١)

وللإمام الغزالى فى هذا طول باع، فقد أشار إلى تقسيم الناس وفقا لدرجة عقولهم فمنهم:

- من يتنبه من نفسه ويفهم.
- من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم.
- من لا ينفعه التعليم ولا التنبيه.

وقد شبه الإمام الغزالى تلك الأصناف الثلاثة، بانقسام الأرض إلى:

- ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا.
- ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات..
- مالا ينفع فيه الحفر وهو اليابس.

وهذا التشبيه يعتمد على اختلاف جواهر الأرض فى صفاتها، سواء بسواء كاختلاف النفوس فى غريزة العقل.(٢)

الفرق بين العلم والعقل:

إذا كنا فى العملية التعليمية، نؤكد على أهمية توفر قدر من الذكاء يستطيع المتعلم من خلاله أن يحصل ما يلقى إليه، وإذا كنا نحاول دائما ان نقارب بين الطلاب فى أمر التحصيل، ونضع التلاميذ المتقاربى الذكاء فى فصل واحد، بحيث تكون الفروق الفردية بينهم متقاربة، إذا كنا نفعل ذلك استجابة لنظريات التربية الحديثة، فإن التربية الإسلامية قد أكدت ذلك من خلال المفكرين المسلمين، ومنهم العلامة «على القارى» الذى أشار إلى أن هناك فرقا واضحا بين العلم فى ذاته، وبين قدرة العقل البشرى على تحصيل ذلك العلم.

---

(١) سورة النور، آية (٣٥).

(٢) أبو حامد الغزالى، احياء علوم الدين جـ١. ص١٥١. مرجع سابق.

هذا وقد ذكر «على القارى» استشهادا على ذلك بما أورده فى مقام التفرقة بين العلم والعقل، حيث قال: «وإذا أردت أن تفرق بين العلم والعقل فاعلم أن أحداً من السلاطين سلم ولدا له إلى أحد من الرمالين ليتعلم علم الرمل على وجه التخمين، فاجتهد الرمال فى تعليم الولد مدة من زمن الاستقبال، إلى أن صار من جهة العلم فى غاية الكمال، فأتى به إلى السلطان وقال: «ما كان فى وسعى من العلم فعلمته فى غايته، لكن ليس لى علاج فى قلة عقله وعدم فطانته» فقال له: «كيف هذا؟» فقال: «يخفى السلطان فى يده شيئا ويجريه» «فأخذ خاتمه فى كفه» وقال له: «ارم الرمل» فرماه، وقال: «شيء معدنى» ورماه ثانيا: فقال: «مدور» ورماه ثالثا، فقال: «مجوف» فقيل له: «فماذا يكون؟».

قال: «رحى» فلو كان فيه عقل لعرف أن لا يتصور وجود رحى فى كف أولى النهى ومن هنا قال تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾.(١)

هذا وقد أنهى «على القارى» حديثه عن العقل بما يفيد أن العقل فى المنهج الإسلامى يستدل به فى الاحكام، وهو مناط التكيف، وان العقل لا ينفع بدون النقل، كما أن النقل لا ينفع بدون العقل، فكلاهما صنوان مقترنان، لا يفترقان ولا يغنى أحدهما عن الآخر.

تعليق:

هذا وإذا كان لنا أن نستثمر هذا الفكر، وتلك الآراء التربوية، حول مفهوم العقل، وفضله، وشرفه، وثمرته، وطرق اكتسابه، وتفاوت الناس فيه، إذا كان لنا أن نستثمر تلك الآراء، فنستطيع أن نقول: إن مدارسنا وطرق التربية فيها والعاملون بها وعلى رأسهم المعلمون، بل وأولياء الأمور، الجميع فى حاجة إلى فهم هذه الحقيقةمن التفاوت فى العقول، بدلا من النحت فى الصخور وانفاق الأموال الضخمة على كم من المتعلمين، لا تتوفر لديهم أدنى درجة من الذكاء، الأمر الذى أقحم البلاد فيما لا

---

(١) سورة العنكبوت، آية (٤٣).

تحمد عقباه، فقد بات التعليم وكرا يحتوى ملايين البشر على اختلاف عمرهم الزمنى، يقضون فترة من الزمن ثم يغادرون معاهد التعليم، دون اكتساب لمهارة أو علم يمكن الاعتماد عليه.

من هنا اختلط الحابل بالنابل، ونسمع بين الحين والآخر، من ينادى بإلغاء المجانية، أو من ينادى بفتح الجامعة الأهلية، وهى محاولات تخفى وراءها ضيق الأفق، وعدم الاستيعاب الحقيقى للعملية التربوية، وأنها ليست فقط لمن يملكون المال، وإنما هى فى حقيقتها لمن وهبه الله عقلا راسخا وإدراكا وفهما للأمور.

وأليس من نراهم اليوم من كبار العلماء، أليسوا هم أو بعضا منهم من أبناء الفقراء؟

من هنا فقضية المجانية دعوى باطلة!!! وقضية الجامعة الأهلية دعوى هروبية من مواجهة الحقيقة، بل ووكريحتضن بين جنباته من بيدهم المال!!! ولا شك أننا فى حاجة ماسة إلى فهم حقيقة هذا التفاوت فى العقل، خصوصا وأن التربية الحديثة على شتى طرقها ووسائلها، واختلافها من حيث الأهداف والفلسفات، تكاد تتفق على مبدأ أساسى وجوهرى: «هو مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين».

هذا ونؤكد أن الإسلام قد نادى قبل تلك الفلسفات بأهمية تلك الفروق بين الخلق، فرفع الكلفة عن الصبى حتى يبلغ، وعن السكران حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ،.... إلخ وهذا من باب قول الحق تبارك وتعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾.(١)

وقوله عز وجل: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.(٢)

ومن عجيب أن أولى الأمر من رجال التربية، رغم إدراكهم بتلك الحقائق، فإنهم يصرون على المغالطات، وأن فشل التعليم مرده فقط الكثرة الكثيرة من المتعلمين،

---

(١) سورة الطلاق،، آية (٧).

(٢) سورة البقرة، آية (٢٨٦).

ونسوا أن كما هائلا من المتفوقين من أبناء الفقراء، وأن الندرة اليسيرة من الأذكياء يكون من أبناء الأغنياء، وهذا يؤكد أن العقل ودرجاته مطبوعا كان أو مسموعا، بالغريزة كان أم بالاكتساب لا يميز بين الأغنياء والفقراء.

فحرى بنا أن نتبنى الموهوبين والأذكياء والمتفوقين، وأولى العقل الراجح، نتبنى هؤلاء كما تفعل الدول المتقدمة، ووقتها فقط سيوضع كل فرد فى المكان الذى يناسبه، بصرف النظر من أية فئة ينحدر، وإلى أية أسرة ينتمى. وهذا هو عدل السماء، بل وهو الاستجابة الحقيقية للتمييز بين الناس بالعقل المطبوع (الغريزى) والعقل المسموع (المكتسب).

■■■

التربية السياسية فى فكر العلامة «على القارى»:

سيناقش الباحث التربية السياسية فى فكر «على القارى» وفقا للتالى:

تمهيد.

تطور نظام الخلافة فى الإسلام.

العلماء والسلاطين.

الحاكم ونظام الشورى فى الإسلام.

مبدأ الشورى والتربية فى الإسلام.

تعقيب.

تمهيد

لقد انتشرت فى المجتمعات الإسلامية قيم سياسية متهاوية، انهارت بسببها تلك المجتمعات، وانتشر الفساد، وعم البلاء، وزاد الصراع حول تولى السلطة، وتفشت ظاهرة خداع الجماهير، كما استقرت السلبية فى المشاركة السياسية لدى كثيرين، خصوصا من ذوى العلم والفكر وحل النفاق محل الاستقامة، وممالأة الحاكم بدلا من النصح له، كما ظهرت قضية فصل الدين عن السياسية بدلا من التحامهما..... إلخ.

فى ظل تلك الظواهر المدمرة، نسى الحكام أو تناسوا، أن بصلاحهم تصلح الرعية وبفسادهم يفسد أمرها، فالحكام هم القدوة للمجتمع.

والعلماء لا يقلون عن الحكام بحال من الأحوال، لأنهم المثل الأعلى للمسلمين، وهم القدوة وقادة الدين. ولا نبالغ إذا أكدنا أن المجتمع الصالح من يتوفر فيه:

الأمراء الصالحون المصلحون والمنفذون لدعوات الخير.

العلماء الذين يدركون الحق ويصرحون به، دون أن يخافوا لومة لائم.

والواقع المشاهد يرينا انصراف أمم وشعوب المجتمعات الإسلامية عن حكامها، عدا شرذمة قليلة من الناس، ترى فى التقرب من السلطان تحقيقا لمآربها وأهدافها على حساب مصلحة الجماهير الكادحة، والواقع المشاهد يرينا كذلك انصراف الكثيرين من المسلمين من الالتفاف حول علماء الدين، لأنهم يمالئون الحكام، رغم تأكدهم أنهم لا يحكمون بما أنزل الله.

والشـبـاب المسلم إزاء هذا حـائر ومـعـرض، فـتـراه يتطرف فى فكره، إلى حـد الإسراف، فى مواجهة الفساد اللا محدود الذى استشرى فى المجتمع المسلم.

هذا ويناقش يوسف القرضاوى تلك الظاهرة ويموزها إلى:

فقدان ثقة الشباب فى العلماء المحترفين من رجال الدين مما اضطر الشباب للجوء إلى كتب الدين.

بعض علماءالدين يتقربون من السلطان، فهم متهمون فى نظر الشباب المسلم.

رغم تأكد علماء الدين أن الحاكم لا يحكم بما أنزل الله، فإنهم يمالئون الحاكم تقربا وزلفى.

إشادة بعض علماء الدين بالحاكم بقولهم «ما أعدلك وما أعظمك» بدلا من أن يردوه عن ظلمه وغيه.

بعض علماء الدين يدورون فى فلك الحكام، فإن ارادوا الحل حللوا وان أرادوا الحرمة حرموا.

بعض علماء الدين يباركون أنظمة الحكم، اشتراكية كانت أم رأسمالية، بل تراهم يضلون وينسبون كلاهما للإسلام.(١)

هذا ويطالعنا العلامة «على القارى» فى مفتتح مخطوطته «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» يطالعنا بمناقشة قضية الظلم، ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، وظلم العباد فيما بينهم.

ويستشهد بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.(٢)

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾.(٣)

---

(١) يوسف القرضاوى، الصحوة الإسلامية الجمود والتطرف، كتاب الأمة، العدد (٢) شوال ١٤٠٢هـ، ص ص٩٠ ـ ٩١.
(٢) سورة هود، آية (١١٣).
(٣) سورة الاسراء، آية (٧٤).

ويعرف الظلم فى اللغة بأنه: «وضع الشيء فى غير موضعه؟» وأقواه الشرك وأنواع الكفر، لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عظيمٌ﴾.(١)

وأدنى الشرك: وضع محبة غير الرب فى ميدان القلب. يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.(٢)

وهذا النوع من الشرك هو الشرك الخفى. هذا كما يعرف «على القارى» الظلم عرفا بأنه: «التعدى إلى مال الغير وعرضه ودمه بغير وجه شرعى» وهو من أقبح أنواع الظلم وأبعدها عن العفو والحلم».

وكما دلل «على القارى» على أنواع الظلم من القرآن الكريم، فقد استشهد من السنة أيضا بما يؤكد ذلك بحديث: «الدواوين ثلاثة: فديوان لا يغفر الله منه شيئا، وديوان لا يعبأ الله به شيئا، وديوان لا يترك الله منه شيئا فأما الديوان الذى لا يغفر الله منه شيئا، فالإشراك بالله، وأما الديوان الذى لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك إن شاء ويتجاوز. وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بينهم، القصاص لا محالة» حديث صحيح.

بهذه الافتتاحية القوية، يُطل علينا «على القارى» باستشهادات تؤكد تماما أن أفظع أنواع الظلم هو الذى يقع بين العباد بعضهم بعضا، وخصوصا إذا صدر من الحاكم.

هذا ويستدل العلامة «على القارى» على أن الفتيا فى الأحكام والقضايا من توابع الولاية، دليلا على أن الحاكم بيده مقاليد الأمور كلها، فهو إن اتصف بصفة الأمانة فقد عدل، وإلا فهو ظالم نفسه. يقول «على القارى» ولقدكان ابن عمر... إذا سئل

---

(١) سورة لقمان، آية (١٣).

(٢) سورة الكهف، آية (٢٨).

عن الفتيا يقول للسائل: «اذهب إلى هذا الأمير الذى تقلد أمور الناس، ووضع الأمانة فى عنقه، إشارة إلى أن الفتيا فى القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة».

هذا ولا نشك تماما أن القرآن الكريم والسنة المطهرة فرضا علينا أن نطيع أولى الأمر من ولاة المسلمين الذين يحكمون بالعدل، ويؤدون الأمانات إلى أهلها، كما يرعون شئون الأمة دينيا ودنيويا، لا نشك لحظة واحدة فى ذلك ولكن من الواجب شرعا إقامة حاكم أعلى للأمة يوجد تحت سلطته من يعاونه من الحكام والولاة الآخرين. وإلا لانتهينا إلى القول بوجوب طاعة من لا تجب إقامته وهذا بدوره أمر لا جدوى من ورائه، ولا معنى له، فهو أمر لا يقره عقل أو منطق سليم.(١)

وما أشبه الليلة بالبارحة، فإذا كان «على القارى» من القرن العاشر الهجرى، يتبنى قضية الولاة والسلاطين والأمراء، ومدى تقارب أو تباعد العلماء منهم، وينوه بفساد القراء،(٢) بتزلفهم من الأمراء والحكام، إذا كان الأمر كذلك، فإن حال المجتمع الإسلامى المعاصر، قد ازداد سوءا عن ذى قبل، وتفشت وسائط تردى بها العلماء فى مستنقع أنظمة الحكم المختلفة، واختفت كلمة الحق وحل محلها التملق والرياء.

هذا وقد غدت فكرة الحاكم المتصف بالورع والدين والتقوى، غدت حلما من الأحلام فى عالم اليوم، حتى أن مناهج التربية الحديثة اختفت منها تلك الأسس وحل محلها التربية الفردية «تأليه الفرد» نلمح ذلك فى العلوم الإنسانية والتجريبية على السواء، لدرجة أن المتعلم أصبح قد تقولب فى فكر فردى، يدور فى إطاره، ويتحرك من خلاله، وغدت العقول البشرية ممسوخة أو كادت فهى تابعة ومنقادة، ولا حول لها ولا قوة، بل إن فكرة الحق والواجب تاهت معالمها من قاموس الحياة الاجتماعية، خصوصا وأن التربية السياسية للفرد تنصاع لاحتكار فئة حاكمة، خلا من فكرها مفهوم تربية الفرد الحر الديمقراطى، الواعى، المستنير بحقوقه وواجباته... إلخ.

---

(١) محمد يوسف موسى، نظام الحكم فى الإسلام، دار الكتاب العربى، ط٢، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٤٧.

(٢) المقصود «رجال الدين».

وإذا كنا ندعى حقا أن التربية أداة المجتمعات فى التغيير ووسيلتها فى النهوض بمستوى أفرادها فى شتى المجالات، فهل حقيقة توفرت فى التربية الحديثة مقومات بناء المواطن الحر، الذى يمارس حقه فى الانتخابات، ويمارس حقه فى جميع مؤسسات المجتمع؟

لا شك أن التربية السياسية غائبة فى مجتمعاتنا تماما، وصرنا نردد طقوسا جوفاء ترضى الحكام، وتشبع طموحاتهم، وتؤمن فترة بقائهم فى الحكم، ولم يكتب للتربية فى عالم اليوم بناء الفرد المسلم، والحاكم المسلم، والمسئول المسلم.

وهذا يستتبع بالضرورة، إلقاء نظرة حول تطور أنظمة الخلافة فى الإسلام، حتى نستبين كيف كنا وإلى أين صرنا .

تطور نظام الخلافة فى الإسلام:

يناقش العلامة «على القارى» نظام الخلافة فى الإسلام ويحددها فى تطورات أربع:

التطور الأول:

وهو الخلافة بعد رسول الله ﷺ، والتى تولاها الخلفاء الراشدون المهديون، والذين كان من صفاتهم:

العلم بالله تعالى.

التفقه فى أحكامه.

الاشتغال بالفتاوى فى الأقصية.

عدم الاستعانة بالفقهاء إلا فى وقائع لا غنى فيها عن المشاورة.

وفى هذه الفترة تفرغ العلماء لعلوم الآخرة. يقول العلامة «على القارى» «فتفرغ العلماء لعلم الآخرة، وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى، وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على المولى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم».

التطور الثانى:

وقد آلت فيه الخلافة إلى قوم تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام فاضطروا إلى:

- الاستعانة بالعلماء والفقهاء.

- اللجوء فى الاستفتاء إلى الفقهاء.

- تولية العلماء والفقهاء القضاء والحكومات.

هذا ولما تكشف للعلماء إقبال الأئمة والولاة عليهم، أقبلوا على علم الفتاوى، أملا فى التوصل إلى نيل العز وطلب الجاه. يقول «على القارى».. «فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولايات والصلاة لديهم فمنهم من حرم ومنهم من تبجح، فالمتبجح لم يخل من ذلك الطلب ومهانة التبذل فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين، أذلة بالإقبال عليهم، إلا من يغضه الله تعالى فى كل عصر من علماء الدين، وقد كان أكثر الإقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية، لشدة الحاجة إليها فى الولايات والحكومات».

التطور الثالث:

وقد آلت الخلافة فى تلك الفترة إلى قوم مولعون بسماع المقالات والحجج لما فيها من الفوائد، مما مال بالأمراءإلى الرغبة فى المناظرة والمجادلة فى الكلام. يقول العلامة «على القارى» فانكب الناس على علم الكلام وما يتعلق به من الأحكام، وتركوا سائر أحكام الإسلام واستمرسوا فنون المناقضات وأصناف المفاوضات فى المقالات. وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله وقمع البدعة والتدافع عن السنة..».

التطور الرابع:

وفى تلك الفترة، مال الأمراء إلى تقبيح المناظرة، لما يتولد عنها من فتح باب التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة التى قدتفضى إلى إراقة الدماء، وتخريب

البلاد، وإشاعة الفوضى والفساد، من هنا مال الأمراء إلى علوم الفقه على مذاهبه جميعا. يقول «على القارى» فترك الناس الكلام وفنون علوم الإسلام وانسالوا على المسائل الخلافية بين الحنفية والشافعية وتساهلوا فى الخلاف مع المالكية والحنبلية، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع. واستخراج حقائق الأصل والفرع، وتقرير علل المذاهب وأدلتها، وتمهيد أصول الفتاوى وتتمتها، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات وزينوا فيها المجادلات».

هذا كما يستشهد «على القارى» برأى الإمام الغزالى، والذى يؤكد أن نفوس العلماء تميل حيث يميل الإمام، يقول الغزالى «... ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر وإلى علم آخر لمالوا أيضا معهم، وزعموا أن ما اشتغلوا به هو من غلم الدين، وأن لا مطلب لهم إلا التقرب إلى رب العالمين......».

ولعمرى أن تلك طامة كبرى تواجه المجتمع الإسلامى، فإذا كانت تلك هى الصورة منذ مئات السنين، فكيف بها الآن، وقد اتسع الخرق على الراقع. وبشكل محدد فإن الخلافة فى الإسلام تحولت فى العصر الحالى إلى وكر للحكام، يستخفون وراءه لتنفيذ رغباتهم، وإشباع أهوائهم الدنيوية، ويشايعهم فى ذلك بطانتهم، ومن لف لفهم.

من هنا يرى الباحث أهمية مناقشة قضية العلماء والسلاطين وما هى شروط الحاكم المسلم؟

وهل للدين علاقة بالسياسة أو الدولة؟ ثم ما موقف نظام الحكم فى الإسلام من قضية الشورى؟ وما أسباب تردى العلماء فى ركاب الحكام الظلمة؟ وهل هناك صفات للعالم المسلم؟

هذا ما سنناقشه فى ضوء آراء العلامة «على القارى» من خلال مخطوطته وفى ضوء الفكر الإسلامى فى العصر الحديث.

●●

العلماء والسلاطين:

يميل العلامة «على القارى» فى آرائه التى أودعها مخطوطته، يميل إلى ضرورة فرار العلماء من السلاطين الظلمة، ويؤكد على أن العالم إذا تقرب من السلطان، وسعى إليه، ووقف ببابه، فهو متهم فى دينه.

هذا ويستشهد «على القارى» على ذلك بقول سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخى: «ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال هو عند الأمير. قال: وكنت أسمع أنه يقال: إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم، حتى جربت، إذا ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج، فإذا عليها الدرك[1] وأنتم تعلمون وترون ما ألقاه به من الفظاظة[2] والغلظ وكره المخالفة لهواه، ولوددت أنى أنجو من الدخول عليه كفافا، مع أنى لا آخذ منهم شيئا، ولا أشرب لهم شربة ماء. ثم قال: علماؤنا شر من علماء بنى إسرائيل، يجيزون السلطان بالرخص، وبما يوافق هواه، ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم»

من هنا يمكن القول أن:

- العالم المحب للدنيا، الراغب فى صحبة السلطان متهم فى دينه.

- العالم الذى يتردد على السلطان لا ينجو من ارتكاب المعاصى بموافقته للسلطان.

الغالب الأعم أن العالم الذى يغشى أبواب السلاطين يجيزهم بالرخص التى توافق هواهم.

العالم الذى يخالف السلطان فيما ذهب إليه، ويفتيه بما لا يوافق هواه، لاحظ له عند السلطان، فهو يكره دخوله عليه. وقد يكون فى ذلك نجاته عند ربه.

---

(١) الدرك بمعنى الذنب والمؤاخذة.

(٢) الفظاظة: القسوة والإساءة. انظر: المعجم الوسيط (فظظ).

هذا ويستمر «على القارى» فى الاستشهاد على أن العالم الذى يغشى أبواب السلاطين متهم، يقول سعد بن أبى وقاص لبنيه بعد أن ألحوا عليه فى ارتياد أبواب السلطان يقول: «يا بنى، لأن أموت مهزولا احب إلى من أن أموت منافقاً سميناً».

قال الحسن: «خصهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان».

والإمام «على القارى» يرى بعدم قبول شهادة العلماء الذين يعينون السلاطين، لأنهم إما ظلمة أو فسقه. يقول: «وإذا كان من أعوان الظلمة، فيتعين أن لا تقبل شهادته على أحد، فإنه إما ظالم أو فاسق».

هذا ويستشهد «على القارى» على ضرورة أن يعتز العالم بنفسه، ويرتفع بهامته، ولا يطلب الدنيا فى ذل، يستشهد بقول بعض المشايخ: «إن ما قدر لماضغيك أن يمضغاه فلا يمضغه غيرك، فكل ويحك رزقك بالعز ولا تأكله بالذل «وهذا من باب قول النبى ﷺ لابن مسعود: فى الخبر المأثور: «ليقل همك ما قدر يأتيك ومالم يقدر لم يأتك».

ويؤيده قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾.(١)

ولا شك أن العلامة «على القارى» وهو العالم الزاهد، يؤكد على أهمية ابتعاد العالم عن الشبهات حتى فى المباح منها، لأن الخوض فيها يوجب الأنس بها، حتى يشق تركها، فاستدامة الزينة، تؤدى بصاحبها إلى ارتكاب المعاصى ومداهنة الخلق، فالحزم اجتناب التزين بالمباح، مع أنه ليس بحرام، لأن السلامة لا تتحقق إلا بترك الخوض فيه. «ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض (فيه) لكان ﷺ لا يبالغ فى ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم كما فى الصحيحين، ونزع الخاتم الذهب فى أثناء الخطبة».

وواقع الحال أن العلامة «على القارى» وهو من المتأخرين، لما رأى فساد السلاطين، وما يلحق بصحبتهم من مشاركتهم فى ظلمهم، أراد أن ينبه أهل العلم

(١) سورة التوبة، آية (٥١).

بشأن رفضهم مصاحبة السلاطين، والبعد عنهم، وإن كان هذا لا يعنى بالضرورة رفض «على القارى» النصح للسلطان خصوصا إذا كان من الذين يقبلون النصيحة. وهذا ما حدث فى بعض الأحوال، ولكن قبل زمان «على القارى» بزمان.

هذا فقدثبت أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الحسن، أما بعد: فأشر على بقوم أستعين بهم على أمر الله تعالى «فكتب إليه الحسن يقول: « أما أهل الدين فلا يريدونك، وأما أهل الدنيا، فلن تهديهم، ولكن عليك بالأشراف، فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة».

من هنا يمكن القول أن رجل الدين يستطيع أن ينصح، حينما تلوح النصحية ممكنة، وحينما يكون السلطان قد توفرت فيه أمارات التقوى وعلامات الإيمان واليقين.

وبناء على ذلك تناصح أهل العلم فيما بينهم بالبعد عن الدنيا، والإنابة إلى دار الخلود، والتزام الاعتكاف، عما اختلط واشتبه فيه الناس من وجوه الالباس، فقد ورد عن بعض الكبراء: «تركت الدنيا لقلة غنائها وسرعة فنائها، وخسة شركائها».

هذا كما ثبت أن السلف الصالح أجمعوا على التحذير من أهل زمانهم وآثروا العزلة فى عامة شأنهم، و أمروا بذلك، وتواصوا بالتزام ما هنالك ولا شك أنهم كانوا أنصح وأبصر، وأقروا أن الزمان بعدهم لن يصير خيرا مما كان، بل كل يوم شر منه وأمر.

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نؤكد أن الملوك والسلاطين، الذين يجب على العالم تقديم النصح لهم. هم الذين زهدوا فى الدنيا، وأين هم فى أهل هذا الزمان، سئل ابن المبارك: «من الناس؟ فقال: العلماء. فقيل من الملوك؟ قال: الزهاد. وقيل من السفلة؟ فقال: الذين يأكلون بدينهم».

من هذا المنطلق يتضح أن العلم والعلماء العاملون، هم أهل الخير فى كل زمان يقول سالم بن أبى الجيد: اشترانى مولاى بثلاثمائة درهم فأعتقنى، فقلت: بأى

حرفة أحترف؟ فاحترفت بالعلم، فما أتت لى سنة حتى أتى أمير المدينة زائرا فلم آذن له.

إلى هذا الحد يكون العز فى طلب العلم، فى مقابل الذل وقت مصاحبة السلاطين طمعا فى مالهم، أو استدرارا لمناصبهم. وإذا صح أن «على القارى» يميل إلى الاتجاه السلفى، فيما يجب أن يسلكه العلماء فى أهل زمانه، فما بالك بزماننا، وقد تبدلت الأحوال وصار الحال غير الحال، وطفت الدنيا حتى انزلق بسببها العلماء فى مزالق الضلال، إرضاء لحاكم، ونزولا على أهوائه اللهم إن العلامة «على القارى» من القرن العاشر الهجرى قد أشار إلى غربة العلماء من أهل زمانه، واستشهد بما رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء» فقيل من الغرباء؟ فقال: «الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتى، والذين يحيون ما أوتوه من سنتى».

من هنا تبدو الغربة الحقيقية للعالم، خصوصا إذا وجد نفسه فريدا فى فتواه، بعيدا عن هوى الحاكم، مخالفا لإجماع علماء الدنيا الذين يمازجون فتواهم، بما يتفق ورأى الحكام، فتراهم مع كل ريح يميلون، ومع كل ناعق يؤيدون.

يؤيد هذا الحديث الذى رواه أحمد عن عبد الله ابن عمر: «الغرباء ناس قليلون صالحون بين ناس كثير، من يبغضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم».

هذا كما أشار النووى إلى القريب من ذلك، حيث يقول: «إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء، فاعلم أنه مخلط، لأنه إن نطق بالحق أبغضوه» وقيل ليحيى بن معاذ الرازى: «متى يذهب بهاء العلم والحكمة؟ قال: إذا طلبت الدنيا بهما» ويؤكده ما ذكره الغزالى فى الحديث الذى رواه سعيد بن المسيب «إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص».

هذا والعلماء الذين يدركون فضل ما أوتوه، ويعملون به فى اخلاص، ويبتعدون به عن الرياء، مدركين أن طريق الآخرة مملوء بالجهاد والمجاهدة، والزهد والبعد عن

مقاربة السلاطين الظلمة، العلماء الذين هذا حالهم، يرجى منهم الخير لأنفسهم ويؤمل منهم النصح لأمراء عصرهم.

يقول سهل بن سعد: «... الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء سكارى إلا العاملين، والعاملون كلهم معزورون إلا المخلصين، والمخلص على وجل حتى يدرى بما يختم له به...».

وفى رواية والمخلصون على خطر عظيم، وهو انقلاب الاخلاص رياء ونفاقا.

وإذا كان العالم لابد أن تتوفر فيه تلك السمات، فإن هذا بسبب أن الناس يقلدونه، فإذا بالغ في البذخ والفرش الوطيئة كان ذلك ذريعة للعوام فى تقليدهم، بحجة أنه إذا كان العلماء كذلك فما بالنا نحن!!! وهذا ما يحدث فى كل عصر وكل زمان، من حيث تقليد العوام لذوى العلم، فى ابتزاز الأموال، والمبالغة فى التزين بالمباح... وهكذا.

ويستدل العلامة «على القارى» على هذا الرأى برواية مطولة أوردها فى مخطوطته وقعت أحداثها بين عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم... حينما دخل الخواص «الرى» مع حاتم ومعهما ثلاثمائة وعشرين رجلا يريدون الحج وليس معهم زاد ولا طعام... فاستضافهم رجل متقشف يحب المساكين... فلما كان الغد طلب هذا المضيف من حاتم أن يستسمحه فى زيارة مريض وكان المريض: محمد بن مقاتل قاضى الرى... فلما ذهبا إليه اندهش حاتم مما رأى من البهاء والحسن يشع من مجلس محمد بن مقاتل.

ودار حوار مفاده اعتراض حاتم على ابن مقاتل فى شأن هذه الفرش الوطيئة، واستمر الحوار إلى أن قال حاتم لابن مقاتل: «... وأنت بمن اقتديت؟ أبالنبى ﷺ وأصحابه والصالحين من أحبابه أم بفرعون ونمرود وأحزابه؟ يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول: العالم على هذه الحالة (أفلا أكون أنا شرا منه) وخرج من عنده...».

ولما سأل أحمد بن حنبل حاتم قائلا: يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا؟

قال: «يا أبا عبد الله، لا تسلم من الدنيا حتى تكون معك أربع خصال:

تغفر للقوم جهلهم. وتمنع جهلك منهم، وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا، فإن كنت هكذا سلمت من الدنيا».

وإذا كان حال العالم بهذه المكانة، فإنه العلامة «على القارى» يفيض الحديث حول أهمية أن يبتعد العالم تماما عن مخالطة السلاطين حتى لا يستميلوا قلبه فتستهويه زينة الحياة الدنيا مع أنهم ظلمة.

هذا كما يوجب «على القارى» على العالم (إن استطاع) أن ينكر على السلطان ظلمه، بل ويضيق صدره ويظهر فسقه ويقبح فمله، لأن الداخل على السلاطين: «إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه، أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا لهم، أو يتكلف فى كلامه لمرضاتهم وتحسين حالاتهم وذلك هو البهت الصريح، أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت الفضيح».

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا من هو الحاكم (السلطان) المسلم؟ وهل هناك شروط محددة لابد من توفرها فيه؟

الحاكم ونظام الشورى فى الإسلام:

لاشك أن «الاسم الذى ينطبق على الحاكم فى الدولة الإسلامية انطباقا شرعيا وصحيحا هو: الإمام، لأنه يؤم المسلمين فى الجهاد والصلاة، ويتقدمهم فى عظائم الأمور ومهامها، غير أنه ليس شرطا أن يسمى بهذا الاسم دون غيره من الألقاب والأسماء كالسلطان، والخليفة، والملك، والرئيس، إذ العبرة فى كونه مبايعا بيعة شرعية لإقامة الدين وإنفاذ الأحكام الشرعية».(1)

هذا ويؤكد عبد القادر عوده فى كتابه: الإسلام وأوضاعنا السياسية، يؤكد على أن أزمة الحكم فى العالم الإسلامى قد تكون: أزمة سلطة أو أزمة نظام.

---

(1) أبو بكر الجزائرى، الدولة الإسلامية. دار المكتبات الأزهرية، بدون القاهرة ص ص٣٤ ـ ٣٥.

وأزمة السلطة تدور حول أسلوب وكيفية اختيار حكام المسلمين وتعيين بطانتهم، وكيفية عزلهم وأفضل طريقة لتحقيق ذلك بأقل قدر ممكن من إراقة الدماء.

أما أزمة النظام فهو يعنى فحص النظام القائم من الناحية العقائدية والشرعية، وهل هو نظام إسلامى حقا يرعى شرع الله طبقا لكتاب الله وسنة رسوله، أم أنه نظام إسلامى اسما وصورة، ولكنه من الناحية الواقعية صورة طبق الأصل لواحد من الأنظمة الوضعية السائدة شرقا وغربا.(١)

ويركز فاروق عبد السلام فى كتابه: أزمة الحكم فى العالم الإسلامى، يؤكد على أن السبب الرئيسى فى أزمة الحكم من الناحية العقائدية والشرعية يتركز فى مفهوم الضمانات، ضمانات حسن الاختيار وعدالته، ويسر النزول عن العرش وسهولته بالحق وبأقل قدر ممكن من التضحيات، ومدى الخطوات التى قطعتها أمة من الأمم على طريق رفع الحرج وترشيدوترويض مشكلة نقل وانتقال السلطة، وهذا ما نجح فيه وسبقنا إليه الغرب فى ضوء الحضارة الحديثة.(٢)

ولا شك أن ما تعانيه البشرية (خصوصا فى الدول المتخلفة ومنها دول العالم الإسلامى)، يكمن فى:

- التنافس على الحكم وركوب الصعب وفعل الذلول فى سبيله.
- الوصول إلى الحكم لأناس ليسوا أهلا لذلك.
- استغلال السلاطين والحكام لسلطاتهم وتوجيه طاقاتهم توجيها ظالما.
- جهل الحكام والسلاطين بواجباتهم وحقوقهم.
- جهل عامة الشعوب المختلفة بواجباتها وحقوقها.

---

(١) عبد القادر عوده، الإسلام وأوضاعنا السياسية، المختار الإسلامى، القاهرة ١٩٧٨م، ص٨٢.
(٢) فاروق عبد السلام، أزمة الحكم فى العالم الإسلامى، مكتب قليوب للطبع والتوزيع، ١٩٨١م، ص٧.

كل ذلك من عوامل تفشى الشقاء والبلاء والتخلف وإهدار الطاقات.(١)

هذا ولا يخالجنا شك أن تنصيب الحاكم فى الدول الإسلامية يجب أن يتم عن طريق اختيار أهل الحل والعقد فى الأمة، وأرباب النقض والإبرام فيها من العلماء، وأمراء الجيوش وأرباب التجارة والصناعة، على أن يتم التنصيب لرجل مسلم ذو كفاية، ودربه سياسية ودينية، تبايعه الأمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فى سبيل إقامة العدل والحق والخير والسلام فى ظل شريعة الإسلام حتى تعلو كلمة الحق وترتفع راية اليقين.(٢)

ومهما بلغت الكياسة والفطنة التى يكون عليها السلطان والحاكم، فإنه أولا وأخيرا بشر، يخطئ ويصيب، بيد أنه لو توفرت له نصيحة من أولى العلم والرأى، وأهل المشورة، فإن احتمال خطئهم لا يرقى إلى خطأ الفرد (الحاكم) وهذا هو مبدأ الشورى الذى أقره الإسلام، وسار عليه السلف الصالح بيد أنه خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا.

وإذا كان علماؤنا فى العصر الحديث، يميلون بفتاواهم، ونصحهم للحكام بما يهوى أولى الأمر، فإن هذه كارثة تواجه المجتمع الإسلامى ولا يمكن أن ينزه الحاكم مهما كانت قدراته وكفاءته، عن الخطأ فى اتخاذ القرارات، بيد أننا لو تتبعنا الآراء السلفية والتى تبناها العلامة «على القارى» فى مخطوطته، لوجدناه يدلل على أن الفتيا ليست بالأمر الهين، لدرجة أن الكثير من الفقهاء والمحدثين، كانوا يتعففون عنها، حتى لا يضعون أنفسهم فى خطأ محتمل.

وأولى بمن يتصدون بالفتيا فى العصر الحديث، أن يراقبوا الله فى دينهم وهذا هو العلامة «على القارى» يدلل فى مخطوطته على هذا التوجه، فهذا عمر يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع، وكان ابن عباس يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة.

---

(١) سعيد حوى. فصول فى الامرة والأمير، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣م، ص١٣

(٢) أبو بكر الجزائرى، الدولة الإسلامية، مرجع سابق، ص ص٢٣ ـ ٢٤.

هذا وكان فى الفقهاء من يقول لا أدرى، أكثر من أن يقول أدرى، منهم سفيان الثورى ومالك وأحمد بن حنبل والفضيل وبشر بن الحارث. وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى: «أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم أحد يسأل عن حديث أو فتيا إلا ورأى أخاه كفاه ذلك».

وقد كان أسرعهم فتيا أقلهم علما، وآخرهم فعلا لها أورعهم. كما كان الصحابة والتابعين يشغلون أنفسهم بخمسة أمور:

قراءة القرآن، وعمارة المسجد، وذكر الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ولا شك أن «على القارى» وهو يتبنى قضية الفتوى، وأهمية الخشية والمراقبة فيها، وإدراك أنه يترتب عليها حقوق وواجبات وأن التحرى فى إصدارها أمر مقرر من الدين بالضرورة، أقول، لا شك أن هذا الاتجاه، هو ما نحن فى حاجة إليه خصوصا وقد اتجهت آراء بعض الفقهاء إلى الافتاء بانفراد الحاكم المسلم بإصدار القرار، طالما أنه منتخب انتخابا شرعيا، وأن رأى أهل الشورى من الفقهاء، لا يعدو أن يكون محتملا للخطأ والصواب سواء بسواء كما هو رأى الحاكم المسلم.

وقد تبنى هذا الاتجاه محمد متولى الشعراوى حيث يقول: «والشورى لا تلزم الحاكم المسلم الذى بايعته الأمة الإسلامية، بيعة إيمانية، لأن الحاكم حين ينال ثقة الأمة على أساس دينى يكون متحملا للأمر بأكمله، مسئولا عنه أمام الله وأمام الرعية».

وهذا الرأى يستند إلى: «أن الحاكم فى الإسلام موضع ثقة المسلمين وهو الأمين عليهم، خاصة وقد توافرت فيه شروط الأمانة والصلاح والكفاءة، وقد جاء باختيار سليم من قبل المسلمين، وعلى ذلك فالشورى غير ملزمة.[1]

هذا ويدافع الشيخ الشعراوى عن وجهة نظره فى عددين متتالين لجريدة الأهرام قائلاً: «إن الحاكم المسلم وإن كان غير معصوم، فكذا المشير[2] غير معصوم، فما

---

(١) عبد الحميد اسماعيل الأنصارى. مجلة الدوحة القطرية، العدد (٩٥) محرم ١٤٠٤هـ نوفمبر ١٩٨٣م، ص١٨.

(٢) يعنى بالمشير (أهل الرأى والمشورة من العلماء والفقهاء).

الذى يرجح رأيا غير معصوم على رأى غير معصوم؟ «ويضيف» إن الحق مع الحاكم لأنه اختير ببيعة إسلامية، شهدت له بأنه الأعدل والأمثل والأوثق والآمن، وتلك حيثيات لا توجد فى أى مشير».[1]

ولا يخفى أن عصمة الحاكم مهما بدت وجهة نظر المدافعين عنها، فلا مندوحة من الآتى:

اشتراط توفر صفات معينة من العلم والكفاءة والصلاح فيمن يتولى السلطة لا يحول دون التسلط، فطبيعة النفوس، والضعف البشرى، يحتمان عدم كفاية تلك الضمانات، ذلك أن السلطة مطلقة، وطالما هى كذلك فهى تحدث مفسدة مطلقة أيضا، كما أن للسلطة إغراءاتها الشديدة. إلا من عصم ربك، وذلك قليل أو نادر، والنادر لا يبنى عليه حكم.

احتمال خطأ الحاكم وجوره قائم، حتى وإن حسنت نواياه، وهذا بحكم قصوره الإنسانى، فقد يتخذ قرارا خاطئا بناء على معلومات غير دقيقة أو خاطئة، أو لعدم وضوح فى الرؤية أو للتسرع والحماس أو لعدم التدقيق... إلخ.

مهما قيل بوجوب حسن الظن فى أولى الأمر، لتوافر الثقة والنزاهة فيهم فهذا مسلم، بل الثقة موجودة وحسن الظن قائم، ولكن أمور الدولة لا تبنى على حسن الظنون، وتوافر النزاهة فحسب، وقواعد الحكم والسياسة لا تقوم على النيات الطيبة وحدها.

فالحاكم إنسان زائل، والأمة كيان باق، فلابد من قواعد واضحة تحدد الاختصاصات والعلاقات.

ومهما قيل أيضا فى حسن نية الحاكم، فإذا جاز أن ينفرد باتخاذ القرار فى مسائل خاصة، فليس من الحكمة ولا من حسن السياسة والتدبير أن تكون له سلطة الانفراد باتخاذ القرار فى الأمور المتعلقة بالمصالح العامة.

---

(١) جريدة الأهرام. ١٩٨٢/٧/٥م، ١٩٨٢/٧/٧م.

مما لا يقبل الشك أن القرارات العامة تحتاج إلى خبرات وتخصصات عربية نظرا لتشابك الاختصاصات، وتعقد أمور الحياة، ولأن لهذه القرارات جوانبها المختلفة وانعكاساتها المتعددة على شتى أمور المجتمع، مما يستلزم تضافر جهود أهل الخبرة وتشاورهم.(١)

هذا ويجيب محمد سعاد جلال على تساؤل الشيخ الشعراوى، عن سبب ترجيح رأى أهل الشورى على رأى الحاكم مع انتفاء العصمة عن الطرفين، يجيب بقوله: «كلا إن الحاكم يكون فردا، وأما المشير فإنه يكون أمة لكنها ممثلة فى أعضاء المجلس، والعادة جرت أن اتفاق أهل الشورى أو أكثرهم على رأى لا يمكن بحكم التجربة ونظر العقل، أن يترجح عليها حكم فرد هو الحاكم أصلا».(٢)

ويؤيد هذا أيضا العقل والنقل، فأما دليل العقل، فإن الفرد مهما كان ذكيا ونقيا وحسن النية، فمن المحتمل أن يخطئ فى حكمه على الأمور متأثرا فى ذلك بميوله الخاصة، أما إذا ناقشت الجماعة رأيا ما فاحتمال وقوعها فى الخطأ سيقل إلى أدنى حد ممكن.(٣)

هذا وأما دليل النقل فيؤكده عبد القادر عوده فى قوله: «ربما صح أن يأتى رأى الأكثرية خاطئا، ورأى الأقلية صوابا، ولكن هذا نادر، والنادر لا حكم له، والمفروض شرعا أن رأى الأكثرية هو الصواب، مادام كلهم يبدى رأيه مجردا لله... وأساس ذلك قوله ﷺ «لا تجتمع أمتى على ضلالة» و«يد الله مع الجماعة» فالله يسدد دائما خطى الجماعة ويوجهها إلى الرأى السديد».(٤)

هذا ويدافع محمد سعاد جلال عن وجهة النظر بترجيح رأى أهل الشورى فيقول: «وعلى فرض احتمال خطأ الأمة، فإننا نرى أن خطأ الأمة أهون من خطأ الحاكم

---

(١) عبد الحميد الأنصارى، مجلة الدوحة القطرية، مرجع سابق، ص١٩.

(٢) جريدة الجمهورية ١٩٨٢/٩/١٢م.

(٣) محمد أسد. منهاج الإسلام فى الحكم. تعريب: منصور محمد ماضى. بيروت دار العلم للملايين ط ٦، ١٩٨٣م، ص٨٨.

(٤) عبد القادر عوده، الإسلام وأوضاعنا السياسية، مرجع سابق ص١٦٢.

بمراحل، لأن الأمة حين تخطئ فى ملكها، لا تعتبر معتدية على نفسها، أما الحاكم إذا أخطأ، فإنه يخطئ فى ملك غيره، ويعتبر معتديا على حق غيره.(١)

ومعلوم أن خطأ الجماعة تستفيد منه، فتتعلم من خطئها، وتكتسب من تجاربها، وذلك أسلوب تربوى متميز لبناء الأمة وبلوغها إلى مرحلة النضج الاجتماعى.

ويؤكد هذا التوجه ما ذهب إليه محمد أبو زهرة فى قوله: «وخير للجماعات أن تخطئ فى رأى تبديه وهى حرة من أن تفرض عليها آراء صائبة، فإن صوابها يكون مقترنا بإرهاق نفسى، وضغط للإرادة وذلك أشد شررا فى تكوين الأمم».(٢)

هذا ولا يخفى أن النصوص الشرعية التى خوطب بها المكلفون، إما أن تكون قطعية فلا تحتمل الخلاف، وإما أن تكون ظنية الدلالة، فالمجال فيها واسع لتعدد الآراء والاختلاف. وموضوعات الشورى المتعلقة بأمور السياسة والحكم والإدارة، إنما وردت فى القرآن والسنة على وجه الإجمال والعموم، ومن هنا فالاختلاف حاصل وواقع بين الحاكم ومجلس الشورى فما الحكم؟، وكل يدعى أن الحق معه وأنه الأقرب إلى الكتاب والسنة.

ومن جهة أخرى فما الرأى حول المستحدثات من المسائل والقضايا التى لم يرد فيها نص شرعى محدد، وهى مسائل تدخل فى باب السياسة الشرعية، أو المصالح العامة، والتى تتعدد فيها الأفهام والأنظار؟.(٣)

وأما دعوى أن مبدأ عزل الحاكم يحول دون تسلطه، فمردود كذلك، لعدم سهولة تنفيذه، خاصة مع الضوابط الفقهية كاشتراط أمن الفتنة وعدم ترتب فساد أكبر!!! ثم كيف يمكن تقرير هذا الأسلوب والمخالف لا يرى إلزام رأى أهل الشورى.

من كل ما سبق يمكن الوصول إلى رفض القول بعدم إلزام الشورى للحاكم بحجة توافر شروط الكفاية والعلم والأمانة فيه، إذ أن التسليم بهذه الحجة قدتكون ذريعة إلى التسليم بنظرية المستبد العادل، ولكن تحت أسماء شريفة ومهما اختلفت

(١) جريدة الجمهورية، عدد ١٩٨٢/٩/١٢م.
(٢) عبد الحميد الأنصارى، مجلة الدوحة القطرية، مرجع سابق، ص٢٠.
(٣) المرجع السابق. ص٢٠.

الأشكال فيجب ألا ننخدع بها لأن المضمون واحد.(١)

هذا ووجوب الشورى الملزمة للحاكم أمر مقرر، لأن نتائجها صادرة عن أهلها أما ما يقال عن مصطلحات: المستبد العادل، الذى لا ينهض بالشرف غيره، كما قيل فهى مرفوضة، إذ لا يجتمع العدل والاستبداد، فالعادل لا يكون مستبدا، والمستبد لا يكون عادلا، وكيف يكون عادلا من يرى نفسه عليما بكل أمر، وحكيما فى كل قضية.(٢)

وإذا كنا قد قررنا من خلال عرضنا السابق، أهمية وجوب الشورى للحاكم، فإن أهل الشورى أنفسهم أولى أن تتوفر فيهم صفات العلماء المسلمين.

وقد تبنى العلامة «على القارى» فى مخطوطته تلك الصفات فى:

- ملازمة العبادة والأنس بها.
- الميل إلى الاعتكاف والفرار من الناس.
- ملازمة قراءة القرآن والأنس به.
- الميل إلى انفاق الوقت فى فهم علوم القرآن الذى تقاصرت عنه الأفهام.

يقول ابن عباس رضى الله عنهما: «جميع العلم فى القرآن، لكن تقاصرت عنه افهام الرجال».

هذا وقد جاء بعض الأمراء إلى بعض الكبراء(٣) واعتذر لقلة المارين إليه، فأجاب عليه: «بأنه بمقدار ما يفرح الناس بذهابك إليهم، فنحن نفرح بعدم إيابك إلينا» ويستمر «على القارى» فى التدليل على أن صلاح العالم من موجبات مشورته.

يقول «على القارى»... «وكان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخى، ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما، وكانا يسألانه، وكيف لا!! وقد قال ﷺ: «سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم» الطبرانى من حديث ابن عباس.

---

(١) المرجع السابق، ص٢١.

(٢) يوسف القرضاوى، مجلة الأمة القطرية، العدد ٤٩. نوفمبر ١٩٨١م.

(٣) المقصود بالكبراء: «العلماء العباد المخلصون».

كما تروى المخطوطة كذلك أن السرى السقطى قال لتلميذه الجنيد البغدادى: «إذا قمت من عندى من تجالس؟ أجابه الجنيد: المحاسبى.. قال السرى: نعم، خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين» يقول الجنيد: ثم لما وليت سمعته يقول: «جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث» مشيرا إلى أن من حصل الحديث بالعلم ثم تصوف أفلح، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه..

وأما ظاهره الاختلاف فى الرأى بين أهل العلم فى زماننا، فإنها من باب قوله عليه السلام «إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة» رواه الترمذى وقال حديث حسن.

مبدأ الشورى والتربية فى الإسلام:

إن قضية الشورى فى الإسلام، من أصول الحكم، قرره ربنا سبحانه فى كتابه الكريم كما نصت السنة أيضا على مبدأ الشورى، وكذلك ثبتت الشورى فى التطبيق الإسلامى فى مختلف العصور.(١)

من هنا فليس بمستغرب أن ينص القرآن الكريم فى آياته على مبدأ الديمقراطية المبنية على الشورى.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.(٢)

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.(٣)

---

(١) عمر شريف: نظام الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية. القاهرة. مطبعة المدنى، ١٩٨٢م، ص٣٢.

(٢) سورة آل عمران، آية (١٥٩).

(٣) سورة الشورى، آية (٣٨).

هذا كما ثبت أن النبى ﷺ كان شديد الحرص على استشارة الصحابة، والاستفادة من آرائهم، فكان لا يبرم رأيا إلا بعد بحثه وتمحيصه، واستشارة الصحابة فيه، كما حدث فى غزوتى بدر وأحد، وفى غزوة الخندق، وكان لا يفضل أحدا على أحد فى المشورة.

من هذا المنطلق يمكن القول أن مبدأ الديمقراطية مقرر لنظام الحكم فى الإسلام والذى يقوم على أساس من الشورى.(١)

وعلى وجه العموم: فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية حثت على مبدأ الشورى بين المسلمين، وجعلت منه أساسا للنظم السياسية فى الإسلام، وذلك أوضح برهان وأبلغ دليل على أن الإسلام يقدس حرية الفكر، وتبادل الرأى لأن فى ذلك نفع عظيم لزيادة المعرفة ورقى الإنسانية وازدهارها.(٢)

ولما كان مبدأ الشورى يحتم بالضرورة توفير مساحة من الحرية للفرد ودرجة من الأمن والاستقرار فى المجتمع... فهل حققت التربية الإسلامية هذا المناخ؟ وإذا كان كذلك فإلى أى مدى؟ ثم ما رأى الإسلام حول التربية الفردية والتربية الجماعية؟ ونبدأ بإجابة السؤال الأخير فنقول: بادىء ذى بدء، يمكن أن نقول أن المجتمع المعاصر، يتنازعه معسكران: شيوعى اشتراكى (تربية جماعية)، ورأسمالى غربى (تربية فردية) وإذا كان الأول يربى الفرد الذى يذوب فى المجتمع، وتتقدم مصلحة الجماعة فيه على مصلحة الفرد، وأن الفرد ترس فى آلة اسمها المجتمع وكل نصيحة تقدم للحاكم فهى خيانة تعاقب بالتطهير لأنها نزعة فردية آثمة، إذا كان الأمر كذلك فى المجتمعات والمعسكرات الشيوعية والاشتراكية، فإن النزعة الفردية تسيطر على المعسكر الغربى الرأسمالى، وتبدو التربية فيه تربى الفرد الأنانى الذى يضع مصلحته فوق كل اعتبار، مهما كانت النتائج، ومهما لحق بالمجتمع من فساد، فهى تربية تحطم الأخلاق والتقاليد وتستغل الآخرين وتفسد سياسة الحكم والدولة.

---

(١) حسن إبراهيم حسن، على إبراهيم حسن. النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٧٠م، ص ص ٦ - ٧.
(٢) عاصم أحمد عجيلة، المرجع السابق، ص٥٤. نقلا عن: صول بادوفر: معنى الديمقراطية، ترجمة: جورج عزيز. دار الكرنك، ص١٤٢.

هذا بيد أن المجتمع الإسلامى تتضح فيه فطرة الإنسان، فهو فرد داخل المجموع، أصيل الفردية، وأصيل الميل للمجموع، والإسلام يعالج كلتا النزعتين فمن حيث البناء الفردى للإنسان، فالإسلام ينشئ الفرد على أن يربط قلبه بالله الواحد، وهذا الربط يمنح الإنسان وجوده المستقل فلا يضيع فى زحمة الحياة، كما أن الفردية تتربى كذلك بالمسئولية الفردية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.(١)

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾.(٢)

وقوله: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾.(٣)

ولا شك أن شعور الإنسان الدائم بتلك المسئولية يربى لديه الكيان المتميز، الواضح المعالم. ولا نبالغ إذا قلنا أن تلك الفردية، بهذا المنهج، تؤدى فى ذاتها إلى بث روح الجماعية، وحفرها داخل قلب الفرد المسلم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.(٤)

والقرآن الكريم يغذى تلك الجماعية بدعوته المتكررة والدائمة لمبدأ التعاون والتشاور والوفاق. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.(٥)

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.(٦)

هذا ولا نغفل أن الإسلام بطبيعته يقتضى وجود الجماعة التى تتكافل فيما بينها، كما أن الفضائل الإسلامية تؤكد الحاجة إلى ذلك حتى يمكن أن تنمو تلك الفضائل

---

(١) سورة الاسراء، آية (١٥).
(٢) سورة المدثر، آية (٣٨).
(٣) سورة القيامة، آيات (١٤ ـ ١٥).
(٤) سورة الحشر، آية (٩).
(٥) سورة المائدة، آية (٢).
(٦) سورة التوبة، آية (٧١).

وتحيا. ومن طبيعة الأمور أن الأفراد لا يقومون بتلك المهام وحدهم، وإلا ضاعت جهودهم وتبعثرت وتبددت ولم تثمر ما يرجوه الإسلام من إقامة المجتمع المسلم المتكافل المتناصح القائم على مبدأ الشورى.(١)

أما ما يتعلق بتوفير مساحة من الحرية للفرد والمرتبط بمبدأ الشورى الذى أقره الإسلام، ومدى توفير قدر من الأمن والاستقرار فى المجتمع، وإلى أى مدى حققت التربية الإسلامية ذلك، فإن هذه القضية رغم تشعبها وصعوبتها، إلا أننا مطالبون فى ضوء المناقشات السابقة أن نلقى نظرة على التربية الإسلامية وموقفها من تلك المسائل الجوهرية، خصوصا وأن الإجماع قائم على أهمية الشورى فى ترسيخ المصالح الاجتماعية كأصل رئيسى للتربية. يناقش سعيد إسماعيل فى كتابه أصول التربية الإسلامية، هذه القضايا فى ضوء مبادئ الإسلام وتعاليمه وفلسفته التى تبين مدى حرص الإسلام على مصالح الناس وحاجاتهم.

هذا ويحدد سعيدإسماعيل شروطا ثلاثة للمصالح المرسلة:

أن يثبت بالبحث والاستقراء أنها مصلحة حقيقية لا وهمية أى أن بناء الرأى عليها يجلب نفعا ويدفع ضررا.

أن تكون المصلحة ملائمة لمقاصد الشريعة، بأن تكون من جنس المصالح التى جاءت بها وليست غريبة عنها.

أن تكون المصلحة التى يوضع القرار من أجلها كلية، بمعنى أنها تشمل السواد الأعظم من الناس فتجلب لهم النفع، وتدفع عنهم الضرر.

ومن أجل مصلحة الجماعة لابد من ضمان ضوابط لحرية الفرد، وإذا كانت الحرية من أهم مبادئ الإسلام، فإن اطلاقها دون حدود، يضر بالمجتمع، ويؤثر فى

---

(١) محمد على المرصفى، ليلى عطار. محاضرات فى التربية الإسلامية وأشهر المربين المسلمين. ١٤٠٩هـ جدة، السعودية، ص ص٩١ ـ ٩٤.

توازنه، الأمر الذى يحتم وضع القيود على حرية الفرد، وضوابط لتنظيم حياة الناس أفرادا وجماعات.

من هنا توجب الأمر ضرورة تعاون أفراد المجتمع على حماية ورعاية هذه الحدود، بحيث لا يتعدى فرد على حقوق الجماعة. هذا وقد استهدفت القيم الدينية، فى تحديد علاقة الفرد بالمجتمع وتنظيم الحرية الفردية، استهدفت:

مصلحة الفرد والمجتمع فى آن واحد.

تأكيد المصالح المشتركة والمصير المشترك للفرد والجماعة.

من هذا المنطلق، فالفرد ليس حرا فى أن يمارس حياته على الأسلوب الذى يريد، لأن هذا رهن بمصلحته هو أولا وقائم بمصلحة المجتمع باعتباره فردا من أفراده.(١)

وإذا كنا قد تعرضنا فى دراستنا للتربية السياسية فى فكر العلامة «على القارى» إذا كنا قد تعرضنا، لقضية النصح للحاكم من قبل العلماء فإن هذا التوجه من «على القارى» يتفق مع مفاهيم الدين الإسلامى، فإذا «كان الله سبحانه يدعو الخلق أن يتواصوا بالحق وكذلك أن يتواصوا بالصبر فإن التواصى لا يكون إلا من متعدد، فلا نجاة من الخسران، إلا بأن يقوم الأفراد من المجتمع، مهما عظم عددهم، بأن يوصى كل واحد منهم من يعرفه من الباقين بأن يطلب الحق ويلتزمه».(٢)

ولا شك أن العلماء عليهم العبء الأكبر فى التناصح، حسب الأزمات.

واختلاف الأحوال للأمم، فعليهم أن يتعلموا كيفية تفسير أحداث التاريخ، وعلم تكوين الأمم، وكيف ترتقى ثم تهبط، ثم يعرفون طرفا من علم الأخلاق وأحوال النفس، وعلم الحس والوجدان، ومعرفة طرق التوفيق بين العقل والحق، وسبل التقريب بين اللذة والمنفعة الدنيوية والأخروية، ووسائل استمالة النفوس عن جانب الشر إلى جانب الخير، فإن لم يقوموا بذلك فوزر العامة عليهم، ولا تقبل دعوى العجز منهم، فما أنفقوه من البحث فى الألفاظ والأقوال كان يكفيهم أن يكونوا هداة

(١) سعيد اسماعيل على، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ص١٦٠ ـ ١٦٢.
(٢) المرجع السابق، ص١٧٢.

ومرشدين. من هنا توجب الأمر أن يطلبوا العلم من سبله التى قام عليها السلف الصالح والله كفيل أن يمدهم بمعونته.(١)

هذا ولعمرى أن تلك النزعة نحو ترشيد العلماء، مما يوافق ما أتى به العلامة «على القارى» حيث يثبت ويدلل فى مخطوطته أن على العالم أن يكون حريصا على طلب العلم وطلب الزيادة منه، لقوله تعالى: ﴿وقل رب زدنى علماً﴾(٢)

ولقوله عليه السلام: «... لا بورك لى فى يوم لا أزداد فيه علما» ولقولهم «من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان، ومن استوى يوما فهو مغبون» وقال ابن المبارك: «لايزال المرء عالما ما طلب العلم، فإن ظن أنه قد علم فقد جهل» ويؤيده حديث: «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب الدنيا» رواه ابن عدى عن أنس.

وإذا كنا نحاول جهد طاقتنا أن نستثمر الآراء التربوية فى الجانب السياسى للعلامة «على القارى» من خلال مخطوطته، فإن علينا أن ندرك أننا فى هذا «لا نطوع الفكر الإسلامى للمفاهيم الحديثة لمجرد أن القضايا التى نناقشها هى قضايا اليوم وأنها لم تكن كذلك فى عصور الإسلام الأولى، فلابد أن نعيش زماننا وعصرنا، وفى معايشتنا لهذا العصر المتجدد، لابد ان نسترشد بتوجيهات الإسلام وتعاليمه، ومن ثم كانت هذه رؤيا إسلامية لقضايا عصرية».(٣)

هذا ولا شك أن دور التربية الإسلامية فى بناء الفرد الحر، والمجتمع الحر، دور رائد ومتميز، ذلك أن الحرية وما تستند إليه من مساواة فى الحقوق والواجبات، ومن توفير الحياة الحرة الكريمة إنما تزدهر، وتنمو بتوافر الكفايات وتكامل التطور للشخصية الإنسانية.

من هنا بات على المدرسة أن لا تشجع طريقة التلقين فى التعليم، بل تسمح بمناقشة وجهات النظر الأخرى التى من شأنها أن تبنى الفرد الحر المفكر المبدع والمبتكر.(٤)

---

(١) المرجع السابق، ص١٧٣.
(٢) سورة طه، آية ١١٤.
(٣) سعيد اسماعيل على، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص١٧٣.
(٤) المرجع السابق، ص١٧٥.

هذا أما التوجيه الاجتماعى للتربية فى الفكر الإسلامى، فإنه ينظر إلى العملية التربوية كعملية متكاملة، لا تعرف تمييزا بين فرد ومجتمع، وتقصد من وراء ذلك إلى:

«أن التربية ظاهرة اجتماعية فى الجنس البشرى، وبمقتضاها يصبح الفرد وريثا لما حصلته الإنسانية من حضارة.

تتم هذه التربية لا شعوريا عن طريق المحاكاة بحكم وجود الفرد فى المجتمع، وبذلك تنتقل الحضارة من جيل إلى آخر.

التربية المقصودة تقوم على العلم بنفسية الطفل من جهة ومطالب المجتمع من جهة أخرى..».(١)

تعقيب:

لا شك أن دراستنا لآراء العلامة: «على بن سلطان القارى» حول التربية السياسية، أوقفتنا على الكثير الغزير من القيم والمبادئ، التى نقف أمامها مشدوهين، من شد وقعها وجلال خطرها، خصوصا مع المغالطات حول المفاهيم الإسلامية، فيما يرتبط بنظام الخلافة وموقف رجال الدين منها، ونظام الشورى ومغالطة الحكام حوله، ثم توهان التربية فى مستنقع تبنى وجهة نظر الحكام بدعوى أنهم مبرأون عن الخطأ، وبعيدون عن الجور والظلم.

إننا نتساءل: من يقع عليه عبء تحمل أوزار هذه الكارثة؟ ومن هم الذين بيدهم أن يقوموا بواجب الإصلاح الاجتماعى والسياسى والتربوى لهذه الفجوة الرهيبة والشرخ الدامى فى الفكر التربوى الإسلامى.

ثم ما شروط وصفات من يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ إن أدنى ما نقوله هنا: هو أن السلبية المعلنة، نحو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعدم

---

(١) المرجع السابق، ص١٧٧.

الاكتراث بما يمارس فى الفرد والمجتمع دون أن يجد صدى عند فرد مسلم، ودون أن يجد نظاما تربويا، يصلح ما أفسده الدهر، إن كل هذا لمن دواعى تقويض أساس وعمد المجتمع من جذوره.

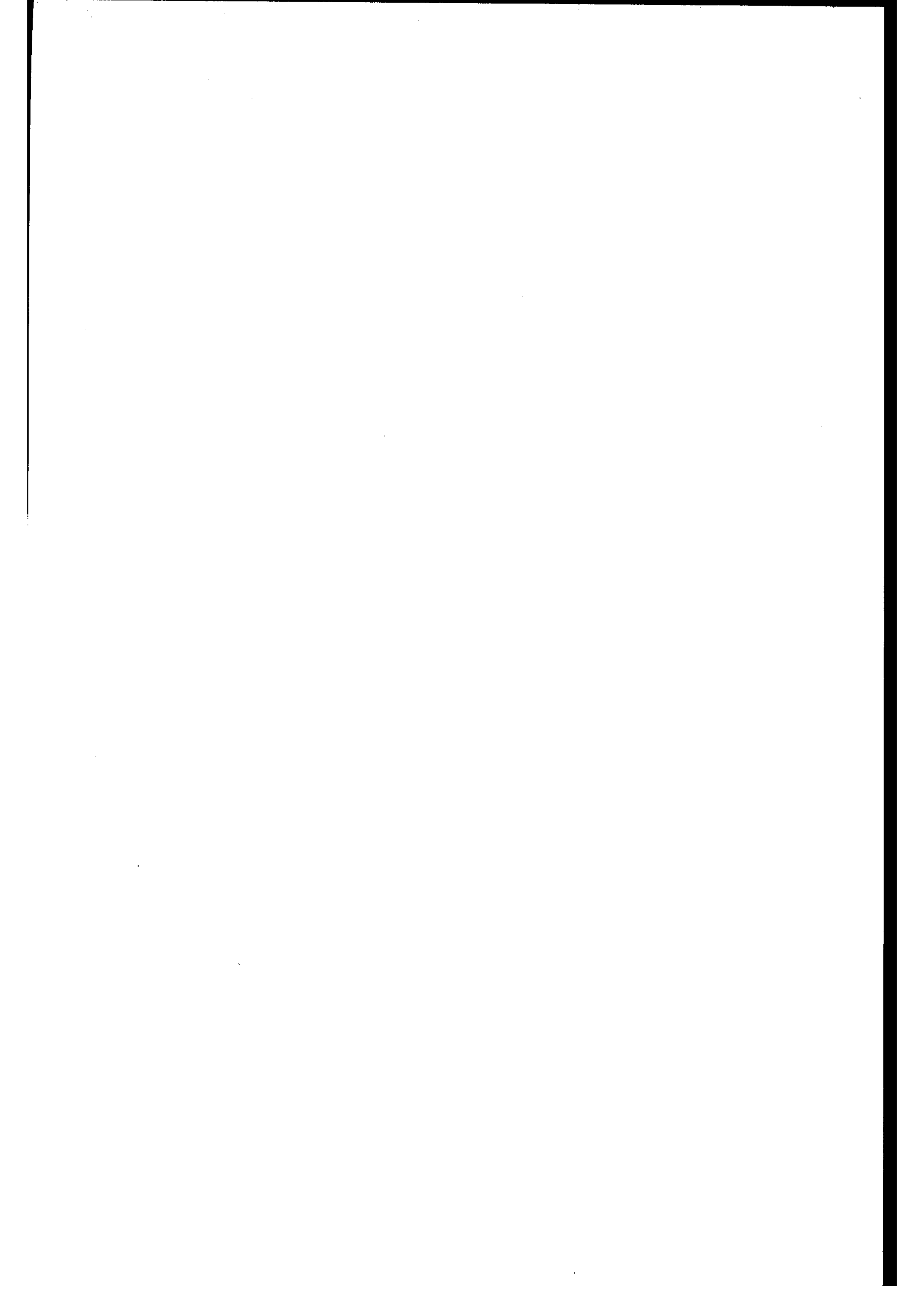
لا شك أن أسوأ ما تبتلى به أمة أو جماعة، هو ألا يتناصح أفرادها وألا يناصح الأفراد أمراءهم، إن من واجب كل فرد إذا رأى خللا أو قصورا فى أميره أو جماعته أو أمته أن ينصح، وأن يتابع النصيحة مع الأدب واللباقة وأن يحتال لإزالة الخلل والقصور، وأن يبذل كامل الجهد للاقناع.(١)

هذا ولا يخفى أن مجتمعا من المجتمعات، تلك صفاته، فلا مندوحة من أن يستشرى النفاق فى كل جوانب الحياة فيه. وإذا كان علماء الدين هم حقيقة القادة السياسيين لأمة الإسلام، فلا يجوز لهم أن يتخلوا عن هذا الالتزام تحت أى دعوى من الدعاوى، لأن نصح الحاكم وتعليم المحكوم، من صميم عملهم الذى يجب أن يتحروه وأن يؤدوه كما أمرهم ربهم، وعندما يفتقدون دورهم هذا فقد حقت على المجتمع الكلمة، ووقتها يقع الفساد والإفساد وتحيط الكوارث ويعم البلاء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

■■■

(١) سعيد حوى، فصول فى الإمرة والأمير، مرجع سابق، ص١٠٥.

التربية الأخلاقية والروحية فى فكر «على القارى»:



تمهيد

بادئ ذى بدء، سنبحث التربية الأخلاقية والروحية من وجهة النظر الدينية، على اعتبار أن القيم الأخلاقية والروحية، متكاملان ومستمدان فى مجتمعاتنا الإسلامية من الدين الإسلامى.

والخلق يعنى: تكامل العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الاستقرار، وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل، عند تفتح الحاسة الخلقية، والتى توجد فى النفس الإنسانية فطريا، حيث يستطيع الإنسان العادى أن يميز ـ إلى حد ما ـ وفى كل ما يقوم به من أنواع السلوك بين ما هو خير وما هو شر، وبين ما هو محايد لا ينفع ولا يضر، كتمييز الفرد بين الجميل والقبيح فى عالم المحسوس.(١)

هذا كما أن الأخلاق تمتد لتشمل كل ميادين الخبرة الإنسانية، على أن منبعها الأساسى كامن فى فطرة الإنسان، بما يتفق مع مقومات الدين الإسلامى فى مجتمعاتنا الإسلامية.

ولا شك أن: «الأخلاق ضرورة من ضروريات تنظيم المجتمع، وفى عدم وجودها تسود شريعة الغاب، حيث تصنع القوة الحق، بدلا من أن يصنع الحق القوة».(٢)

---

(١) إبراهيم عصمت مطاوع. أصول التربية. مرجع سابق، ص١٠٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٥.

وارتباط التربية الأخلاقية بالروحية، نابع أصلا من أن مصدرهما واحد، وهو الدين الإسلامى طالما أن الدين يحتم علينا الاعتقاد فى وجود إله، يدبر ويصرف شئون الكون بما يفيد الفرد الإنسان، وبما من شأنه أن يستنهضه لمناجاة ربه، يفعل ذلك ويمارسه فى خشوع ورغبة ورهبة، وخضوع وتذلل وتمجيد، لأن مبدأ التوحيد جدير بالطاعة والعبادة لله رب العالمين، خصوصا وأن الدين يتضمن جملة النواميس النظرية التى تحدد صفات القوة الإلهية، كما تحدد القواعد العملية التى ترسم طريق عبادتهما.(١)

ونحن إذ نناقش الآراء حول التربية الأخلاقية والروحية «لعلى القارى» سوف نستعين بما استدل به فى مخطوطته كما سندعم تلك الآراء من خلال الفكر الإسلامى من المنظور المعاصر، حيث أننا مؤمنون بأن استرشادنا بالأدلة الشرعية، يعيننا على تقديم رؤيا إسلامية لقضايا معاصرة.

طبيعة العصر ومظاهر فساد الخلق:

لا يختلف اثنان على أن عصرنا الحالى، قد امتلأ بكثير من مظاهر الفساد الخلقى بصورة لم تعد قابلة للسكوت عليها، أو السلبية من مواجهتها ذلك أن اهتزاز القيم، وظهور الرشوة، والوصولية، وفقدان القدوة، والنفاق، والسلبية أمام مواجهة المشكلات، باتت كلها تهدد كيان المجتمع الإسلامى، وتهزه من جذوره، والشكوى قائمة على جميع المستويات، الشعبية منها والثقافية، السياسية منها والقانونية... إلخ.

هذا وإذا كان العلامة «على القارى» وهو من رجال القرن العاشر الهجرى ينبه كثيرا فى مخطوطته (محل دراستنا) على أن زمانه مشحون بكثير من تلك المظاهر سالفة الذكر، وأن مبدأ العزلة للعلماء قد حل وأن ظاهرة النفاق للحكام ومملاءتهم أصبحت داء عضالا يستصعب على الحل، إذا كان «على القارى» يرى ذلك منذ أكثر من خمسة قرون مضت، فكيف بنا فى عصرنا الحالى، ونحن أمام موجة عاتيه من

(١) إبراهيم عصمت مطاوع، المرجع سابق، ص١١٧.

الانهيار الأخلاقى، والانحطاط للقيم الروحية، لدرجة بات معها الاستهزاء والسخرية من فئات كثيرة فى المجتمع الإسلامى، استهزائهم ممن ندروا أنفسهم للدعوة إلى الله، وسخروا جهودهم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من فئات المجتمع، خصوصا مجتمع الشباب منهم، أقول: إن ظاهرة اللا مبالاة والتفسخ الأخلاقى الماجن، المتمثل فى أجهزة الإعلام على جميع مستوياتها، وخصوصا الأفلام والمسرحيات الهابطة، الداعية إلى الخلاعة والمجون، كل تلك مظاهر، يقف أمامها العلماء ورجال الفكر المسلمين عاجزين، خصوصا إذا باركت الأجهزة السياسية هذا التوجه، أو على الأقل سكتت عنه.

من هنا فلا مندوحة من دق ناقوس الخطر أمام تلك الظاهرة الرهيبة، والوقوف بكل حزم وقوة فى مواجهتها، خصوصا من رجال الدين الذين عليهم يقع عبء تلك المسئولية، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.(١)

هذا ويرى الباحث أن مظاهر فساد الخلق متعددة أسبابها ومنها:

انحراف رجال الدين عن رسالتهم الحقيقية:

ذلك أن اعتزاز رجل الدين بشخصيته، وادراكه للدور الذى يجب أن يلعبه فى المجتمع، بات غائبا، وبدلا من أن يسعى الأفراد إليه، غدا هو يسرع الخطو للقاء الحكام، وتلك أفقدت المجتمع ثقته فى رجل الدين، مما حدا بالمجتمعات أن تلجأ إلى مصادر أخرى، تتلقى عن طريقها مقومات خلقية قد تكون سيئة وقد تكون غير ذلك.

هذا والمخطوطة التى نحن بصددها مشحونة بالكثير الغزير حول تلك الظاهرة التى هى الداء العضال فى كل عصر و فى كل مصر، منذ مئات السنين يدلل «على القارى» على ذلك بحديث رواه ابن ماجه عن أبى هريرة: «شرار العلماء الذين يأتون الأمراء، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء» كما روى ابن ماجة أيضا عن أبى هريرة:

---

(١) سورة آل عمران، آية (١١٠).

«نعم الأمير، على باب الفقير وبئس الفقير على باب الأمير» كما روى ابن عباس: «سيكون قوم بعدى من أمتى سيتفقهون فى الدين ويقرءون القرآن ويقولون: نأتى الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا ولا يكون ذلك، كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يجتنى من قربهم إلا الخطايا».(١)

كما روى البزار عن معاذ: «شرار الناس فاسق قرأ كتاب الله وتفقه فى دين الله، ثم بذل نفسه لفاجر، إذا نشط تفكه بقراءته ومحادثته، فيطلع الله على قلب القائل والمستمع».

ولا شك أن من أهم أسباب انزلاق رجال الدين إلى تلك الهوة السحيقة هو الحرص على طلب الدنيا، ونسى هؤلاء خطورة ومغبة طلب الدنيا بالدين، يؤكد هذا المعنى العلامة «على القارى» فى استدلاله بحديث رواه عطية بن بشر المازنى: «علم الله آدم ألف حرفة من الحرف وقال له: قل لولدك وذريتك أن لم تصبروا فاطلبوا الدنيا بهذه الحرف ولا تطلبوها بالدين، فإن الدين لى وحدى خالصا، ويل لمن طلب الدنيا ويل له».

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن فى جهنم واديا تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة، أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم، وإن أبغض الخلق إلى الله عالم السلطان» وروى الديلمى عن الحسن: «كنا جلوسا عند النبى ﷺ وهو نائم، فذكرنا الدجال فاستيقظ محمراً وجهه فقال: «غير الدجال أخوف عندى عليكم من الدجال، أئمة مضلون».

وفى حديث طويل لعلى بن أبى طالب مع كميل بن زياد، ومنه «... يا كميل: مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم فى القلوب موجودة. ها إن هاهنا لعلما جما، وأشار بيده إلى صدره، لو وجدت له حملة، ثم قال اللهم بلى أحد لقناً غير مأمون يستعمل آلة الدين للدنيا، ويستظهر بنعم الله

---

(١) استند الباحث فى حديثه عن آراء «على القارى» حول التربية الأخلاقية والروحية استند إلى الأحاديث والآراء المتناثرة فى «المخطوطة».

على عباده، وبحججه على أوليائه، أو منقادا لحملة الحق ولا بصيرة له فى أحنائه، ينقدح الزيغ فى قلبه لأول عارض من شبهة، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، أو منهوما باللذة، سلس القيادة للشهوة، أو مغرما بالجمع والإدخار، ليس من رعاة الدين فى شىء، أقرب شبها بهما، الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه، ثم قال: اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله، إما ظاهرا مشهورا، وإما خائفا مغمورا، لئلا تبطل حجج الله وبيناته، وكم ذا وأين؟ أولئك والله هم الأقلون عددا والأعظمون عند الله قدرا، بهم يحفظ الله حججه وبيانته، حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الإيمان، حتى باشروا روح اليقين فاستلانوا ما استخشن المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالرفيق الأعلى، يا كميل أولئك خلفاء الله فى أرضه، الدعاة إلى دينه، آه آه، شوقا إلى رؤيتهم، انصرف يا كميل إذا شئت، استغفر الله لى ولك».

من هذا الحديث الطويل للإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه يمكن استنباط أن:

- العلم باق والمال فان.
- العلم لا يكتنز فقط فى القلوب.
- أمانة العالم فى تبليغه دعوة الله.
- من العلماء من يستثمر الدين للدنيا.
- من العلماء من يباهى بعلمه على عباد الله.
- من العلماء من يحاجج بعلمه على أولياء الله.
- من العلماء من يحمل العلم، إلا أنه ويأدنى عارض من شبهة يملأ الشك قلبه، فلا يحدد موقفه من مشكلات عصر، ولا يعرف اتجاهه، أهو إلى هؤلاء أم إلى أولئك.

- من العلماء من استهوته زخارف الدنيا، فانهمك فى التهام ملذاتها وشهواتها.

- من العلماء من استهوته شهوة جمع المال واكتنازه، فانطمست معالم العلم فى قلبه.

وبالرغم من كل تلك المظاهر السلبية، فإن الأرض لا تخلو من:

- عالم يدعو إلى الله على بصيرة، مهما جوبه من عقبات ومتاعب.

- عالم متحفز للدعوة، إلا أنه خائف مغمور.

ولا شك أن هؤلاء هم الأقلون عددا، فى كل زمان، إلا أن الله عز وجل، يحفظ بهؤلاء دينه وحججه وبيناته، على يد هؤلاء الذين استلانوا ما استخشن المترفون وأنسوا بما استوحش الجاهلون. هؤلاء هم خلفاء الله فى أرضه الدعاة إلى دينه.

غياب التربية الروحية ومبدأ المراقبة والمجاهدة للنفس:

شأن العلماء أن يرتفعوا بعلمهم إلى درجة السمو والشفافية والقرب من الله رب العالمين، ويوم أن يصل العالم إلى المستوى الرفيع فى علمه فإنه يسمو بنفس القدر إلى درجة التواضع والخوف والرجاء والطمع فى رحمة الله، كما يزداد اجتهادا فى تحصيل ومجاهدة النفس، فذلك والله هو الذى استفاد بعلمه، فانتفع به، بيد أن صنفا آخر من العلماء، طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس فهو يزداد بذلك غرورا، وبعدا عن الدين، فلم ينتفع بعلمه.

وفى كل عصر، نلمح الكثرة الكثيرة من رجال الدين، وقد غابت من بينهم مقومات، مراقبة النفى ومجاهدتها، أو بالأحرى غاب من بينهم الجانب الوجدانى والروحى، فبدت تصرفاتهم لا تنبئ عن بذل جهد من أجل الآخرة، بل كان جل اهتمامهم بإيثار الدنيا على العقبى، والحياة على الآخرة.

يتبنى «على القارى» فى مخطوطته هذا الجانب، ويدلل على أهمية التربية الروحية والوجدانية للعلماء، وأنها من مقومات رجل الدين، الذى لا يغتر بعلمه، ولا يفتتن بدنياه.

هذا ويستدل «على القارى» على ذلك بحديث: «من طلب العلم لله لم يصب منه بابا إلا ازداد فى نفسه ذلا وفى الناس تواضعا، ولله خوفا وفى الدين اجتهادا، فذلك الذى ينتفع بالعلم فليتعلمه، ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس والحظوة عند السلطان لم يصب منه بابا إلا ازداد فى نفسه عظمة وعلى الناس استطالة وبالله اغترارا وفى الدين جفاء، فذلك الذى لا ينتفع بالعلم فليتمسك وليكف عن الحجة على نفسه والندامة والخزى يوم القيامة».

كما يدلل بحديث رواه ابن عساكر عن ابن مسعود قال: «لو أن أهل العلم صانوا العلم، ووضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا، لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «من جعل الهموم هما واحدا، هم المعاد، كفاه الله سائر الهموم، ومن شعبته الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى واديها هلك».

ولا شك أن الزهد فى الدنيا، هو من أمارات التقوى للعالم، ومن علامات الصلاح والقبول فى الدنيا والآخرة، فالعالم الزاهد، يكرس حياته للعلم، فهو فى مجاهدة دائمة للنفس، وفى مراقبة مستمرة لأفعاله، فيعيش فى الدنيا، طيبة سيرته، ومقبولا قوله ونصيحته، لأنه تشاغل بمرضاة ربه وتخلى عن زخرف الدنيا وبهجتها. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.(١)

روى الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى أنه قال لابنه: «اشتر لى دارا بعيدة من القراء، ما لى بقوم، إن ظهرت منى زلة هتكونى، وإن ظهرت على نعمة حسدونى».

والمميز بين عالم الدين الزاهد، وعالم الدنيا المغرور، يصدق عليه قول:

تشاغل قوم بدنياهم

وقوم تخلوا بمولاهم

---

(١) سورة الأحزاب، آيات (٧٠ ـ ٧١).

فـالزمـهم باب مـرضـاته

وعن سائر الخلق اغناهم

كما يصدق على العلماء الزاهدين قول القائل:

ارى الـزهـاد فـى روح وراحـــة

قلوبهم عن الدنيـا مــزاحـة

إذا ابصـــرتهم ابصـرت قــومـا

ملوك الأرض سيمـتهم سماحة

والعالم الذى تتقدح حلاوة العلم فى قلبه، ويلازم العبادة بحقها، إنما يفر من الناس ويستوحش صحبتهم، عن إبراهيم بن أدهم بن منصور:

«كن واحدا إمعيا ومن ربك ذا أنس ومن الناس وحشيا، ثم أعلم أنك متى عانقت العبادة بحقها ولزمتها حق الملازمة، وجدت حلاوة المناجاة واستأنست بكتاب الله وسنة رسول الله استغنيت عن الخلق ومرامهم واستوحشت من صحبتهم وكلامهم وسلامهم».

هذا ولا يخفى فضل علماء الآخرة «علماء الباطن»، فقد قال حجة الإسلام الغزالى: «وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب» وكان الإمام الشافعى يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى مكتب، ويسأل كيف فى كذا وكذا؟ فيقال له: مثلك يسأل هذا البدوى!!! فيقول: «إن هذا وفق لما علمت» وفى نسخة: «لما جهلناه» وقد كان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخى، ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما، وكانا يسألانه، وكيف لا!!! وقد قال ﷺ : «سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم» من هنا قيل: «علماء الظاهر زينة الأرض والملك، وعلماء الباطن زينة السموات والملكوت» وقد قال بعض العارفين: «لا تنظر إلى الأغنياء، فإن بريق أموالهم يذهب برونق أحوالكم».

من هذا العرض يتضح أن مجاهدة النفس ومراقبة القلب، ومعرفة طريق الآخرة هى سمات العلماء بالله، الذين تتفجر ينابيع الحكمة من أفواههم بفيض من ربهم.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.(١)

هذا وإذا كانت التربية الأخلاقية والروحية شبه غائبة بين رجال الدين والعلماء منذ مئات السنين، فإنها فى عصرنا هذا أشد غيابا، ذلك أن المتغيرات التى حلت بالمجتمعات، والاستعمار الذى عاث فى الأرض فسادا، قد دمر الكثير من القيم، فاستشرى الفساد، وحل الصراع الفكرى، واشتدت تيارات الخلاف، بين المذاهب الوضعية، وصراع الفكر الإسلامى فى مواجهتها.

من هذا المنطلق انحدرت القيم الخلقية فى عصرنا الحاضر، ولا أقول ينطبق عليها ما أشار إليه العلامة «على القارى» منذ مئات السنين بل أقول إن القيم الأخلاقية والروحية، باتت فى عصرنا أثرا بعد عين، وسط أمواج الغزو الفكرى، الذى دمر أو كاد، الفكر الإسلامى وحوله إلى «هشيم تذروه الرياح».

وكما استعرضنا مظاهر فساد الخلق فى عصر «على القارى» مستشهدين ومدللين بما أورده فى مخطوطته، فلا بأس أن نعرض لمظاهر فساد الخلق فى العصر الحاضر، مدللين بأقوال أهل العلم فى هذا المجال.

انهيار القيم الإسلامية:

لقد اهتزت القيم الإسلامية، وأصيبت الجوانب الأخلاقية بالتصدع والاهتزاز، وبات الشباب وقد افتقدوا ثقتهم فى التراث الإسلامى، وكادوا يفقدون نظرة التقديس إليه، خصوصا وقد اتسعت الهوة بين القيم الإسلامية الأصلية والواقع الذى يعيشه أبناء المجتمع الإسلامى.(٢)

وكان من نتيجة هذا الانهيار، تفشى ظاهرة اللا مبالاة، والإهمال فى العمل، وانتشار الرشوة والاختلاس فى معظم جوانب الحياة.

وإذا كانت نهضة الأمم والشعوب لا تقوم إلا على توفير قيم التضامن والتكافل والصدق والمحبة، وإذا كانت النهضة الاقتصادية لا تستقيم سوى بانضباط السلوك

---

(١) سورة البقرة، آية (١٥٧).

(٢) محمد عبد القادر أحمد. طرق تعليم التربية الدينية. القاهرة. مكتبة النهضة المصرية ١٩٨١م، ص٥٢.

الإنسانى فى الفعل والممارسة، إذا كان ذلك كذلك فهل توفرت تلك المبادئ فى المجتمع الإسلامى المعاصر؟

إن الواقع المشاهد يرينا عكس ذلك تماما، فقد تفشت ظاهرة الفرقة، وعم الكذب، وانتشر الفساد وعم الخلف بالوعد، وتقطعت أواصر المودة، واختفت ظاهرة الصبر على مغالبة الصعاب، واضطربت عجلة الإنتاج، وهوى المجتمع الإسلامى أو كاد إلى قاع التمزق والاضمحلال.(١)

ولا نشك أن غياب رجل الدين من الساحة، أو انسحابه من المواجهة، من أسباب تفشى تلك الظاهرة، خصوصا فى معركة الصراع الفكرى.

والمعركة الفكرية، باتت ظاهرة واضحة داخل جميع الأقطار الإسلامية، فهى معركة بين الأفكار والقيم الإسلامية، والأفكار والقيم الغربية، وهى المعركة الحاسمة التى يخوضها العالم الإسلامى اليوم بل هى التى ستقرر مصيره.

وإذا كانت التربية الإسلامية تسعى إلى بناء الفرد المسلم والأسرة المسلمة، فهل نستطيع التنبؤ أن الأسرة المسلمة فى ضوء تلك التيارات المتصارعة، تستطيع أن تنجو من غائلة هذا البركان الكاسح!!!؟

إن الأسرة المسلمة فى المجتمع المعاصر، باتت حائرة بين متناقضين:

فكر أصيل موروث، يتميز بروح الإسلام وقيمه، ويزاحمه غيره فى معترك الحياة وفكر دخيل ينخر فى عقول الشباب، ويسمم فكره، محتميا بالاستعلاء والسيطرة وهو الفكر المادى، الذى يعلى مبدأ اللذة فوق كل القيم، فتتفكك الأسرة فى ظله وتتحلل القيم والأخلاق، ويستشرى مبدأ اللا مبالاة ليحل محل المسئولية، كما تحل الفوضى محل النظام، والتنكر للسلطة فى الأسرة بدلا من القوامة والتوجيه لها.(٢)

---

(١) إبراهيم الدسوقى أباظة: خبز وحرية. سلسلة كتابك. العدد (١٤٧)، دار المعارف بمصر ١٩٧٩م، ص٦٤ - ٦٥.

(٢) أبو الحسن الندوى: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية، دار الأنصار، ط ٣، القاهرة ١٩٧٧م، ص٣.

من هنا يمكن القول: أن المجتمع الإسلامى يواجه معركة إصلاح ما أفسدته القيادات الدينية من نفس المسلم، كما يواجه معركة بناء القيم الإسلامية فى نفس المسلم، وهى معركة أشد قسوة وضراوة، لأنها تواجه إلى جانب جهاد الروح جهاد العقل والفعل.

ولا شك أن السلاح فى مواجهة تلك المعارك واحد، هو المنهج الإسلامى الصحيح.(١)

شيوع الرشوة:

لقد انتشرت الرشوة، وعمت المحسوبية، انتشار النار فى الهشيم، كما سادت روح السلبية بين أبناء المجتمع وعدم المبالاة، وترك الأمور تجرى فى أعنتها، غير عابئين بنتائجها أو مصائرها، وهذا فى واقع الأمر شر ما تبتلى به أمة.(٢)

هذا وتتخذ الرشوة أشكالا متعددة، فقد تقدم فى صورة مبالغ مالية، وقد تقدم فى صورة أكثر مبالغة فى التلفيق (هدايا). كما تقدم للحاكم للحصول على حق غير مشروع، ليصل إليه الفرد بالإثم والعدوان، والمال هنا طريق للنفوذ إلى الحاكم لتسخيره بتقديم المال له، لأكل أموال الناس بالباطل.(٣)

غياب القدوة:

المجتمع الإسلامى المعاصر فى حاجة ملحة إلى القدوة الصالحة، التى تربى الفرد وتربى المجتمع، فهو فى حاجة إلى تربية الحكام والمحكومين، الأمراء، والوزراء، العلماء والآباء، الجميع فى حاجة إلى استيعاب مفهوم القدوة من المنظور الإسلامى.

ولا شك أن العلماء هم الأجدر بتولى القدوة، لأنهم أمناء على الدين، وكلما اعتزوا بكرامتهم، ونأوا بأنفسهم عن مواطن التهلكة، كلما كتب الله لهم العزة.

---

(١) محمد البهى: غيوم تحجب الإسلام، مكتبة وهبة. القاهرة ط٢، ١٩٧٧م، ص٨١.

(٢) يوسف القرضاوى، الحل الإسلامى فريضة وضرورة، مكتبة وهبة جـ٢، ط٣، ١٩٧٧م، ص١١.

(٣) محمد البهي، منهج القرآن فى تطوير المجتمع، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٧٩م، ص١٤٩.

والتاريخ الإسلامى فيه نماذج للعلماء العاملين، فقد رفض الشيخ: محمد الأنبابى شيخ الأزهر فى أواخر القرن التاسع عشر مقابلة، كرومر فسعى كرومر إليه فى قريته، ووقف ببابه، فلم يتحرك الشيخ فى جلسته، ولم يكترث بكرومر، أو حتى يصافحه!!! فحدثه كرومر فى هذا ... فكان رد رجل الدين الذى يمثل السلطة الروحية للأمة: «أنت محتل لبلادى ودينى يمنعنى من تعظيمك...».[1]

تعقيب:

مما لا جدال فيه أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من مقومات استيعاب التربية الخلقية والقيم الروحية بين أفراد المجتمع ولا يختلف اثنان على أن ما نعانيه فى مجتمعنا الإسلامى المعاصر، تكمن أسبابه، فى غياب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ذلك أن الميل بالقرآن والسنة إلى رؤية رجال الدين التى يميلون بها نحو إرضاء الحاكم، لهو جدير أن يزلزل أركان المجتمع خصوصا إذا كان هذا الميل بالدين، تم فى محاولة للملاءمة بين اتجاه سياسى معين، أو فلسفة نظام حكم خاص من ناحية، وبين مبادئ الدين الإسلامى ممثلة فى القرآن والسنة من ناحية أخرى.

وإذا كنا قد أكدنا من قبل ما يجب أن يتحمله رجال الدين، فإننا نكرر مرة أخرى أن ترسيخ القيم الخلقية والروحية يكمن بالدرجة الأولى فى التزام رجال الدين بنصح الحكام والمحكومين على السواء، فهذا هو من صميم عملهم السياسى فى المجتمع المسلم، وأى تخل عن هذا هو الخسران المبين.

وإن أشد ما تعانيه أمة من الأمم هو استبداد اليأس بأهلها وانتشار الإرهاب فى ربوعها والفساد الفكرى بين علمائها، وتفصيل الأحكام إرضاء لرغبة أمرائها، وتأصيل الفتاوى الشرعية نزولا على رغبة زعمائها.

وهذا هو قمة الفساد بعينه الذى أشار إليه العلامة: «على القارى» منذ مئات السنين، مستشهدا فى مخطوطته بما رواه ابن عدى عن أبى هريرة قال «أن فى

---

(١) نعمات فؤاد، أزمة الشباب، كتاب الهلال، العدد ٣٨٦، فبراير ١٩٨٣م، ص٩٣.

جهنم واديا تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة، أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم وإن أبغض الخلق إلى الله عالم السلطان».

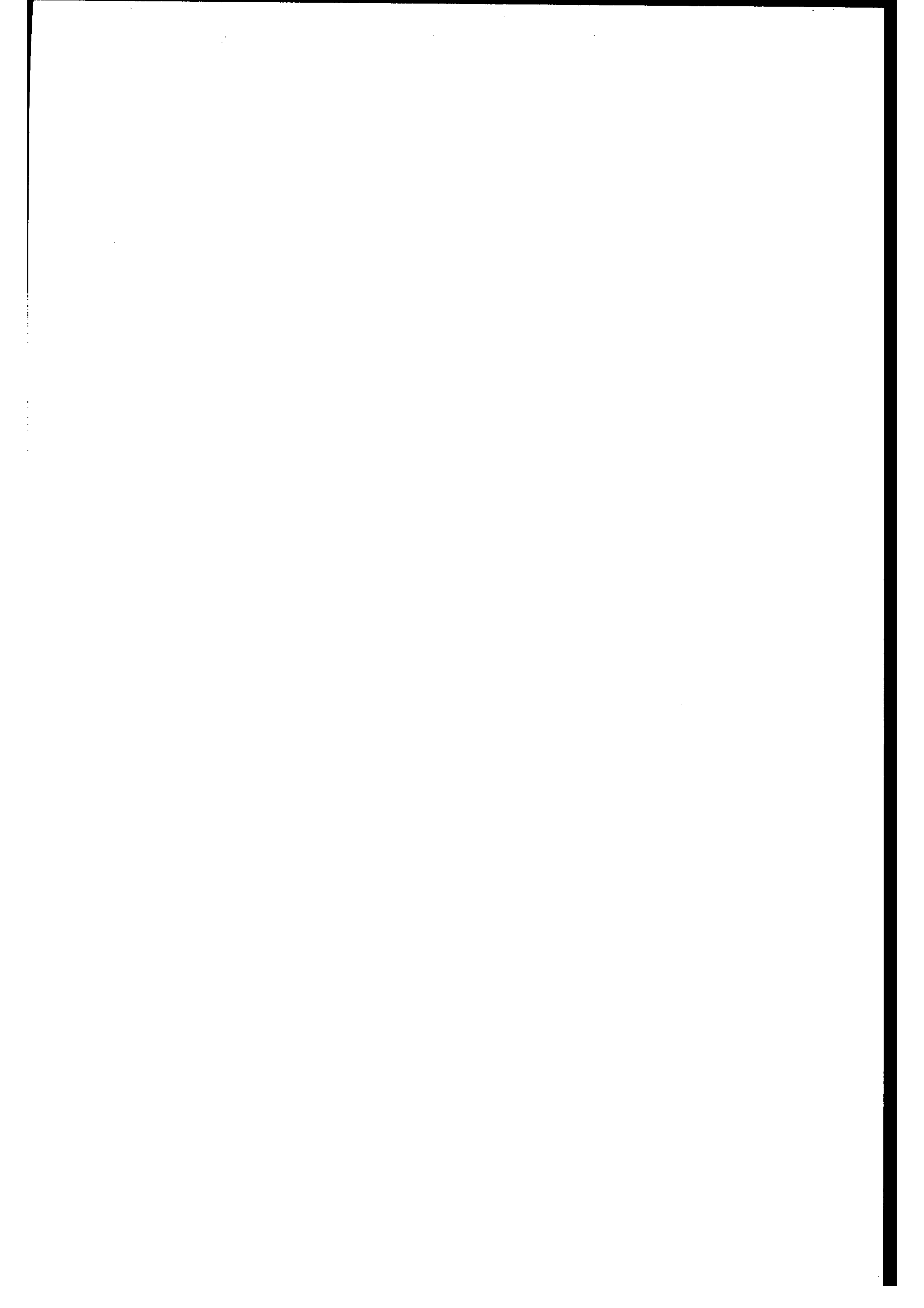
وروى مسلم: «سيكون عليكم أفراد تعرفون منهم وتنكرون، ومن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أبعده الله، قيل: أفلا نقتلهم؟ : قال: لا ماصلوا».

من هنا فإن تثبيت القيم الخلقية والروحية داخل المجتمع، يعتمد بالدرجة الأولى على عناصر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقدوة الحسنة من العلماء والفقهاء والعاملين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ تأسيا بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾.(١)

■ ■ ■

(١) سورة الأحزاب، آية (٢١).

العلم والتعليم فى فكر: «على القارى»:



أولا: فضل العلم وأقسام العلوم:

تمهيد

تناول العلامة «على القارى» فى مخطوطته محل دراستنا، تناول الحديث عن فضل العلم وأقسام العلوم. وفيما يرتبط بفضل العلم، فقد مال «على القارى» إلى أنه لا يوجد شىء فى الوجود أعز من العلم، كما أنه فضل العلم بالله «علوم العقيدة» على سائر العلوم الأخرى.

هذا كما تناول فى تقسيمه للعلوم: علم المكاشفة وهو العلم المجرد، وعلم يعين على العدل وهو العمل المجرد، وعلم طريق الآخرة، وهو المركب من علم وعمل.(١)

وسنناقش فضل العلم وأقسام العلوم فى ضوء توجهات العلامة «على القارى» فى مخطوطته، مستعينين فى ذلك بالأحاديث الصحيحة التى استند إليها العلامة: «على القارى» كما سوف يستعين الباحث بما أورده الإمام الغزالى فى احياء علوم الدين،، مما يؤيد توجهات العلامة «على القارى» ويضفى عليها المزيد من الدقة والتمحيص.

فضل العلم:

لا شك أن العلم فضله كبير، وشواهد ذلك من القرآن والسنة (النقل) وشواهده أيضا من العقل. فمن النقل قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا

---

(١) استند الباحث فى هذا الجزء إلى ما ورد بنص المخطوطة.

الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.(١)

وقوله تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾.(٢)

وهذا وقد أفاض «الغزالى» فى إحياء علوم الدين من الاستشهادات بالآيات والأحاديث والأخبار التى تدلل فى دقة تامة على فضل العلم. من تلك الاستشهادات، حديث متفق عليه، فقد قال ﷺ : «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده» وأيضا حديث رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه، فقد قال ﷺ : «العلماء ورثة الأنبياء» وقوله ﷺ : «خصلتان لا يكونان فى منافق حسن سمت، وفقه فى الدين» رواه الترمذى من حديث أبى هريرة.(٣)

وقوله ﷺ : «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» رواه الترمذى وابن حبان.(٤)

هذا وفى شرف العلم وفضله يقول الشافعى رضى الله عنه: «من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو فى شىء حقير فرح، ومن رفع عنه حزن». وقال عمر رضى الله عنه: «يأيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه، فإن أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات، لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت». وقال الأحنف رحمه الله: «كاد العلماء أن يكونوا أربابا، وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره».(٥)

ومن الشواهد العقلية على فضل العلم يقول الغزالى فى الإحياء: «والعلم فضيلة فى ذاته وعلى الاطلاق من غير إضافة، فإنه وصف كمال الله سبحانه، وبه شرف الملائكة والأنبياء»(٦) وإذا نظرنا إلى العلم وجدناه لذيذا فى نفسه، فيكون مطلوبا

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٨.
(٢) سورة العنكبوت، آية ٤٣.
(٣) أبو حامد الغزالى، احياء علوم الدين، جـ١، بدون، مرجع سابق، ص ٨ ـ ٩.
(٤) المرجع السابق، ص١١.
(٥) المرجع السابق، ص١٤.
(٦) المرجع السابق، ص٢١.

لذاته، كما نجده وسيلة إلى الدار الآخرة والسعادة فيها، فهو من أسباب القرب من الله تعالى، فلا يتوصل إليه الابه.

هذا ولما كانت أعظم الأشياء رتبة للإنسان: السعادة الأبدية، وطالما أن أفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها، ولن يتوصل إليها :إلا بالعلم والعمل، ولن يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل، لما كان الأمر كذلك علم أن أصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم، لأنه أصل الأعمال فهو لذلك أفضل الأعمال، هذا ومعلوم أن ثمرة العلم: القرب من الله والالتحاق بأفق الملائكة، ومقارنة الملأ الأعلى، كما أن من ثمرة العلم فى الدنيا: العز والوقار، ونفوذ الحكم على الملوك، ولزوم الاحترام فى الطباع».(1)

ويدلل العلامة «على القارى» فى مخطوطته (محل دراستنا) على فضل العلم بكثير من الأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين. من ذلك: «سئل ابن المبارك»: من الناس؟ فقال: العلماء. فقيل من الملوك؟ قال: الزهاد. وقيل: من السفلة؟ فقال: الذين يأكلون بدينهم» كما يدلل على القارى «بقول يحيى بن معاذ: «العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم» قيل وكيف ذلك؟ قال: «لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة».

وقد قال أبو الدرداء: «لأن أتعلم مسألة أحب إلى من قيام ليلة» وقوله أيضا: «العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج «لا خير فيهم».

هذا ويستدل «على القارى» فى مخطوطته على فضل العلم بقول الشافعى «من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وخالقها فى قلبه فقد كذب» كما يستشهد بما كتبه حكيم إلى آخر: «قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم» ويستمر فى الاستدلال أيضا بقول عيسى عليه السلام:

---

(1) المرجع السابق، ص٢١ ـ ٢٢.

مـــا اكـــثـــر الشـجـــر

وليس كلهـا يثـمـــر

ومـــا اكـــثـــر الثـــمـــر

وليس كلهـــا يطيب

ومـــا اكـــثـــر العلوم

وليس كلهـــا بنافع

هذا ويرى العلامة «على القارى»: إن لب العلم هو التوحيد، وغايته عند ذوى التأييد أن ترى الأمور كلها من الله تعالى، رؤية بقطع التقاقد من الأسباب والوسائط والإضافات، فلا يرى الخير والشر كله إلا منه.

ولا شك أن «على القارى» ينفذ من وراء ذلك إلى نتائج تفيد المسلم فى سلوكه وتصرفاته، من ذلك مبدأ: التوكل على الله تعالى، وترك شكاية الناس، وترك الغضب عليهم، والرضا والتسليم لحكم الله رب العالمين.

كما ينفذ «على القارى» من ذلك إلى وضع العالم أمام الخيار الصعب، فهو إما أن يقتدى بالسلف، وينكب على دراسة العلوم التى درسوها ويرتضى ذلك، مهما كلفه عناء النظر فيها، خصوصا وقد اندرس أغلبها وإما أن ينكب على دراسة علوم الدنيا وهى بلا شك مبتدعة ومحدثة.

و«على القارى» بذلك يضع العالم أمام اختيار صعب، قد يكون فيه النجاة، وقد يكون فيه الهلاك، خصوصا وقد استشهد بقول الأعمش حينما سئل «قد أحببت العلم لكثرة من يأخذ منك» فقال: «لا تعجلوا!!!! ثلاث يموتون قبل الإدراك، وثلاث يلزمون أبواب السلطان وهم شر الخلق، والثلاث الباقية لا يفلح منه إلا القليل».

ولاشك أن «على القارى» يؤكد بتلك الاستشهادات على أن الموفق من العلماء قليل، خصوصا مع تغيير الأعمار والأزمان، وعلى قدر ما يحسن العالم على قدر فوزه ونجاته يوم القيامة، يستشهد على ذلك بقول أبو الأسود: «ليس شىء أعز من العلم، فالملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك» وكما يستشهد أيضا بقول على

ابن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه:

ما الفخر إلا أهل لأهل إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا
الناس موتى وأهل العلم أحياء

ويستشهد كذلك بقول ابن عباس: «خير سليمان بن داود عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه».

أقسام العلوم:

يقسم العلامة «على القارى» العلوم التى يتقرب بها إلى الله تعالى إلى ثلاثة أقسام:

«علم مجرد: هو علم المكاشفة».

وعمل مجرد: كعدل السلطان مثلا».

«ومركب من علم وعمل» وهو علم طريق الآخرة، فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعا، فانظر إلى نفسك تكن يوم القيامة فى حزب علماء الله أو عمال الله، أو فى حزبيهما، فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما».

ويؤكد «على القارى» على أن العلم بالله تعالى وصفاته من العلوم المحمودة.[1]

ونستنتج من آراء «على القارى» حول العلم بالله تعالى أن:

هذه العلوم بالله تعالى يجب السير فى تحصيلها إلى أقصى غايات الاستقصاء.

العلم بالله تعالى مطلوب لذاته.

(١) انظر المخطوطة « .... والحاصل أن القسم المحمود من العلوم....»

العلم بالله تعالى هو باب السعادة فى الآخرة.

بذل أقصى درجة من الجهد لتحصيل العلم بالله تعالى يقصر الفرد عن تحصيله، لأنه بحر ذاخر، لا يدرك غورة.

الإحاطة بعلوم الآخرة يتيسر بقدر ما يسر الله لمن يحوم حول سواحله.

لم يحط بعلوم الآخرة إلا الأنبياء والأولياء والراسخون فى العلم من الأصفياء على اختلاف درجاتهم، بحسب قوة حالاتهم وتفاوت تقدير الله فى مراتب عناياتهم.

العلم بالله تعالى هو العلم المكنون، فهو لا يبسط فى الكتب.

التعليم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة ينبه الأذهان على تحصيل علوم الآخرة.

المجاهدة ورياضة النفس وتصفية القلب مما يعين على علوم الآخرة.

هذا ولا شك أن العلامة «على القارى» ينبه الأذهان منذ القرن العاشر الهجرى، إلى أهمية أن يسلك العالم بعلمه إلى ما يفيده فى آخرته، وأن يبتعد عن تشقيق الكلام، وعلوم الكلام، والجدل والمناظرة التى لا طائل من ورائها.

وإذا كان العلامة «على القارى» قد نبه إلى ذلك منذ مئات السنين، فما بالنا ونحن على أبواب القرن الحادى والعشرين، وقد انهمك العلماء كلهم تقريبا - إلا من رحم ربى - انهمكوا فى علوم الدنيا، وشغلوا أنفسهم بما لا طائل تحته من الفتاوى التى تقربهم من السلاطين، وصار جل همهم التقليد فغفلوا عن آراء الصحابة الكرام، ووجوب اتباعهم.

هذا وقد وضع «على القارى» فى مخطوطته العلاج الأمثل لهذا الداء العضال الذى استشرى بين أهل العلم، فقال ما نصه: «ثم أعلم أن من عرف الحق بالرجال حار فى مقامات الضلال» ثم استشهد بحديث طويل رواه بعض أهل الحال: «انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال، فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق....» إلى أن قال: «ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها..»[1]

---

(١) انظر المخطوطة.

ومن هذا النص يمكن أن نستنتج أن:

- معرفة الحق تكون بقيمة الحق ذاته، وبها يعرف الرجال.

- معرفة الحق بالرجال يوقع فى الحيرة والضلال.

- عند التقليد يجب التمسك بما اشتهر من درجات الفضل بين الناس من علماء الدنيا.

- يجب عدم الغفلة عن آراء الصحابة الواردة فى أمور الدين.

- لم يكن تقدم السلف بعلوم الكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها.

- وإذا كنا فى العصر الحالى نشهد المهاترات والمناظرات بين العلماء مما لا طائل تحته، كما نشهد اعتزاز كل بعلمه وفنه، وتطاوله على غيره من العلماء ورجال الفكر، كما نشهد التقسيمات اللا محدودة للعلوم، بل داخل العلم الواحد ناهيك أن هذه كلها من علوم الدنيا، التى لا تقرب المسلم من ربه، بل هى مما يتقرب به إلى السلاطين ومما ينال به العلماء الشهرة بين الناس، أقول إذا كان حال علماء العصر هكذا، فإن الإمام الغزالى قد بين فى عشر نقاط هى عبارة عن الآفات التى تتولد عن المناظرة، بل هى من مهلكات الأخلاق.

ونوجز تلك الآفات للمناظرة والجدال فيما يأتى:

- الحسد: وهو نار محرقة، ولا ينفك المناظر عن الحسد، فإنه تارة يغلب وتارة يغلب، وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره. قال ﷺ : «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» وقال ابن عباس رضى الله عنهما: «خذوا العلم حيث وجدتموه، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس فى الزريبة».

- التكبر والترفع على الناس: المناظر دائما يتكبر على أقرانه وأمثاله ويترفع إلى درجة تفوق قدره. قال ﷺ : «من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله».

- الحقد: المناظر لا يقدر أن يضمر حقدا على من يحرك رأسه من كلام خصمه، ويتوقف فى كلامه فلا يقابله بحسن الإصغاء، بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد واخفائه فى نفسه، وغاية تماسكه الإخفاق بالنفاق.

- الغيبة: لا ينفك المناظر عن حكاية كلام خصمه ومذمته، وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب فى الحكاية عنه، فيحكى عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله، وهو الغيبة.

- تزكية النفس: قيل لحكيم: ما الصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء على نفسه.. ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الأقران.

- التجسس وتتبع العورات: والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه، حتى أنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده، فيطلب من يخبره بواطن أحواله.

- الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم: والمناظر إذا رأى قرينه، تغير لونه واضطرب عليه فكره.

النفاق: المتناظرون متوددون بالألسنة ومتباغضون بالقلوب. قال ﷺ : «إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا فى الأرحام، لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم».

- الاستكبار عن الحق: ويتضح هذا من أن المناظر يبغض ما يظهر على لسان خصمه من قول الحق، ومهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره بأقصى جهده، وبذل غاية إمكانه فى المخادعة والمكر والحيلة لدفعه.

الرياء: لا يتورع المناظر عن الظهور عند الخلق، وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه.[1]

هذا ويؤكد «الغزالى» أن هذه الآفات لازمة لكل مشتغل بالوعظ والتذكير، إذا كان مطلبه القبول وإقامة الجاه، ونيل الثروة والعزة، وهى لازمة أيضا للمشتغل بعلم المذهب والفتوى، إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران.

---

(١) أبو حامد الغزالى: إحياء علوم الدين، جـ١، مرجع سابق، ص٧٦ - ٨٠.

وعلى وجه العموم فيرى «الغزالى» أن تلك الآفات لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى فى الآخرة. فالعلم لا يمهل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد. قال ﷺ : «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه».

من هنا «فالغزالى» يرى أن العلماء ثلاثة:

- مهلك «نفسه وغيره»، وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها.

- مسعد «نفسه وغيره» وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهرا وباطنا.

- مهلك «نفسه مسعد غيره»، وهو الذى يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره، وقصده فى الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه، والله تعالى لا يقبل غير الخالص لوجهه الكريم.(١)

هذا ولا شك أن الفكر الإسلامى المعاصر، وعلماءه فى حاجة ان يعودوا مرة أخرى إلى علوم السلف، يسترشدون بها، ويستمسكون بعراها، علهم يرشدون ويتوبون، حتى يعود للإسلام وجهه المشرق، وحتى يمكن الله للمسلمين فى الأرض تحقيقا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.(٢)

ثانيا: المعلم والمتعلم:

ركز العلامة «على القارى» فى هذا الجزء على علامات وأمارات المقربين من علماء الآخرة، وقد استفاد «على القارى» كثيرا فى هذا الجزء مما أشار إليه الإمام الغزالى فى الاحياء، من الحديث عن آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء.

---

(١) أبو حامد الغزالى، إحياء علوم الدين، جـ١، مرجع سابق، ص٨٠ ـ ٨١.
(٢) سورة النور، آية (٥٥).

هذا ولم يشر «على القارى» فى مخطوطته إلى وظائف المعلم وآداب المتعلم كما أشار إلى ذلك الغزالى فى الإحياء.

وسيقوم الباحث بإيجاز ما أشارت إليه المخطوطة من الحديث عن أمارات المقربين من علماء الآخرة، ثم يناقش الباحث أيضا فى إيجاز واستكمالا للفائدة آداب المعلم والمتعلم كما أشار إليه الغزالى فى الإحياء.

«أ» أمارات المقربين من علماء الآخرة:

جاءت أمارات المقربين من علماء الآخرة فى المخطوطة فى ستة عشر علامة، موافقة لما ورد فى الإحياء. وقد رتبها العلامة «على القارى» على النحو التالى:

تصحيح النية فى جميع الأبواب من العبادات والمعاملات بحديث «إنما الأعمال بالنيات».

تقديم طهارة النفس عن الأخلاق الرديئة والأفعال الذليلة، فقد ورد: «من طلب الدنيا مما يبتغى به وجه الله، ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة أى ريحها» رواه أبو داود وابن ماجه باسناد جيد.

أن يقلل العلائق والعوائق والتعلق بالخلائق، فإنها شاغلة ومانعة عن خدمة الخالق.

أن لا يتكبر على العلم ويتواضع للمتعلم.

أن يعمل بعلمه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾.(1)

أن يكون حريصا على طلب زيادته. قال تعالى: ﴿وقل رب زدنى علماً﴾.(2)

ولقوله عليه السلام: «... لابورك لى فى يوم لا أزداد فيه علما».

التباعد عن مصاحبة أهل الدنيا والتسارع بمرافقة أهل العقبى.

---

(1) سورة الصف، آية (٢).

(2) سورة طه، آية (١١٤).

أن لا يطلب الدنيا بعلمه، فأقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وعظم الآخرة.

أن يكون غير مائل إلى الترفه فى المطعم والمشرب والتنعم فى المجلس، والتجمل فى الأثاث والمسكن، بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك، ويتشبه بالسلف الصالح.

ومنها أن يكون شيئاً مستعصيا عن السلاطين، فلا يدخل عليهم البته، مادام يجد إلى الفرار منهم سبيلا، بل ينبغى أن يحترز عن مخالطتهم فإن الدنيا حلوة خضرة، وزمامها بأيدى السلاطين والظلمة.

أن لا يعامل كل منسوب إلى ظلم، فلا يعامله، وكذا الأجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم لأنه يكون بذلك معينا لهم على الظلم.

أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا، بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا.

أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب، ومعرفة طريق الآخرة وصدق الرجاء فى الانكشاف. من ذاك المراقبة والمجاهدة فإن المجاهدة تفضى إلى المشاهدة فى دقائق علوم القلب ويتفجر بها ينابيع الحكمة من فيض الرب.

أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين، فإن اليقين هو رأس الدين، وهو فى التوحيد أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط، بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها.

أن يكون اعتماده فى علومه على بصيرته، وإدراكه بصفاء قلبه وطهارته، لا على المصحف والكتب، ولا تقليد ما يسمعه من غيره، فإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه، فيما أمر به وقاله.

أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور، وإن اتفق عليه الجمهور، ولا يغرنه إطباق الجماعة على ما حدث به الصحابة، وليكن حريصا على التفتيش عن سير السلف وأحوالهم وما كان فيه أكثر همتهم من أقوالهم وأفعالهم.

هذا ولعمرى أن تلك الأمارات لما يعز على علماء زماننا، بل ويندر، مع تغير الأعصار وتقلب الأحوال، فقد ثبت أن السلف الصالح قد أقروا أن الزمان بعدهم لن يصير خيرا مما كان، بل كل يوم شر منه وأمر. وقال عليه السلام: «لا يأتى عليكم عام ولا يوم إلا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم» رواه أحمد والبخارى والنسائى عن أنس.

ولا شك أن ظاهرة الاتجار بالدين أصبحت من سمات العصر الحالى، لدرجة باتت تهدد بنيان المجتمع من جذوره. وتلك طامة كبرى وقد ثبت فى الأثر أن عمر رضى الله عنه قال: «إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم». قالوا: وكيف يكون منافقا عليما؟ قال: «عليم اللسان جاهل القلب والعمل». وقال الحسن: «لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء، ويجرى فى العمل مجرى السفهاء». وقال رجل لأبى هريرة رضى الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال: «كفى بترك العلم إضاعة له» وقيل لإبراهيم بن عيينة: أى الناس أطول ندما؟ قال: «أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره، وأما عند الموت فعالم مفرط».

وقال الخليل بن أحمد: «الرجال أربعة: رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى، فذلك نائم فأيقظوه، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فأرشدوه، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه».(١)

آداب المعلم:

حدد الإمام الغزالى فى الإحياء سبع آداب للمعلم هى:

الشفقة على المتعلمين، بحيث يجريهم مجرى بنيه قال ﷺ : «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده».

أن يقتدى بصاحب الشرع ﷺ، فلا يطلب على إفادة العلم أجرا، ولا يقصد به جزاءً ولا شكورا.

---

(١) أبو حامد الغزالى. إحياء علوم الدين، جـ١، مرجع سابق، ص٩٩ ـ ١٠٠.

أن لا يدع من نصح المتعلم شيئا، وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها، والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى، وينبهه أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة.

أن يزجر المتعلم عن سوء الخلق بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة.

أن المتكفل ببعض العلوم ينبغى ألا يقبح فى نفس المتعلم العلوم الأخرى.

أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله، فينفره أو يخبط عليه عقله، اقتداء بسيدنا محمد ﷺ حيث قال: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم».

أن المتعلم القاصر، ينبغى أن يلقى إليه الجلى اللائق به، ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه، فإن ذلك يفتر رغبته فى الجلى، ويشوش عليه قلبه، ويوهم إليه البخل به عنه.

أن يكون المعلم عاملا بعلمه، فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار، فإذا خالف العلم العمل منع الرشد.(١)

آداب المتعلم:

وضع الإمام الغزالى عشرة آداب للمتعلم هى:

تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الصفات.

أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا، ويبعد عن الأهل والوطن، فإن العلائق شاغلة وصارفة.

أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم، بل يلقى إليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل.

---

(١) أبو حامد الغزالى، مرجع سابق، ص٩٢ - ٩٧.

أن يحترز الخائض فى العلم فى مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو علوم الآخرة، فإن ذلك يدهش عقله، ويحير ذهنه، ويفتر رأيه ونؤيسه عن الإدراك والاطلاع.

أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة، ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته.

أن لا يخوض فى فن من فنون العلم دفعة، بل يراعى الترتيب ويبتدئ بالأهم.

أن لا يخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله، فإن العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج.

أن يعرف السبب الذى به يدرك أشرف العلوم، وأن ذلك يزاد به شيئان:

أحدهما شرف الثمرة، والثانى وثاقة الدليل وقوته، وذلك كعلم الدين وعلم الطب، فإنه ثمرة أحدهما الحياة الأبدية، وثمرة الآخر الحياة الفانية، فيكون علم الدين أشرف.

أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة، وفى المآل القرب من الله سبحانه والترقى إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة المقربين، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومما رأه السفهاء ومباهاة الأقران، وإذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة.

أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد، كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد، والمهم على غيره. ومعنى المهم ما يهمك، ولا يهمك إلا شأنك فى الدنيا والآخرة.[1]

تعقيب:

يميل العلامة «على القارى» إلى أن تعلم علوم الآخرة ينجى صاحبه من خزى يوم القيامة، كما أن صاحبه يرى الخير والشر كله بيد الله سبحانه وتعالى، فهو متوكل

---

(١) أبو حامد الغزالى، مرجع سابق، ص٨٢ ـ ٨٩.

على الله، يترك شكاية الخلق، ويعتزل الغضب عليهم، ويرضى ويسلم أمره لله رب العالمين.

وهذا بلا شك هو منهج السلف، الذى عز وجوده فى هذا الزمان، فقد صار الناس يميلون إلى علوم الدنيا، مع أنها مبتدعة ومحدثة. بيد أنهم لو تمسكوا بمنهج السلف لكان فى ذلك نجاتهم، فليس هناك شىء أعز من العلم فالملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك.

من هنا يمكن القول أن المجاهدة ورياضة النفس وتصفية القلب مما يعين على علوم الآخرة.

ولا شك أننا فى عصرنا الحالى فى حاجة ماسة إلى التركيز على «علوم العقيدة» فقد غدت تلك العلوم مهجورة، وصار الحديث فيها غريبا أو كاد خصوصا مع تفشى العلوم الحديثة واستشرائها فى جميع الأوساط.

ويكفى أن نؤكد أن «علوم العقيدة» تؤدى إلى تربية إيمانية ثابتة، مضمونة النتائج، يصبح بها الفرد المسلم متوازنا فى حياته، منتظما فى سلوكه، لا يأتى من الأفعال إلا ما يرضى الله رب العالمين.

والعلامة «على القارى» يناقش هنا قضية على جانب كبير من الأهمية تلك قضية: معرفة الحق بالرجال ومعرفة الرجال بالحق. ويؤكد على أن من عرف الحق بالرجال صار فى متاهات الضلال، فاعرف الحق تعرف أهله.

ونحن فى عصرنا الراهن، نشاهد تلك القضية فى صورة أخرى، هى أهل الثقة وأهل الخبرة، فأهل الثقة يوكل الأمر لهم، ويبارك أولو الأمر رأيهم، اعتمادا على أنهم لا يخطئون الحق ولا يلحنون، وهم بذلك واهمون، فقد عرفوا الحق بالرجال ولا شك أنهم بذلك يدورون فى فلك الحيرة والضلال، بيد أنهم لو أسلموا الأمور لأولى العلم وأهل الخبرة، ومن يمكن أن يعرفوا من خلال عملهم، فذلك هو مفتاح الخير للفرد وللمجتمع.

هذا وينبه «على القارى» على أهمية أن يتخلص العلماء من صفات مذمومة، تتولد نتيجة المجادلة والمناظرة. ولا شك أن عصرنا الراهن يشهد الكثير من المشاحنات بين رجال الفكر وأرباب القلم الذين يميلون بفكرهم حيث يريدون، لا حيث تكون الحقيقة ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

ولا نشك لحظة واحدة اننا فى حاجة ماسة إلى أن تتوفر فى المعلم صفات حسن النية وعدم التكبر وطلب الزيادة من العلم، كما أننا فى حاجة إلى ان تتوفر فى المتعلم طهارة النفس، وخلوص النية للعلم لوجه الله تعالى والتواضع للمعلم وبذل الجهد إلى أقصى درجة فى التحصيل وخصوصا فى علوم الآخرة.

■■■

منهج التحقيق

مقدمة التحقيق.

التعريف بالكتاب المحقق.

عملي في المخطوطة.

مقدمة التحقيق:

تزخر المكتبة الإسلامية بآلاف المخطوطات والكتب، التى احتوت على الكثير الغزير من منهج السلف، وهو المنهج الإسلامى، الذى وضع معالمه وأرسى أسسه محمد ﷺ.

هذه المخطوطات وتلك الكتب أودع فيها الأولون، خلاصة فكرهم وجماع علمهم، بما يوافق الكتاب والسنة، بيد أننا قد غفلنا كثيرا عن النظر فى هذا التراث الذى امتلأ بما يسعد البشر فى دينهم ودنياهم.

وإذا كان التحقيق يسير بخطى وئيدة فى علوم الفقه والتفسير واللغة العربية، فإنه يكاد يكون معدوما فى مجال الفكر التربوى، وأقصى ما نشاهده هو التأريخ لبعض المفكرين المسلمين، لنستنتج بعض آرائهم التربوية، بيد أن الأمر يبدو مجافيا تماما لمنهج التحقيق من منظور تربوى.

هذا ولما كانت عناية الله تقضى دائما أن يسخر لهذه الأمة من يذب عنها كيد المعتدين وافتراء المضلين، فقد كان فى منهج السلف ما يحقق هذا تصديقا لقوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.(١)

من هذا المنطلق زخرت كتب التراث بالكم الضخم من الآراء التربوية التى فند فيها مؤلفوها آراءهم حول التربية بجميع جوانبها، العقلية والبدنية، الخلقية والروحية، السياسية والوجدانية.

---

(١) سورة الحجر، آية (٩).

صحيح أن هذه الآراء قد تأخذ مسميات أخرى، وصحيح كذلك أنها متناثرة بين كم ضخم وسط تلك المؤلفات، إلا أنها فى النهاية تشكل مفهوما صحيحا لتربية الفرد المسلم والمجتمع المسلم.

هذا ولما كانت آراء علماء السلف، ترتبط فى الكثير منها بمقومات العصر، السياسية منها والدينية، ولما كان العلامة «على القارى» قد شهد الكثير من مظاهر القهر والظلم للحكام، كما شهد القتل والكيد للعلماء وشهد أيضا البطش والفتك والفتنة بين الأمراء بعضهم البعض، ورأى كذلك نفاق العلماء وتقربهم من الأمراء، والنزول بفتاواهم بما يوافق هوى الحكام ويرضى طموحهم الدنيوى، على حساب الكثرة الكثيرة من أبناء المسلمين المقهورين، والمغلوبين على أمرهم، طمعا أن ينال العلماء من حكام الدنيا... إلخ.

لما كان الحال كذلك، ولما كان «على القارى» قد رحل أصلا من «هراة» مسقط رأسه هروبا من ظلم «الدولة الصفوية» فى ذلك الوقت، فلم يكن الأمر هادئا إلى الحد الذى توقعه «على القارى» فى بلاد الحجاز ومنها «مكة المكرمة» حيث استقر بها صاحبنا «على القارى».

أقول لما كان الأمر كذلك، ولكل ما سبق فقد نصب العلامة «على القارى» نفسه ونذر روحه، من أجل الذود عن هذا الدين وعن العقيدة الإسلامية.

هذا وقد أربت مؤلفات «على القارى» على الثلاثمائة مؤلف، بين علوم القراءات، والتفسير والحديث، وعلوم الفقه، وعلوم التوحيد، والسيرة، والمواعظ، وعلوم اللغة والتراجم وكتب متنوعة أخرى، انبرى فيها للذود عن العقيدة الإسلامية فى جميع صورها، بحيث كان يهدف إلى تخليص المنهج الإسلامى من شبه الملحدين والمتزندقين، وغرور العلماء والمنافقين، والمنحرفين والمضلين، الأمر الذى يخلص الدين من عبث العابثين، ويوقف الناس على منهج السلف من المتقين، حتى تعود العقيدة نقية صافية، تنطلق فى بناء البشر وتربية الفرد والمجتمع من المنظور الإسلامى.

ولا شك أن مخطوطته: «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» محل دراستنا أحد المؤلفات التى زخرت بالكثير الغزير حول التربية العقلية والسياسية والخلقية والروحية وحول العلم والتعليم وواجب العلماء والمتعلمين والأمراء والحكام والتى جاءت مستجيبة لروح العصر الذى عايشه العلامة «على القارى».

ولا نبالغ إذا قلنا أنها تستجيب أيضا للعصر الذى نعيشه اليوم، وكيف لا!!! وقد استشرى النفاق، وانتشرت مظاهر الخداع، وعمت بلوى تقارب العلماء للحكام.

وإذا كان هذا الذى حذر منه العلامة «على القارى» أمرا معلوما من الدين بالضرورة، فى غضون القرن العاشر الهجرى، فإنه أكثر ضرورة ونحن نعايش القرن الخامس عشر الهجرى حيث تشهد ساحتنا الإسلامية، المهاترات والمشاحنات، والظلم والقهر، والقتل والكيد، والمؤامرات بين جميع فئات المجتمع الإسلامى، بحيث لم يبرأ من هذا فئة من الفئات، حتى علماء الدين أنفسهم لهم يبرأوا من هذا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وعلى وجه العموم فالحاجة ماسة إلى النظر المتأنى، المتعمق والهادئ الدارس والمستنبط من خلال تلك المخطوطات التى تمس جوهر حياة مجتمعنا الإسلامى، والتى تسهم بصورة مؤكدة فى تقويم سلوك الفرد المسلم حتى يعود للمجتمع الإسلامى مجده، وحتى يتربى الفرد على الفضيلة والعزة والكرامة.

التعريف بالكتاب المحقق:

اسم الكتاب:

«تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء»

هذه هى التسمية المعروفة لهذا الكتاب. وقد سجلت هذه التسمية على الجانب الأيمن من أعلى الصفحة رقم ٣٤٦ حيث تبدأ المخطوطة والتى كتبت ضمن مجلد يحتوى مجوعة من الرسائل تحت مسمى: «هذا مجموع رسائل أغلبها تأليف الكوز

لحصارى[١] الحنفى نقلت من خطه والأصل بطرف حضرة الشيخ العباسى المهدى الحنفى».[٢]

وقد جاء بالصفحة الأولى من المخطوطة: «الحمد لله الذى جعل العلماء ورثة الأنبياء وواسطة عقد سلسلة الأولياء والأصفياء. وصيرهم أغنياء عن مذلة ملازمة الأمراء والأغنياء. والصلاة والسلام على خير من قام بوصف الهداية والاهتداء وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه نجوم الاقتداء. أما بعد فيقول الملتجى[٣] إلى حرم ربه البارى على بن سلطان محمد القارى».

موضوع الكتاب:

اشتمل الكتاب على: فضل العلم وأقسامه، كما تناول الآراء حول التربية العقلية والخلقية والروحية والسياسية. والمؤلف وإن كان لم يضع عناوين لتلك الآراء التى وردت فى مخطوطته، إلا أن القارئ يستطيع أن يستنتجها من بين السطور، خصوصا حينما يخاطب المؤلف العلماء، ويقدم لهم التحذير تلو الآخر من ملازمة الأمراء، حيث أن مخالطتهم تؤدى بالعلماء إلى طريق التهلكة نتيجة انزلاقهم فى فتاويهم بما يوافق هوى الأمراء، طمعا فى كسب أدبى أو مادى، بينما الإسلام يؤكد أن الأمير والحاكم عليه أن يتقبل نصح العلماء وارشادهم وتوجيههم له بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حيث أن الدين لا ينفصل عن أمور الحكم والسياسة بحال من الأحوال.

سبب تأليف «على القارى» للكتاب:

من أقوى الأسباب التى دفعت بالعلامة «على بن سلطان محمد القارى»، إلى تأليف هذا الكتاب، ما استشرى بين العلماء فى عصره من التزلف والتقرب من السلاطين، طمعا فى الدنيا، ونسيانا للعقبى. والقارئ للكتاب يلمس ذلك، خصوصا

---

(١) الكُوَز لحِصَارى = محمد بن على ١٣٠١هـ الأعلام للزركلى، جـ٥، ص٢٣٦.

(٢) العباس (المهدى) = محمد بن محمد ١٣١٥هـ، الأعلام للزركى جـ٣، ص٢٦٨.

(٣) بدون همزة على الياء الساكنة. تلك لازمت المؤلف فى مثل هذه الكلمات البارى - القارى - وهى يعنى البارئ - القارئ وإن كان المحقق قد أثبت الهمزة فى التحقيق تيسيرا على القارئ.

مع استشهاد المؤلف بالكثير من الآيات والأحاديث التى تربأ بالعالم أن يخالط السلطان موافقا لهواه ومفتيا بما يحقق مرامه ورضاه.

مباحث الكتاب:

المؤلف وإن كان لم يضع عناوين محددة لمباحث الكتاب، إلا أنه كان يشير إلى الموضوع الذى هو بصدد الحديث عنه ضمن سطور المخطوطة. من ذلك قوله: «وأما الأخبار فى هذا الباب فكثيرة، وكذلك الآثار لأهل الاعتبار فى هذا المعنى شهيرة...»(١) ثم يقول بعدها: «وأما الأخبار فقوله عليه السلام: «العلماء أمناء الرسل مالم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا وإذا خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فاحذروهم».(٢)

... ويستمر المؤلف على هذا النظم مثل: «وأما الآثار عن الأخيار من الأحبار...».(٣)

وهكذا يسير المؤلف متبعا نفس المنهج فيما يتصل بالعلوم وأقسامها وآداب المعلم، وعلامات المقربين من علماء الآخرة وآداب المتعلم وآراؤه حول العقل والخلق.

والمحقق قد وضع مباحث الكتاب مرتبة فى ضوء ما سبق على الوجه التالى:

أولا: المقدمة.

ثانيا: مصطلحات ومفاهيم حول العلماء والأمراء والظلمة.

ثالثا: الأخبار.

رابعا: الآثار.

خامسا: العلوم التى يتقرب بها إلى الله تعالى.

أصل العلم وغايته وثمرته.

سادسا: المعلم والمتعلم.

---

(١) انظر نص المخطوطة من هذه الدراسة.

(٢) انظر نص المخطوطة من هذه الدراسة.

(٣) انظر نص المخطوطة من هذه الدراسة.

علامات المقربين من علماء الآخرة.

آداب المعلم.

آداب المتعلم.

سابعا: العقل ووظيفته.

وأما التربية الخلقية والروحية والسياسية، فنظرا لأنها متناثرة بين صفحات المخطوطة من مبدئها إلى منتهاها فقد آثر المحقق عدم وضع عناوين لتلك المباحث، ضمن نصوص المخطوطة، مكتفيا بالحديث عنها والاستشهاد عليها من المخطوطة خلال دراسته لنصوصها.

توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

لقد ثبت أن للمؤلف مصنفات كثيرة، بين مجلدات وكتاب متوسط ورسائل صغيرة فى ورقات. وقد اشتملت تأليفاته على الفنون المتداولة فى عصره مثل: التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو والقراءات، والأدعية والمواعظ.

هذا وقد استند المحقق فى توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه من:

ما نص عليه ثبت المراجع[1] من إدراج كتاب: «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» ضمن مؤلفات «على بن سلطان محمد القارى» فى المواعظ.

بمراجعة المحقق لمجموعة الرسائل التى كتبها العلامة «على بن سلطان محمد القارى» والمودعة فى مكتبة «عارف حكمت» بالمدينة المنورة والتى وصل عددها إلى

(١) أشار الباحث: عبد الله على الملا فى دراسته: «كتاب رد النصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود للإمام الفقيه المحدث الملا على بن سلطان محمد القارى المتوفى سنة ١٠١٤هـ، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه غير منشورة. بجامعة أم القرى. كلية الدعوة وأصول الدين. ١٤٠٩هـ، ص٩٦ - ١٠٤. أشار الباحث إلى ثبت المؤلفات لعلى القارى ومنها كتاب: «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» تحت عنوان مؤلفات على القارى» فى المواعظ.

وقد استند الباحث فى وضع قائمة تلك المؤلفات والتى وصلت إلى: ثمان وخمسين ومائة استند إلى:

تاريخ الأدب العربى لـ «بروكلمان» جـ٢، ص٥١٧ وما بعدها.

البضاعة المزجاة للجشتى، جـ١، ص٨٦ وما بعدها.

نشر النور والزهد لـ «عبد الله مرداد أبو الخير» جـ٢، ص٣١٨ وما بعدها.

(٣٢٩) تسع وعشرين وثلاثمائة رسالة يحتويها مجلد واحد، بمراجعة المحقق لتلك المخطوطات وجد تطابقا وتلاؤماً كبيرين أسلوب المؤلف فى تلك المخطوطات وبين المخطوطة محل التحقيق.

ورد بفهرس المكتبة القصبية[١] بالمسجد الأحمدى[٢] النص على نسبة كتاب: «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» إلى العلامة: «على ابن سلطان محمد القارى الحنفى، فقيه ومحدث».

من تلك الدلائل يتضح صحة نسبة كتاب: «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» إلى العلامة: على بن سلطان محمد القارى.

منهج المؤلف فى الكتاب:

انبرى العلامة: «على بن سلطان محمد القارى» فى كتابه: «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» لإبطال رأى المتمذهبين بالميل إلى السلاطين من العلماء والقراء، بحجة الطاعة لولى الأمر، مثبتا بالأدلة من الكتاب والسنة، ما يجب أن يتوجه إليه العلماء من النصح للسلطان والحاكم، وأهمية أمره له بالمعروف ونهيه عن المنكر، وليس الميل بالفتوى، حيث يميل الأمير أو الحاكم، فذلك هو الظلم الفادح والخسران المبين.

وقد أكثر «على القارى» فى كتابه من الروايات التى حدثت بين العلماء بعضهم البعض، وبينهم وبين الأمراء، والتى تؤكد أن ملازمة الأمراء والسير فى ركابهم بهتان فاضح.

هذا كما يتضح من الكتاب ميل العلامة «على القارى» إلى وجوب التزام العالم بالزهد، والرغبة عن الدنيا إلى العقبى، والاكتفاء من العيش بالقليل حتى يقتدى العوام بالعلماء، ولا يقعون فى مغبة تقليدهم إن هم بالغوا فى التزين بمظاهر الحياة الدنيا.

---

(١) المكتبة القصبية نسبة إلى: محمد بن الإمام القصبى الأحمدى.

(٢) المسجد الأحمدى ـ مسجد سيدى أحمد البدوى بطنطا.

ويميل على القارى إلى مذهب السلف، ويرى أن التزين والتمتع بالمباح يجب أن لا يصل إلى حد المبالغة، فإن المبالغة فيه توجب الإلف له، والتعود عليه، فيصير عادة للمرء وخلقا فيه.

الكتاب يستند ويستدل بآيات القرآن والأحاديث والأخبار وهو مؤلف جيد ونافع، واسمه يدل ويرشد إلى معناه، إذا تأمله القارئ المتأنى، وجده مشتملا على سوق الأدلة وتقديم البراهين النقلية والعقلية التى تزيل الفساد الذى كان ومازال يستشرى بين العلماء ومدى قربهم من السلاطين والحكام قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.(١)

هذا كما يقدم الكتاب فى هدوء آراء قيمة حول العقل والخلق والسياسة والعلم والتعليم...

مصادر العلامة «على القارى» فى كتابه «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء»:

من خلال كتاب: «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» يتضح أن «على القارى» كان ينهج مذهب السلف، يلتقط الحكمة أنى وجدها، ويسير فى سبيل الحق والرشاد، فهو إمام مجتهد، خلف ذخيرة علمية ومؤلفات وتلامذة.

وقد عول «على القارى» فى مراجعته للكتاب سالف الذكر على الكثير من أمهات الكتب فى التفسير والحديث وقبلها القرآن الكريم.

ويقدم الباحث فيما يلى أهم تلك المصادر:

أولا: القرآن الكريم.(٢)

ثانيا: الأحاديث(٣) والتى اتضح من خلال تخريجها استنادها إلى أمهات الكتب

---

(١) سورة هود، آية (١١٣).

(١) انظر فهرس الآيات...

(٢) انظر فهرس الأحاديث...

ومن أهمها:

(ابن حنبل) أحمد الشيباني... المسند.

(أبو حامد الغزالي) محمد بن محمد بن محمد الغزالي... إحياء علوم الدين.

(أبو نصر الديلمي)... مسند الفردوس.

(أبو نعيم) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني.... حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

(الترمذي) محمد بن عيسى بن سوره... الجامع الصحيح وهو سنة الترمذي.

(السخاوي) محمد بن عبد الرحمن.... المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.

(السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.... الجامع الصغير في أحاديث البشير والنذير.

(النووي) يحيى بن شرف الدين.... صحيح مسلم بشرح النووي.

(المناوي) محمد بن عبد الرءوف.... فيض القدير شرح الجامع الصغير.

التعريف بالمخطوطة:

المخطوطة «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» من تأليف: «علي بن سلطان محمد القاري» الحنفي، فقيه ومحدث.

المخطوطة مودعة في المكتبة القصبية بالمسجد الأحمدي بمدينة طنطا تحت رقم ٢٩١/٣٢٧.

تبدأ المخطوطة بعد حمد الله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ.. «أما بعد فيقول الملتجئ إلى حرم ربه الباري علي بن سلطان محمد القاري: إن الله سبحانه أعظم برهانه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.(١)

---

(١) سورة هود، آية ١١٣.

هذا كما تنتهى المخطوطة: «.... ومجمل الكلام أن العقل يسمى به لعقله ومنعه صاحبه عما لا يليق به، كما يسمى «نهى» لنهيه عن الفحشاء والمنكر ونحوه. والحاصل أن العقل لا ينفع بدون النقل والنقل لا ينفع بدون العقل. وهذا نهاية التحقيق والله ولى التوفيق».

تقع المخطوطة فى ٤٩ صفحة (٣٤٦ ـ ٣٩٤) ومسطرتها ٢٥ سطرا، ومقاسها ١٧×١٠سم.

كتبت المخطوطة بخط «عيسى محمد» وقد أتم نسخها سنة ١٢٩٥هـ، بينما وقع الفراغ من كتابتها كمسودة بيد عبد الله بن مصطفى أفندى وذلك فى شهر ذى الحجة سنة ١١١٩هـ.

كتبت المخطوطة بخط نسخى ردئ، ويشوبها ويتخللها كثير من التحريف والتصحيف والطمس كما يضع الناسخ خطوطا حمراء تحت المهم من الألفاظ والعبارات والأحاديث والأخبار والآثار والآيات. ويشير أيضا إلى الخطأ بوضع علامة على شكل رقم «سبعة» فوق الكلمة الخطأ.

هذا وأحيانا يبرز الناسخ الجمل المهمة بخط مميز (أكبر) والمخطوطة خالية من التبويب والتقسيم إلى فصول أو مباحث، فقد بدأت وانتهت دون الإشارة إلى ذلك، كما خلت من علامات الترقيم تماما.

المؤلف يتجه فى المخطوطة إلى المذهب السلفى...

عملى فى المخطوطة:

لقد مضى على هذا المؤلف أكثر من أربعة قرون، لم يقم أحد خلالها بتحقيقه وإخراجه إلى الناس بالرغم من أهميته من حيث الموضوع الذى تناوله خصوصا فيما يتعلق بواجبات العلماء، ونمط وأسلوب علاقتهم بالأمراء والحكام.. هذا ويتحدد عملى فى المخطوطة على النحو التالى:

تحقيق اسم المخطوطة.

توضيح موضوع المخطوطة.

بيان سبب تاليفها.

تحقيق نسبة المخطوطة إلى المؤلف.

بيان مباحث المخطوطة ومنهج المؤلف فى كتابتها ومصادره فيها.

تحقيق النص:

المحاولة قدر الإمكان أن يخرج النص فى أقرب صورة تركها عليه المؤلف.

تخريج آيات القرآن الكريم.

تخريج الأحاديث التى وردت بالمخطوطة ما أمكن.

تخريج الآثار التى وردت بالمخطوطة ما أمكن

شرح المفردات الغريبة، وعزو الأقوال إلى مصادرها ما أمكن.

ترجمة الأعلام الواردة قدر الإمكان.

■■■

١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الانبياء وواسطة
عقد سلسلة الاولياء والاصفياء وصيرهم
اغنياء عن منزلة ملازمة الامراء والاغنياء والصلاة
والسلام على خير من قام بوصف الهداية والاهتداء
وعلى آله واصحابه واتباعه واحبابه نجوم الاقتداء

اما بعد فيقول الملتجي الى حرم ربه البارئ علي
ابن سلطان محمد القاري ان الله سبحانه اعظم
برهانه في قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون
والركون ادنى الميل ومنه قوله تعالى ولولا ان
ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وفيه
مبالغات يدل انه تثبيته تعالى لنبيه كان كثيرا بليغا
والظلم لغة وضع الشيء في غير موضعه واقواه الشرك
وانواع الكفر لقوله عز وجل ان الشرك لظلم عظيم
وادناه وضع محبة غير الرب في ميدان القلب كما
يشير اليه قوله عز وجل ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وهو الشرك الخفي كما يومي
اليه كلام العارف ابن الفارض

ولو خطرت لي في سواك ارادة
على خاطري سهوا حكمت بردتي

وعرفا هو التعدي الى مال الغير وعرضه ودمه بغير
وجه شرعي وهو هنا اقبح انواع الظلم وابعدها
عن العفو والحلم ويؤيده حديث الدواوين ثلاثة فديوان
لا يغفر الله منه شيئا وديوان لا يعبأ الله به شيئا

وديوان

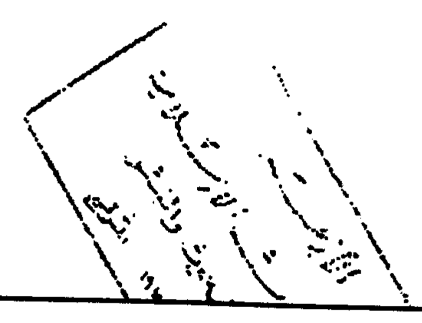
وديوانا لا يترك الله منه شيئا فأما الديوان
الذي لا يغفر الله منه شيئا فالاشراك بالله وأما
الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه
فيما بينه وبين ربه من صوم تركه أو صلاة تركها فإن
الله يغفر ذلك إن شاء الله ويتجاوز وأما الديوان
الذي لا يترك الله منه شيئا فظالم العباد بينهم
القصاص لا محالة رواه احمد والحاكم في مستدركه
عن عائشة رضي الله عنها وعن عبد الله بن المبارك
لما سأله خياط للظلمة هل أنا من أعوانهم قال لست
من أعوانهم بل أنت من أنفسهم من يبيع لك الخيط والابرة
في أعوانهم وورد الجلاوزة والشرط أعوان الظلمة
كلاب النار رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر وقال
ميمون لا تصاحب الأشرار فإن ذلك يحرمك صحبة
الصالحين وقال السدي لا تداهنوا الظلمة فتمسكم
النار وما لكم من دون الله من أولياء أعوانا يمنعونكم
من عذابه ثم لا تنصرون في دفع عذابه وقال
الغشيري لا تعملوا أعمالهم ولا ترضوا بأعمالهم ولا تمدحوهم
على أعمالهم ولا تتركوا الأمر بالمعروف عليهم
في أفعالهم ولا تأخذوا شيئا من حرام أموالهم ولا
تمكنوهم من قلوبكم ولا تخالطوهم ولا تعاشروهم لئلا
تشاركوهم في مآبهم بما يلحقهم من صاحبهم من وبالهم
فإن من أحب قوما حشر معهم وأما حديث ثلاث يشكو
لا ... ليست الدنيا والسلطان والمرأة فكلام صحيح
معنى وليس بحديث ... وأما الأخبار في هذا الباب

ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد
تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز
واشارة في عبارة والى كامل تنبعث من
نفسه حقايق الامور بدون التعلم يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء
عليهم السلام اذ يتضح لهم في باطنهم
امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن
ذلك بالالهام وعن مثله عبر النبي صلى الله
عليه وسلم حيث قال ان روح القدس
نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش
ما عشت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي
به الشيرازي في الالقاب من حديث سهل بن سعد
والطبراني في الاصغر والاوسط من حديث علي
وكلاهما ضعيف ومما يدل على تفاوت العقل
من جهة النقل ما روي ان عبد الله بن سلام
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث
طويل في اخره وصف عظم العرش وان الملايكة
قالت يا ربنا هل خلقت خلقا اعظم من العرش
قال نعم العقل قال وما بلغ من قدره قال هيهات
لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال
الله تعالى فاني خلقت العقل اصنافا شتى
كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم
من اعطي حبتين ومنهم من اعطي الثلاث ومنهم
الاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم من اعطي وسقا
ومنهم من اعطي اكثر من ذلك ابن المحبر من حديث انس
بتمامه

بتمامه والترمذي الحكيم مختصرا في نوادره ليس كل احد
من العقلاء يصرف عقله في شيء من الاشياء ويصير
في ذلك الفن من البلداء ويعد فيه من الجهلاء واذا اردت
ان تفرق بين العلم والعقل فاعلم ان احدا من
السلاطين سلم ولده الى احد من الرمالين ليتعلم
علم الرمل على وجه التحقيق فاجتهد الرمال في تعليم الولد
مدة في زمن الاشتغال الى ان صار من جهة العلم في غاية
من الكمال فاتى به الى السلطان وقال ما كان
في وسعي من العلم فعلمته في غاية لكن ليس لي علاج
في قلة عقله وعدم فطانته فقال لم كيف هذا فقال
يخفي السلطان في يده شيئا ويجربه فاخذ خاتمه
في كفه وقال للولد ارمل فرماه وقال
شيء مدور ورماه ثانيا فقال مدور
ورماه ثالثا فقال مجوف فقيل له فما ذا
يكون قال رحى فلو كان منه عقل يعرف ان الـ
لا يتصور وجود الرحى في كف اولي النهى ومن
هنا قال تعالى وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون ونظيره انه
قال ابو يوسف يوما في حد الصوم انه
الامساك من طلوع الصبح الى غروب الشمس
فقال له قائل واذا لم تغرب الشمس
قال صبي لتغرب الى واحد وقد ورد ان
آدم الى ربك تسميها قبلا ولا تسمه فتسمي
جاهلا رواه ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة
وابي سعيد وقال عز وجل ولكن اكثرهم

لا يمتثلون و مجمل الكلام ان العقل يسمى
به لعقله ويمنعه صاحبه مما لا يليق به كما
يسمى نهى لنهيه عن الفحشاء والمنكر ونحو والحاصل
ان العقل لا ينفع بدون النقل
والنقل بدون العقل
وهذا نهاية التحقيق
والله ولي
التوفيق
تم

وقد وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب
من يد العبد المفلس المحتاج الى رحمة الله تعالى
عبد الله بن مصطفى افندي غفر الله له ولوالديه
ولجميع المسلمين آمين يا رب العالمين من تاريخ شهر
ذي الحجة الشريفة من سنة تسع عشر وثمانية والف
على يد كاتبه الفقير الى الله تعالى [illegible] محمد [illegible]
[illegible] تم تم
1295



«النتائج والتوصيات»

أولا: النتائج.

ثانيا: التوصيات.

أولا: النتــائــج:

دراسة الآراء التربوية من خلال تحقيق مخطوطة لها قيمة فى التراث الإسلامى، اتجاه جديد، والاستفادة من تلك الآراء أمر متوقع، خصوصا إذا كانت تلك الآراء تلتقى مع بعض المتغيرات المعاصرة.

وفى دراستنا للمخطوطة «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» للعلامة «على بن سلطان محمد القارى» توصلنا إلى نتائج نقدم فيما يلى أهمها:

آراؤه حول التربية العقلية:

العقل إما أن يكون مطبوعا (الغريزى) أو يكون مسموعا (المكتسب).

من صفات العاقل: العلم - العبادة - الفضل - التقوى.

التفاضل بين الناس لا يكون إلا بالعقل.

اكتسب العقل شرفه من أنه وعاء للعلم.

طرق اكتساب العقل يتم على أساس:

اجتناب محارم الله.

أداء الفرائض الواجبة لله رب العالمين.

الالتزام بعمل الصالحات.

أقر «على القارى» بمبدأ الفروق الفردية فى العقل، فمن الناس من هو ذكى يفهم بأدنى رمز من التفهيم ومنهم من تنبعث من نفسه حقائق الأمور دون تعلم، ومنهم البليد الذى لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم.

وضح «على القارى» الفرق بين العلم والعقل، وبين أن وجود قدر من الذكاء لدى المتعلم حتمى «لنجاح عملية التربية».

آراؤه حول التربية السياسية:

فضل العلم لا يضاهيه شىء فى الوجود، فبينما الملوك حكام على الناس، فإن العلماء حكام على الملوك.

الأمراء والحكام العدول هم الذين يسعون إلى قضاء مصالح الناس وخصوصا الفقراء.

لا يخلو الحال حين ملازمة الأمراء والحكام من الميل لهم وتصديقهم بالكذب، والقول فى حضورهم ما ليس فيهم.

التزام الفتيا الشرعية الخالصة لله، وعدم المساس بجوهر العقيدة، يحدث حين لا يلازم العلماء الأمراء ولا يطرقون أبوابهم.

تتحقق رسالة العلماء فى أداء واجبهم الدينى فى أنهم ورثة الأنبياء تتحقق حينما لا يداخلون الدنيا ولا يخالطون السلاطين.

علماء السوء فى كل عصر، هم المنافقون للسلطان المتشدقون بألسنتهم فيجب الحذر منهم.

الإسلام يوجب ويقر مبدأ النصح للحاكم مهما لاقى المجاهدون من أجل الحق من ظلم وعنت شديدين.

الإسلام يقر مبدأ الشورى.

العلماء والسلاطين شركاء فى مسئولية الحكم.

استهدفت التربية فى الإسلام الاقرار بمبدأ مصلحة الفرد والمجتمع فى آن واحد، بحيث تتحقق المصالح المشتركة والمصير المشترك للفرد والجماعة على السواء.

آراؤه حول التربية الخلقية والروحية:

انحراف رجال الدين عن رسالتهم الحقيقية ساهم فى ظهور فساد الخلق بين الناس.

العلماء يؤثرون بسلوكهم فى تثبيت دعائم الخلق، خصوصا من يدعون إلى الله على بصيرة مهما جوبهوا من الأذى والمتاعب.

مبدأ المراقبة ومجاهدة النفس يسهم فى تنمية التربية الروحية لدى الفرد الإنسان.

الزهد فى الدنيا يرتفع بالنفس إلى درجة السمو والقرب من الله تعالى.

مع أن التزين بالمباح ليس بحرام، إلا أن الأفضل عدم المبالغة فيه، فإن ذلك يوجب الأنس به، فيشق تركه، حيث أن استدامة الزينة لا تتم إلا بمباشرة أسباب هى فى الغالب تجر إلى ارتكاب المعاصى.

آراؤه حول العلم وفضله وواجب المعلم والمتعلم:

العلم بالله من أفضل العلوم حيث أنه نور يقذف فى القلب، والعاقل من يحرص على تحصيله.

لب العلم هو علم التوحيد، وغايته أن ترى الأمور كلها من الله تعالى.

المحمود من العلوم هو: العلم بالله تعالى وبصفاته.

كثير من العلوم التى يقبل عليها الناس مبتدعة ومحدثة.

العلوم ثلاثة:

علم مجرد: هو علم المكاشفة.

عمل مجرد: كعدل السلطان.

مـركب من علم وعـمل وهو علم طريق الآخـرة فـصاحـبـه من العلمـاء والعمال معا.

وضح «على القـارى» أمـارات وعـلامـات العلمـاء المقـربين وهم علمـاء الآخرة.

بين «على القارى» آداب المعلم.

وضح «على القارى» آداب المتعلم وما يجب أن تكون عليه علاقته بالمعلم.

ثانيا: التوصيات:

يوصى الباحث بما يلى:

- سبـر غـور المخطوطات التى تملك رصـيـدا هائلا من الآراء التـربوية والتـراث الإسلامى وخصوصـا تلك التى يمكن الاستفادة منها فى مواجهة بعض المشكلات المعاصرة.
- قيام كليات التربية والدراسات العليا فيها بتوجيه أنظار الباحثين إلى مجال الدراسـات للمـفكرين المسلمـين من خـلال مـاخلفـوه من فكر تربوى أودعـوه فى المخطوطات التى كتبوها.
- مازال التراث الإسـلامى ممثلا فى المخطوطات فى حاجة إلى تضافر الجهود على جميع المستويات لإخراجه إلى حيز الوجود.
- الحاجة ماسة إلى تكوين بنك للمعلومات يضم المخطوطات المتناثرة فى المكتبات الضخمة ببلاد العالم الإسلامى، حتى يسهل على الباحثين الخوض فى هذا المضمار.
- مواصلة البحث فى فكر العلامة «على بن سلطان محمد القارى» للاستفادة من الجوانب التربوية التى مازالت مجهولة من فكره والمودعة فى كثير من مخطوطاته والتى لم يتطرق إليها الباحث ومنها مخطوطة: «تطهير الطوية فى تحسين النية» وغيرها.

«الملاحق»

ملحق رقم (١):

مخطوطات «على بن سلطان محمد القارى الهروى ثم المكى» والمودعة فى المكتبة العامة فى المدينة المنورة (سابقا) مكتبة الملك عبد العزيز (حاليا).

مخطوطات «على بن سلطان محمد القارى الهروى ثم المكى» والمودعة فى المكتبة العامة بالمدينة المنورة.(1)

الرقم العام	اسم المخطوطة	العدد
١٨٥٥	رسالة فى العقائد	١
١٨٦٣	شرح الفقه الأكبر سنة ١١٧هـ (رقم ١٩٢٣ سنة ١٢٢٣هـ)	٢ + ١
١٨٧٥	ضوء المعانى شرح بدء الأمانى سنة ١٢١٧هـ	٤
١٨٧٦	ضوء المعانى شرح بدء الأمانى	٥
١٨٦٥	ضوء المعانى شرح بدء الأمانى	٦
١٩٢٢	ضوء المعانى شرح بدء الأمانى سنة ١١٧٩هـ	٧
١٩٢٤	ضوء المعانى شرح بدء الأمانى	٨
١٩٢٥	ضوء المعانى شرح بدء الأمانى سنة ١١٨٨هـ	٩
١٥٧٤	آداب المريدين	١٠
٤/٢٦٠٦	آداب الزيارة النبوية	١١
٢٦/٢٦٥٠	تزيين العبادة لتحسين الإشارة + (٤/٢٦٠١)	١٢ + ١٣
٤/٢٦٣٠	شرح على نخبة الفكر فى أصول الحديث سنة ١١٥٥هـ	١٤
٣٩/٢٦٢١	مختصر تذكرة الموضوعات (انظر بعده : ٨٥٢)	١٥
١٦٤٣	الحزب الأعظم + (١٦٤٤ سنة ١٢٦٨هـ)	١٦ + ١٧
٢٠١٢/م/١	شرح الشمايل	١٨
١٣٠٦	شرح المنسك الصغير عام ١١٧٦ + (١٠٤٥ عام ١٢١٠هـ)	١٩ + ٢٠
١٣٠٨	المسلك المتقسط شرح المنسك المتوسط سنة ١١٨٠هـ	٢١
١٢٩٤	المسلم المتقسط شرح المنسك المتوسط سنة ١١٥٢هـ	٢٢
	+ (١٠٤٦ سنة ١٢٦٣هـ) + (١١٧٨ سنة ١١٧٠)هـ	٢٣ + ٢٤
	+ (١١٧٩ سنة ١١٥٥)هـ + (١٢٩٤ سنة ١١٥٢)هـ.	٢٥ + ٢٦
١٣١٢	اللباب الصغير فى المناسك	٢٧
٨٠١ حتى ٨١٢	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: الخامس عام ١١٤٦هـ	٢٨
	+ (الأول : ٨٠٢) + (الثانى : ٨٠٣) + (الثالث : ٨٠٤)	٢٩ + ٣٠ + ٣١
	+ (الرابع : ٨٠٥ عام ١١٦٣هـ) + (الخامس : ٨٠٦ عام ١٢٦٣)هـ	٣٢ + ٣٣
	+ (الخامس : ٨٠٧ عام ١١٤٧)هـ+ (الخامس : ٨٠٨)	٣٤ + ٣٥

(١) هذه المكتبة كانت بجوار المسجد النبوى ثم نقلت إلى مكتبة الملك عبد العزيز.

الرقم العام	اسم المخطوطة	العدد
	+ (الأول : ٨٠٩ عام ١١٦١)هـ + (الأول ٨١٠)	٣٦ + ٣٧
	+ (السادس : ٨١١ + (الثانى ٨١٢)	٣٨ + ٣٩
	+ (الرابع : ٧٩٩) + (الخامس . ٨٠٠ عام ١١٢٨)هـ	٤٠ + ٤١
٨٦٩	شرح الحصن الحصين عام ١١٧٧هـ + (٨٥٤ عام ١١٥١)	٤٢ + ٤٣
	+ (٢٣٢/٥٤٧ عام ١١١١)هـ	٤٤
٨٥٢	موضوعات الأحاديث عام ١١٧٢هـ + (٢٣٢/٦٢٨)	٤٥ + ٤٦
	(انظر المختصر ٢٦٢٤/٣٩)	
٢٢٣/٤٦	المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية (٤) سنة ١٠٩٧هـ	٤٧ + ٤٨ + ٤٩
٢٢٣/٥٧	المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية + (٢٢٣/٦٧ سنة ١١١٣هـ +	٥٠
	٢٢٣/٦٨)	
٢٢٨/١٢٦	حواشى الجمالين على الجلالين + (٢٢٨/١٢٧ سنة ١١١٢هـ)	٥١ + ٥٢
٢٣٢/٦٠١	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦) عام ١٠٩٧هـ	٥٣ + ٥٤
	+ (٢٣٢/٦٠٢ (٧) عام ١٠٩٨)	
	+ (٢٣٢/٦٠٣ عام ١٠٩٩هـ (٨)	٥٥
	+ (٢٣٢/٦٠٤ عام ١١٠٠هـ (٩))	٥٦
	+ (٢٣٢/٦٠٥ (٤)) + (٢٣٢/٥٩٦ عام ١١٠٠هـ	٥٧
	+ (٢٣٢/٥٩٧) سنة ١١٩٤ هـ (٢))	٥٨
	+ (٢٣٢/٥٩٨ عام ١٠٩٧هـ (٣))	٥٩ + ٦٠
	+ (٢٣٢/٥٩٩ عام ١٠٩٨هـ (٤))	٦١
	+ (٢٣٢/٦٠٠ عام ١٠٩٨هـ (٥))	٦٢
٢٢٣/١٣	رسالة فى الكلمات المرسومة فى القرآن عام ١١٩٧هـ	٦٣

ملحق رقم (٢)

رسائل «على بن سلطان محمد القارى الهروى ثم المكى» والمودعة فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

«أ» معلومات عن هذه الرسائل.

«ب» نموذج من هذه الرسائل: «... فالواجب على من يدوس عتبة باب الملوك ومن أتم ما يجب التحرز عنه».

(أ) معلومات عن رسائل مكتبة عارف حكمت

هذه الرسائل يحتويها مجلد واحد (مخطوطة) كتبت بخط واضح جميل يراوح فيه الكاتب بين اللون الأسود (وهو لكتابة المتن) واللون الأحمر (وهو لرسم الحركات ولكتابة عناوين الرسائل) التى اختار لها عنوان «مطلب» داخل رسائل المخطوطة نفسها.

وقد جاء فى نهاية الفهرس أن عدد الرسائل (٣٢٩) رسالة كلها «لعلى القارى»[1] عليه رحمة البارى، نفعنا الله تعالى بعلمه وتأليفاته آمين.

وكل هذه الرسائل «لعلى القارى»، عدا رسالة واحدة بعنوان: «رسالة فى مصطلحات الصوفيين بترتيب أبى جاد الشارح لمنازل السايرين رحمة الله عليه رحمة واسعة» وتحتل هذه الرسالة آخر صفحات المخطوطة من (٣٣٦ ـ ٣٩٤).

وقد جاء فى الصفحة رقم ٣٣٤ من رسائل «على القارى»... ونسأل الله تعالى رضوانه فى الدنيا والآخرة، ونحمده ونشكره على النعماء والبلوى ونصلى ونسلم على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آل كل، وأصحابهم وأتباعهم أجمعين والحمد لله رب العالمين وبعد ذلك بصفحة بيضاء تبدأ رسالة «فى مصطلحات الصوفيين» والتى سبقت الإشارة إليها. أما آخر صفحة فى المخطوطة فهى ٣٩٤.

---

(١) ونفس هذا الحديث ورد فى أول صفحة من الفهرس ضمن كتابه باللغة الأوردية جاء فيها أن الرسائل كلها من تأليف على القارى عليه رحمة البارى، ما عدا رسالة اصطلاحات الصوفيين.

هذه وأما عن الرسالة التى سنوردها هنا كنموذج من تلك المخطوطة فعنوانها « ... فالواجب على من يدوس عتبة باب الملوك ومن أتم ما يجب التحرز عنه» وهى برقم ١٤٩. أما الرسالة التى قبلها (١٤٨) فعنوانها «نور الحجج فى أسرار الحج» وهى رسالة كما يقول المؤلف: «فى الدقائق المتعلقة بالحج وأسراره» أما الرسالة التى تلى الرسالة التى سنقدم نموذجا لها فهى برقم (١٥٠) بعنوان « ... رد دانق من حرام يعدل سبعين حجة» ذكره ابن جماعة.

(ب) نموذج من رسائل «على القارى» المودعة فى مخطوطته بمكتبة عارف حكمت.

النص بعنوان «فالواجب على من يدوس عتبة باب الملوك ومن أتم ما يجب التحرز عنه».

فالواجب على من يدوس عتبة باب الملوك وبساط انبساطهم لنيل المطالب، وتحصيل المواهب، وتيسير المناصب، أن يتحمل أنواع المشاق والمتاعب، ويتأدب بمحاسن المناقب ومجامل المراتب، بالإقبال على الله تعالى فى الحركات والسكنات، والتجرد ظاهرا وباطنا عن المخلوقات، والتوبة عن المخالفات، والانقطاع عن العلائق، والتخلص عن العوائق، ومهما ذكر المعصية جدد التوبة، وكرر الأوبة، لأنه من حصول الذنب على معرفته، ومن الخروج عن عقوبته على شك وشبهة، ويكون بين الخوف والرجاء فى كل حالة، فلا ييأس من رحمته وكرمه ولا يأمن من سخطه بسبب حلمه إذا لا يجوز للمرء أن يغتر بعلمه ولا بعمله، بل يعتمد على جود ربه وفضله، قال ابن جماعة: ويغلط كثير من الناس فيحجون بيت الله طالبين لرحمته بما قد يكون جالبا لنقمته، فيصرون على ارتكاب السيئات، ويبالغون فى التناهى بالمحرمات، والتزين بالمكروهات، حتى تلبسوا من الجمال بالحرير والذهب، ونحو هذا من المنكرات، وما هكذا أمر الله أن يحج بيته الكريم، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، ولقد خرج بعض الصالحين فى عصرنا من مصرنا إلى الحج

مع القافلة، فلما وصل إلى البركة، وهى المرحلة، رجع لما رأى من الأمور المنكرة، والأفعال المزخرفة، والأحوال المزورة، ولعمرى إنه لمعذور فى هذا الإياب لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.(١)

ومن أهم ما يهتم به اخلاصه لله تعالى وحده، فى جميع أمره، فعنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: (إذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد. من كان أشرك أحدا فى عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك، ومن أتم ما يجب التحرز عنه فى أمر النفقة بأن تكون من الحلال الخالص من الشبهة، بقدر الوسع والطاقة، ففى صحيح مسلم أنه عليه السلام ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك، أى كيف يستجاب لذلك الرجل هنالك، وما أغبن من بذل نفسه وماله، وبدل حاله وجماله، فيرجع بالحرمان، وغضب الرحمن وفى الحديث إذا حج الرجل بالمال الحرام فقال: لبيك اللهم لبيك قال الله تعالى: لا لبيك ولا سعديك، حتى ترد ما فى يديك، ذكره ابن جماعة تبعا للغزالى لكن سكت عنه العراقى، وفى رواية لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك، وفى رواية من خرج يؤم هذا البيت بكسب حرام، شخص فى غير طاعة الله، فإذا بعث راحلته وقال: لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك، ولا سعديك، كسبك حرام وراحتك حرام، وثيابك حرام، وزادك حرام أرجع مأزورا غير مأجور، وأبشر بما يسوءك وإذا خرج الرجل حاجا بمال حلال، وبعث راحلته، وقال: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك، أجبت بما تحب، راحلتك حلال وثيابك حلال، وزادك حلال، ارجع مبرورا غير مأزور، وأتنف العمل، أخرج هذه الرواية أبو ذر، وعنه ﷺ أنه قال: «رد دانق من حرام يعدلُ سبعين حجة[٢] ذكره ابن جماعة.

---

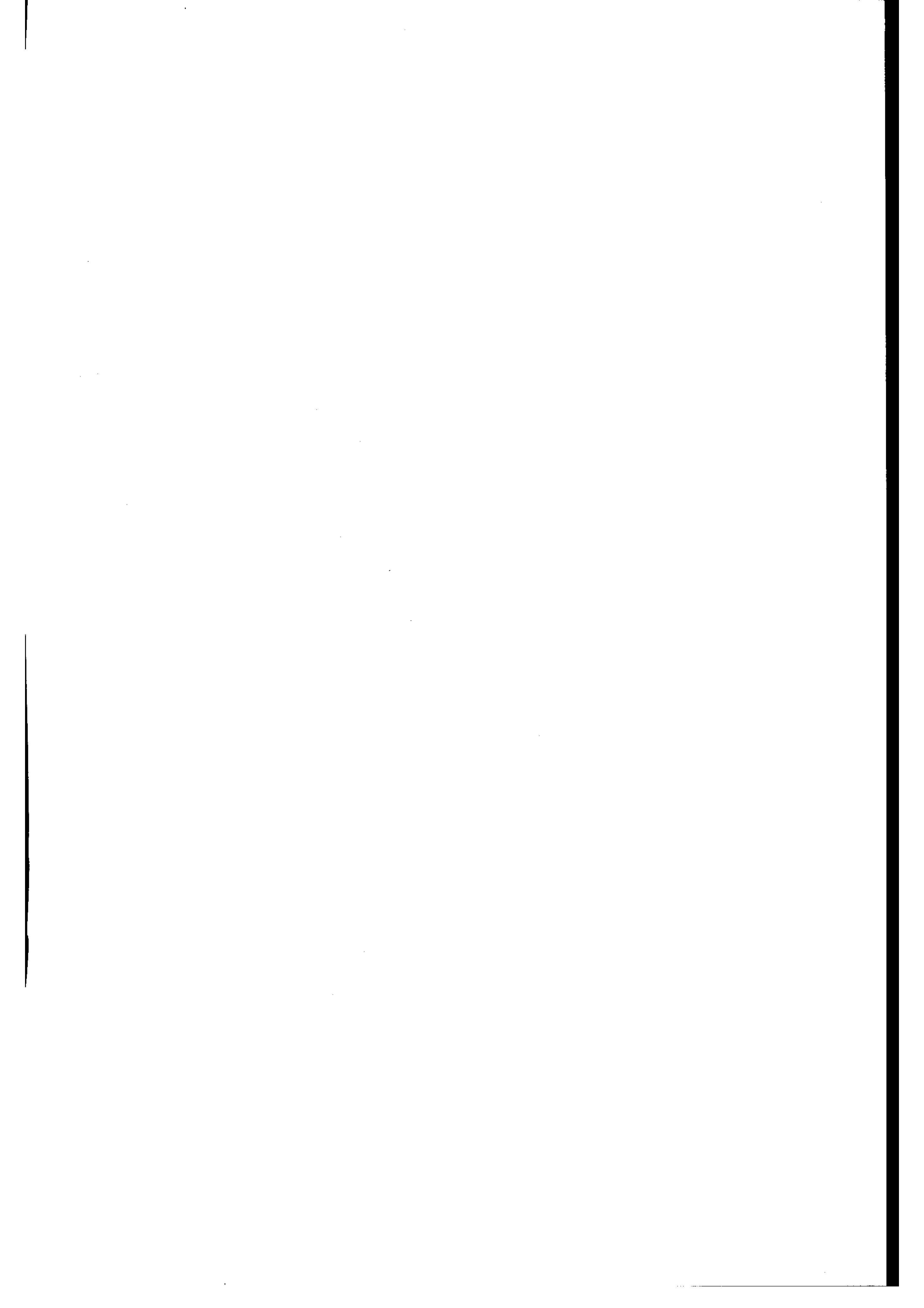
(١) سورة الأنفال، آية (٢٥).

(٢) هذا هو المطلب (الرسالة) رقم (١٥٠).

القسم الثانى

التحقيق

«تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء»



أولا: المقدمـــة: (١)

الحـمـد لله الذى جـعل العلمـاء ورثة الأنبـيـاء، وواسطة عـقـد سلسلة الأوليـاء والأصفياء، وصيرهم أغنياء، عن مذلة الأمراء والأغنياء.

والصلاة والسلام على خير من قام بوصف الهداية والاهتداء، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه نجوم الاقتداء.

أما بعد: فيقول الملتجىء إلى حرم ربه البارىء على بن سلطان محمد القارى: ان الله سبحانه أعظم برهانه فى قوله تعالى: ﴿ولا ترْكَنُوا إلى الَّذين ظَلَمُوا فتَمَسَّكُمُ النَّارُ ومَا لَكُم مِّن دُون اللَّه منْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنصرُونَ﴾.(٢)

ومنه قوله تعالى: ﴿ولَوْلا أن ثَبَّتْنَاك لَقَدْ كدتَّ ترْكَنُ إلَيْهِمْ شيْئًا قَليلاً﴾.(٣)

وفيه مبالغات، يدل (على أن)(٤) تثبيته تعالى لنبيه كان كثيرا نبيلا.

ثانيا: مصطلحات ومفاهيم حول العلماء والأمراء والظلمة: (٥)

ثم الظلم لغة: وضع الشىء فى غير موضعه، وأقواه الشرك وأنواع الكفر، لقوله عز وجل: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.(٦)

---

(١) هذا العنوان: من عند المحقق.

(٢) سورة هود، آية (١١٣).

(٣) سورة الاسراء، آية (٧٤).

(٤) فى الأصل «يدل انه» وما أثبته بين المكوفين هو الذى تستقيم به العبارة

(٥) هذا العنوان: من عند المحقق

(٦) سورة لقمان، آية (١٣).

وأدناه: وضع محبة غير الرب فى ميدان القلب، كما يشير إليه قوله عز وجل: ﴿ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا واتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.(١)

وهو الشرك الخفى، كما يومىء إليه كلام العارف ابن الفارض:(٢)

ولو خطرت لى فى سـواك إرادة

على خاطرى سهوا حكمت بردتى

وعرفا: هو التعدى إلى مال الغير وعرضه ودمه بغير وجه شرعى.

وهو من أقبح أنواع الظلم، وأبعدها عن العفو والحلم، ويؤيده حديث:(٣)

«الدواوين ثلاثة: فديوان لا يغفر الله منه شيئا، وديوان لا يعبأ الله به شيئا، وديوان لا يترك الله منه شيئا: فأما الديوان الذى لا يغفر الله منه شيئا، فالاشراك بالله، وأما الديوان الذى لا يعبأ الله (به(٤)) شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك إن شاء ويتجاوز. وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بينهم، القصاص لا محالة».(٥)

●●

---

(١) سورة الكهف، آية (٢٨).

(٢) ابن الفارض ٥٧٦ ـ ٦٣٢هـ = ١١٨١ ـ ١٢٣٥م.

هو: عمر بن على بن مرشد بن على الحموى المصرى المولد والدار والوفاة يلقب: بسلطان العاشقين فى شعره. تتصل فلسفته بما يسمى «وحدة الوجود» قدم أبوه من حماة «بسوريه» إلى مصر فسكنها، وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدى الحكام، ثم ولى نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض. له: «ديوان شعـرط» جمعه سبطه على. ولمحمد مصطفى حلمى: «ابن الفارض والحب الإلهى ط» الأعلام للزركلى ٥٥٥ ـ ٥٦.

(٣) فى الأصل «حيث» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته.

(٤) ما بين المكوفين من عندى لتستقيم به العبارة.

(٥) ورد الحديث بمعناه بلفظ «ذنب لا يغفر وذنب لا يترك وذنب يغفر. فأما الذى لا يغفر فالشرك بالله وأما الذى يغفر فذنب العبد بينه وبين الله عز وجل، وأما الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا»، أورده المناوى وعزاه إلى الطبرانى فى الكبير وقال حديث صحيح عن سلمان. فيض القدير ٥٦٥/٣ ح ٤٣٣٦ ود ورد الحديث بمعناه من طريق عائشة فى مسند الإمام أحمد كما سنورده فى الصفحة التالية.

رواه أحمد[1][2] والحاكم فى مستدركه عن عائشة رضى الله عنها.[3]

وعن عبد الله بن المبارك[4] لما سأله خياط للظلمة: هل أنا من أعوانهم؟ قال: «بل أنت من أعيانهم. وان من أعوانهم من يبيع لك الخيط والإبرة. فى أحيائهم[5]، وورد الجلاوزة[6] والشرط[7]. وأعوان الظلمة كلاب النار» رواه أبو نعيم[8] فى الحلية عن ابن عمر[9]. وقال حمدون:[10]

«لا تصاحب الأشرار، فإن ذلك يحرمك صحبة الأخيار». وقال، السدى: لا تداهنوا الظلمة فتصيبكم النار « وما لكم من دون الله من أولياء» أعوانا يمنعونكم من عذابه «ثم لا تنصرون» فى رفع حجابه.

---

(١) أحمد بن حنبل ١٦٤ ـ ٢٤١هـ = ٧٨٠ ـ ٨٥٥م وهو أحمد بن محمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلى المشهور، تنقل لطلب العلم إلى الكوفة والبصرة واليمن والشام والمغرب وفارس، من مصنفاته: المسند ويحتوى على ٣٠ ألف حديث، وله كتب أخرى أهمها الرد على الزنادقة، وفضائل الصحابة. وقد سجن أيام المعتصم بسبب فتنة خلق القرآن، وأطلق عام ٢٢٠م (الأعلام) للزركلى ٢٠٣/١، البداية والنهاية ٣٢٥/١٠.

(٢) رواية الحديث فى مسند أحمد جـ٦، ص٢٤٠ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئا، وديوان لا يترك الله منه شيئا، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوان الذى لا يغفره فالشرك بالله. قال الله عز وجل: «ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة» وأما الديوان الذى لا يعبأ الله به شيئا، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها. فإن الله عز وجل يغفر ذلك، ويتجاوز إن شاء. وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة».

(٣) راوى الحديث: السيدة عائشة رضى الله عنها، وكان المفروض أن يذكر اسمها قبل مفتتح متن الحديث كما يفعل المحدثون.

(٤) عبد الله بن المبارك ١١٨ ـ ١٨١هـ = ٧٣٦ ـ ٧٩٧م. هو: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره فى الاسفار حاجا ومجاهدا وتاجرا. جمع الحديث والفقه والعربية له مقامه فى الشجاعة والسخاء. له كتاب فى «الجهاد» وهو أول من صنف فيه. الأعلام للزركلى ١١٥/٤.

(٥) فى الأصل (فى حياتهم) وهو تصحيف والصحيح ما أثبته.

(٦) الجلاوزة جمع جلواز وهو: الشرطى اللسان (جلز).

(٧) والشرط جمع شرطى. اللسان (شرط).

(٨) أبو نعيم هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد ٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ = ٩٤٨ ـ ١٠٣٨م

ومن القابه: الأصبهانى أبو نعيم، وهو حافظ ومؤرخ من الثقات فى الحفظ والرواية، ولد ومات فى أصبهان. من تصانيفه: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. ط فى عشرة أجزاء» ودلائل النبوة ط)، الأعلام للزركلى ١٥٧/١.

(٩) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى أبو عبد الرحمن، ١٠ ق هـ ـ ٧٣هـ = ٦١٣ ـ ٦٩٢م وهو صحابى من أعز بيوتات قريش فى الجاهلية. نشأ فى الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، أفتى الناس فى الإسلام ستين سنة، عرضت عليه الخلافة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه فابى. غزا أفريقيا مرتين، وهو آخر من توفى بمكة من الصحابة، له فى كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا. وقد كف بصره فى آخر حياته.

(١٠) هو: أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابورى، صوفى كان شيخ أهل الملامة بنيسابور، وكان عالما فقيها يذهب مذهب الثورى وله طريقة اختص بها. وتوفى ٢٧١هـ = ٨٨٤م (الأعلام للزركلى ٢٧٤/٢).

وقال القشيرى: «لا تعملوا أعمالهم، ولا ترضوا بأعمالهم، ولا تمدحوهم على أعمالهم، ولا تتركوا الأمر بالمعروف عليهم فى أفعالهم، ولا تأخذوا شيئا من حرام أموالهم، ولا تمكنوهم من قلوبكم، ولا تخالطوهم ولا تعاشروهم، لئلا تشاركوهم فيما بهم بما يلحق من صاحبهم من وبالهم، فإن من أحب قوما حشر معهم».

وأما حديث: «ثلاث لا يركن إليها: الدنيا والسلطان والمرأة»[1] فكلام «صحيح» معنى وليس بحديث نبى.

وأما الأخبار فى هذا الباب (فكثيرة)[2] وكذلك الآثار لأهل الاعتبار فى هذا المعنى شهيرة.

ثالثا: الأخبار[3]

وأما الأخبار فقوله عليه السلام: «العلماء أمناء الرسل مالم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا، وإذا خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم»[4] رواه العقيلى وغيره من أنس[5] والعسكرى عن على.[6]

وفى رواية الديلمى عن أبى هريرة[7]: «إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة

---

(١) قال فى المقاصد الحسنة: كلام صحيح لا نطيل فيه بالاستشهاد لوضوح أمره أ . هـ.
وانظر: الاسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة لعلى بن محمد بن سلطان المشهور بالملا على القارى ص١٠١.
(٢) فى الأصل «كثيرة» وهو تحريف ومخالف لقواعد النحو.
(٣) هذا العنوان من عند المحق.
(٤) رواه العقيلى فى الضعفاء عن أنس. وأشار السيوطى فى الصغير ١٥٢/٢، إلى حسنه.
(٥) أنس بن مالك، ١٠ق هـ - ٩٣هـ = ٦١٢ - ٧١٢م).
هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخارى الخزرجى الأنصارى، أبو ثمامة، او أبو حمزة. صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا، مولده بالمدينة، وأسلم صغيرا، وخدم النبى ﷺ إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات من البصرة من الصحابة: الأعلام للزركلى ٢٤/٢ - ٢٥، صفة الصفوة: ٢٩٨/١.
(٦) على بن أبى طالب ٢٣ق هـ - ٤٠هـ = ٥٩٩هـ - ٦٦١م، وهو على بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى، أبو الحسن، أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين وابن عم النبى ﷺ وصهره وقد ربى فى حجره ﷺ وشهد معه كل المشاهد إلا غزوة تبوك. استشهد على يد أحد الخوارج. روى عن رسول الله ﷺ ٥٨٦ حديثا. له نهج البلاغة.
(٧) هو: (عبد الرحمن بن صخر الدوسى) الملقب بأبى هريرة ٢١ ق هـ. ٥٩هـ = ٦٠٢ . ٦٧٩م وهو صحابى من حفاظ الحديث والراوين له. قدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر فأسلم سنة ٧هـ. ولزم النبى وصحبته وروى عنه ٥٣٧٤ حديثا، نقلها عن أبى هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل، بين صحابى وتابعى وكان أكثر مقامه بالمدينة وتوفى فيها وقد جمع شيخ الإسلام تقى الدين السبكى جزءا سمى: «فتاوى أبى هريرة»، ولعبد الحسن شرف الدين كتاب فى سيرته «أبو هريرة - ط» الأعلام للزركلى: ٣٠٨/٣، صفة الصفوة: ٢٨٥/١.

كثيرة فاعلم أنه لص[١]، وقوله: «يأتى على الناس زمان علماؤها فتنة وحكماؤها فتنة، تكثر المساجد والقراء، لا يجدون عالما إلا الرجل بعد الرجل» أبو نعيم[٢] عن هند عن أبيه عن جده[٣]. وقوله: «إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم»[٤] النسائى وابن حيان.[٥]

عن أنس[٦] وأحمد[٧] والطبرانى[٨] عن أبى بكرة[٩] [١٠]

وقوله: «إن الله تعالى[١١] يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة» ابن عساكر[١٢] فى تاريخه عن أبى هريرة[١٣] وقوله: «إن أبغض الخلق إلى الله تعالى العالم يزور

---

(١) أورده المناوى وعزاه للديلمى فى مسند الفردوس، عن أبى هريرة وقال حديث حسن. فيض القدير ٣٥٤/١.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) حلية الأولياء ١٦٩/٥.

(٤) رواه البخارى: ك: المغازى. باب (٤٠) جـ٥ ص٧٠. وهو فى فتح البارى ٣٦٢/٧. ورواه مسلم: ك: الإيمان، باب (٤٥) جـ١ ص٤٣.

(٥) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمى أبو حاتم البستى (٠٠٠ ـ ٣٥٤هـ) = (٠٠٠ ـ ٩٦٥م) وهو مؤرخ علامة وجغرافى ومحدث، ولد فى بست (من بلاد سجستان) رحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة، وتولى قضاء سمرقند مدة، وتوفى فى بلدة (بست) له مؤلفات: «المسند الصحيح فى الحديث «وروضة العقلاء. ط» فى الأدب «والأنواع والتقاسيم» خ «الاعلام للزركلى ٧٨/٦ شذرات الذهب ١٦/٣.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) الطبرانى «سليمان بن أحمد» ٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ = ٨٧٣ ـ ٩٧١م.

وهو: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى الشامى أبو القاسم:

من كبار المحدثين. أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته، ولد بعكا ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، وتوفى بأصبهان، له ثلاثة «معاجم» فى الحديث منها: «المعجم الصغير ـ ط» رتب فيه أسماء المشايخ على الحروف. وله كتب فى «التفسير» ودلائل النبوة» وغير ذلك. الأعلام لزركلى ٢١/٣، وفيات الاعيان ٢١٥/١.

(٩) أبو بكرة «نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفى أبو بكرة (٠٠٠ ـ ٥٢هـ = ـ ٦٧٢٠٠٠م) وهو صحابى من أهل الطائف، له ١٣٢ حديثا، توفى بالبصرة. وإنما قيل له أبو بكرة، لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف إلى النبى ﷺ وهو ممن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين.

الأعلام للزركلى: ٤٤/٨، الاصابة ت٨٧٩٥ والاستيعاب، بهامشها: ٥٣٧/٣.

(١٠) حلية الأولياء ١٣/٣ عن الحسن.

(١١) فى الأصل «وقوله تعالى ان لله» وهو تحريف واضح والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(١٣) ابن عساكر (على بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقى المؤرخ الحافظ، الرحالة ٤٩٩ ـ ٥٧١هـ. وقد كان محدثا للديار الشامية ومولده ووفاته فى دمشق. له: «تاريخ دمشق الكبير ـ خ» يعرف بتاريخ ابن عساكر وله كتب كثيرة منها: الأشراف على معرفة الاطراف ـ خ» فى الحديث، ثلاث مجلدات، معجم الصحابة وأربعون حديثا من أربعين شيخا من أربعين مدينة. الأعلام ٢٧٣/٤، ٢٧٤. مفتاح السعادة ١ ـ ٢١٦ طبقات الشافعية ٢٧٣/٤.

(١٣) سبقت ترجمته.

العمال»[1] ابن لال عن أبى هريرة. وقوله «شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء»[2] كذا فى الأحياء. قال العراقى رواه ابن ماجة[3]، الشطر الأول نحوه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف.

وعن بعض السلف وروى مرفوعا: «نعم الأمير على باب الفقير وبئس الفقير على باب الأمير»[4] وقوله: «سيكون قوم بعدى من أمتى سيتفقهون فى الدين ويقرأون القرآن ويقولون: نأتى الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا ولا يكون ذلك، كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يجتنى من قربهم إلا الخطايا»[5] رواه ابن ماجه[6] وابن عساكر[7] عن ابن عباس.[8]

---

(١) انظر: مسند الفردوس للديلمى ٢١٥/١. وهو فى اتحاف السادة المتقين ٣٨٩/١، ١٢٧/٦ وى جمع الجوامع تحت رقم ٦٠٤٣.

وقد عزاه السيوطى لابن لال عن أبى هريرة رضى الله عنه، وقد أشار السيوطى إلى ضعفه فى الجامع الصغير ٢٩٠/١.

(٢) هذا الحديث ذكره ابن ماجة بالشطر الأول نحوه، من حديث أبى هريرة بسند ضعيف. ذكره العراقى فى حاشية الإحياء. جـ١، ص١١٦، كما ورد فى فيض القدير ١٥٦/٤، ح ٤٨٦٥ بلفظ «شرار الناس شرار العلماء فى الناس» أورده المناوى وقال حديث حسن عن معاذ.

(٣) ابن ماجة: (٢٠٩ ـ ٢٧٣هـ) = (٨٢٤ ـ ٨٨٧م).

هو: محمد بن يزيد الربعى القزوينى، أبو عبد الله ابن ماجة أحد الأئمة فى علم الحديث، وهو من أهل قزوين، رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والرى فى طلب الحديث، وصنف كتابه: سنن ابن ماجه، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة وله: «تفسير القرآن» وكتاب فى «تاريخ قزوين» الأعلام: ١٤٤/٧، وفيات الأعيان ٤٨٤/١، وتهذيب التهذيب ٥٣٠/٩.

(٤) أورده السخاوى فى المقاصد الحسنة وعزاه إلى ابن ماجة فى المقدمة بسند ضعيف عن أبى هريرة وعمر. السخاوى. المقاصد الحسنة ص٦٩٨، ح ١٢٥٤.

(٥) أورده المناوى وعزاه إلى ابن عساكر بلفظ «سيكون بعدى قوم من أمتى يقرأون القرآن ويتفقهون فى الدين» وقال حديث ضعيف، فيض القدير ١٣١/٤ عن ابن عباس.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) عبد الله بن عباس (٣ ق هـ ـ ٦٨هـ) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى أبو العباس. حبر الأمة ـ الصحابى الجليل، ولد بمكة ونشأ فى بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع على الجمل وصفين.

وكان ترجمان القرآن. توفى فى الطائف، وله فى الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثا. الأعلام ٩٥/٤، صفة الصفوة ١ ـ ٣١٤.

وقوله: «شرار الناس شرار العلماء فى الناس»[1] البزار[2] عن معاذ[3] وقوله: «صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمراء»[4] أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس.

وقوله من ازداد علما ولم يزدد فى الدنيا زهدا لم يزدد من الله إلا بُعدًا[5]» الديلمى عن على[6]. وقوله: «إذا قرأ الرجل وتفقه فى الدين ثم أتى باب السلطان تملقا إليه وطمعا لما فى يديه خاض بقدر خطاه فى نار جهنم[7]. أبو الشيخ عن معاذ.[8] وقوله: «إن أهون الخلق على الله العالم يزور العمال» الدهقانى عن أبى هريرة.[9]

وقوله: «ما من عالم أتى صاحب سلطان طوعا إلا كان شريكه فى كل لون يعذب به فى نار جهنم»[10] ابن عساكر[11] فى تاريخه عن معاذ.[12]

---

(١) أورده المناوى وعزاه إلى البزار عن معاذ. وقال حديث حسن. فيض القدير ١٥٦/٤، ح ٤٨٦٤.

(٢) البزار هو: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق.... ـ ٢٩٢هـ = ... ـ ٩٠٥م وهو حافظ من العلماء بالحديث فى أهل البصرة. حدث فى آخر عمره بأصبهان وبغداد والشام. وتوفى فى الرملة. له مسندان: أحدهما كبير سماه: «البحر الزاخر» والثانى: «صغير» الأعلام للزركلى ٩٨٩/١ تذكرة الحفاظ للذهبى ٢٠٤/٢.

(٣) معاذ بن جبل (٢٠ ق هـ ـ ١٨هـ = ٦٠٣ ـ ٦٣٩م وهو ابن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجى وهو صحابى جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبى ﷺ. شهد المشاهد كلها وبعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضيا. الأعلام للزركلى ٢٥٨/٧.

(٤) أورده المناوى وعزاه إلى أبى نعيم فى الحلية عن ابن عباس وقال حديث ضعيف عن ابن عباس فيض القدير ٢٠٩/٤ ح ٥٠٤٧.

(٥) أورده السخاوى فى المقاصد الحسنة وعزاه للديلمى فى مسند الجفراوى عن على ص٦٣٠ح ١٠٧٨ وأورده الألبانى فى ضعيف الجامع رقم ١٦٠/٥،٥٤٠١.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) ورد الحديث من طريق أبى هريرة بلفظ آخر: «من طلب علما مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» الحديث: أبى داود وابن ماجه باسناد جيد. انظر الاحياء جـ١، ص١٠٣. هذا وقد روى الحديث الديلمى فى مسند الفردوس عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، ح = ١١٣٤ وذكره صاحب كنز العمال برقم ٢٩٠٢٧، وعزاه السيوطى لأبى الشيخ عن معاذ ولم يذكر حكمه. والحديث فى اتحاف السادة المتين ٣٩/١، ١٢٦/٦ روى مرفوعا من حديث معاذ وأخرجه الحاكم فى تاريخه.

(٨) سبقت ترجمته.

(٩) سبقت ترجمته.

(١٠) أورده السخاوى فى المقاصد الحسنة، وعزاه إلى الديلمى فى مسند الفردوس عن معاذ، وحكم عليه بعدم الصحة. ص٥٨٧، ح ٩٨٣ وأورده الألبانى فى ضعيف الجامع برقم ٥١٩٦، ١٢٠/٥.

(١١) سبقت ترجمته.

(١٢) سبقت ترجمته.

وقوله: «ويل لأمتى من علماء السوء» ابن عساكر[1] فى تاريخه عن أنس[2] وقوله: «إن أخوف ما أخاف عليكم بعدى كل منافق عليم اللسان»[3] الطبرانى[4] والبيهقى عن عمران بن حصين.[5]

وقوله: «ويل لأمتى من علماء السوء يتخذون هذا العلم تجارة يبيعونها من أمراء زمانهم ربحا لأنفسهم لا أربح الله تجارتهم»[6] ابن عساكر[7] فى تاريخه عن أنس.[8]

وقوله «شرار الناس فاسق قرأ كتاب الله وتفقه فى دين الله، ثم بذل نفسه لفاجر، إذا نشط تفكه بقراءته ومحادثته، فيطبع الله على قلب القائل والمستمع[9]» الديلمى عن ابن عمر.[10]

وقوله: «علم الله آدم ألف حرفة من الحرف وقال له: قال لولدك وذريتك إن لم تصبروا فاطلبوا الدنيا بهذه الحرف ولا تطلبوها بالدين، فإن الدين لى وحدى خالصا، ويل لمن طلب الدنيا ويل له»[11] ابن عساكر[12] فى تاريخه عن عطية بن بشر المازنى.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) أورده المناوى وعزاه إلى ابن عدى فى الكامل، وفى رواية أحمد:
«أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان» عن عمر. فيض القدير ٢٢١/١ ح ٣٠٥.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) هو: عمران بن حصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعى: (... ـ ٥٢هـ = ... ٦٧٢م) وهو من علماء الصحابة. أسلم عام خيبر (سنة ٧هـ) وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة، وبعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم. وولاه زياد قضاءها. وتوفى بها. وهو ممن اعتزل حرب صفين. له فى كتب الحديث ١٣٠ حديثا. الأعلام للزركلى ٧٠/٥، صفة الصفوة ٢٨٣/١، تذكرة الحفاظ ٢٨/١.

(٦) أورده المناوى وعزاه إلى الحاكم عن أنس فى تاريخه وقال حديث ضعيف فيض القدير ٣٦٩/٦، ح ٩٦٥٤ وأورده الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير ٥١/٦، ح ٦١٥٢ مسند الفردوس للديلمى حديث ٧١٥٤ عن أنس.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) سبقت ترجمته.

(٩) ورد بلفظ «شرار الناس شرار العلماء فى الناس» أورده المناوى وعزاه إلى البزار عن معاذ، وقال حديث حسن، فيض القدير ١٥٦/٤ ح ٤٨٦٤.

(١٠) سبقت ترجمته.

(١١) الديلمى فى مسند الفردوس، حديث رقم = ٤١٠٥ عن عطية بن بشر.

(١٣) سبقت ترجمته.

وقوله: «إن فى جهنم واديا تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة، أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم[1] وإن أبغض الخلق إلى الله عالم السلطان[2]» ابن عدى[3] عن أبى هريرة.[4]

وقوله: «سلوا عن الخير ولا تسألو عن الشر، شرار الناس شرار العلماء فى الناس»[5] أبو نعيم[6] فى الحلية عن معاذ[7]. وقوله: «لا تقوم الساعة حتى يمشى إبليس فى الطرق والأسواق، يتشبه بالعلماء، يقول: حدثنى فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ بكذا وكذا»[8] أبو نعيم عن واثلة.

وقوله: «من طلب العلم لله لم يصب منه بابا إلا ازداد فى نفسه ذلا وفى الناس تواضعا ولله خوفا وفى الدين اجتهادا، فذلك الذى ينتفع بالعلم فليتعلمه، ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس والحظوة عند السلطان لم يصب منه بابا إلا ازداد فى نفسه عظمة وعلى الناس استطالة وبالله اغترارا وفى الدين جفاء، فذلك الذى لا ينتفع بالعلم فليتمسك وليكف عن الحجة على نفسه والندامة والخزى يوم القيامة»[9] الديلمى عن الحسن قال: سمعت رجالا من المهاجرين والأنصار منهم على بن أبى طالب مرفوعا. وعنه قال: كنا جلوسا عند النبى ﷺ وهو نائم، فذكرنا

---

(١) فى الأصل (أعمالهم) وهو تحريف والصحيح ما أثبته.

(٢) مسند الفردوس للديلمى، ح = ٨٤٣ عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(٣) هو: عبد الله بن عدى بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجانى أبو أحمد (٢٧٧ - ٣٦٥هـ) وهو علامة فى الحديث ورجاله «أخذ عن أكثر من ألف شيخ. اشتهر بين علماء الحديث بابن عدى. له: «الكامل فى معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة - خ، ثمانية عشر جزءا منه، وهو كما فى كشف الظنون ستون جزءا، وأسماء الصحابة - خ» وكان ضعيفا فى العربية، وهو من الأئمة الثقاة فى الحديث. الأعلام ١٠٣/٤، سير النبلاء. خ. الطبعة العشرون، تذكرة النوادر ٩٤.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) ورد بلفظ «سلو الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع» أورده المناوى وعزاه لابن ماجة والبيهقى فى شعب الإيمان وقال حديث صحيح عن جابر. فيض القدير ١٠٨/٤ح ٤٧٠٢.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) مسند الفردوس للديلمى، ح = ٧٥٤٦ عن واثلة بن الأسقع ٨٧/٥.

(٩) ورد حديث بمعناه فى الحلية لأبى نعيم ٢٩٠/١٠ عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

الدجال فاستيقظ محمراً وجهه فقال: «غير الدجال أخوف عندى عليكم من الدجال أئمة «مضلون» أحمد[1] وغيره. وقوله: لما سئل عن شر الخلق أى؟ فقال: اللهم غفرا حتى كرر عليه فقال: علماء السوء «الدارمى عن حكيم والبزار[2] عن معاذ[3] وقوله: «من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن[4] أبو داود[5] والترمذى[6] وحسنه، والنسائى من حديث ابن عباس[7] رضى الله عنهما.

وقوله: «سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، ومن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم، ولكن من رضى وتابع أبعده الله. قيل: أفلا نقتلهم؟ قال: لا ماصلوا»[8] مسلم من حديث أم سلمة.

وقوله: «تعوذوا بالله من جب الحزن، قيل يا رسول الله وما جب الحزن؟ أو وادى الحزن؟ قال: واد فى جهنم تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة، أعده الله تعالى

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) رواه الديلمى فى مسند الفردوس ٣/٥٥٣. وجاء فى فيض القدير للمناوى (٥٧٣٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس، ورمز له السيوطى بالحسن. قال المناوى أخرجه أحمد باللفظ المذكور عن أبى هريرة وعن ابن عباس قال المنذرى والهيثمى: رجاله رجال الصحيح، خلا الحسن ابن الحكم النخعى، وهو ثقة. وفى مسند الطبرانى أورده الذهبى فى الضعفاء، وقال ثقة مشهور، ضعفه الفلاسى.
وأخرجه أحمد ٢/٣٧١، مجمع الزوائد ٥/٢٤٦، ٢٥٤، ٨/١٠٤. والبهقى ٩/١٠١ والترغيب ٣/١٩٤، والمطالب العالية (٣٢٥٩)، وعلل الحديث (٢٢٣٠).

(٥) هو: سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الأزدى السجستانى أبو داود. (٢٠٢ - ٢٧٥هـ = ٨١٧ - ٨٨٩م) وهو إمام أهل الحديث فى زمانه. أصله من سجستان. رحل رحلة كبيرة وتوفى بالبصرة. له: «السنن ط -) جزآن، وهو أحد الكتب الستة، جمع فيه ٤٨٠٠ حديث انتخبها من ٥٠٠,٠٠٠ حديث وله: «المراسيل - ط) صغير، فى الحديث. و«كتاب الزهد - خ» فى خزانة القرويين «الرقم ١٣٣/٨٠) بخط أندلسى، و«البعث - خ» رسالة و«تسمية الاخوة - خ» رسالة. وللجلودى كتاب «أخبار أبى داود».
الأعلام للزركلى ٣/١٢٢، تذكره الحفاظ ٢/٥٢، تهذيب ابن عساكر ٦/٢٤٤.

(٦) هو محمد بن على بن الحسن الحكيم الترمذى، (٠٠٠ - نحو ٣٢٠هـ = ٠٠٠٠ نحو ٩٣٢م) وهو باحث صوفى، عالم بالحديث وأصول الدين، من أهل «ترمذ» نفى منها بسبب تصنيفه كتاب خالف فيه ما عليه أهلها، فشهدوا عليه بالكفر. من مؤلفاته:
«بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب - ط» الأعلام ٦/٢٧٢.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) رواه مسلم، ك المساجد، باب (٧) جـ١، ص ١٥٠.

للقـراء المرائين وان من شـر القـراء[1] من يزور الأمـراء»[2] رواه العـقيلى والعسكرى وابن عسـاكر[3]عن على[4] وروى ابن عسـاكر[5] عن مسـعود[6] قال: لو أن أهل العلم صـانوا العلم ووضـعوه عند أهله لسادوا أهل زمـانهم ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيـا، لينالـوا من دنيـاهم فهـانوا عليهم سـمعت نبيكم ﷺ يقـول: «من جـعل الهـموم همـا واحدا، هم المعاد، كفاه الله سائر الهموم، ومن شعبته الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى واديها هلك».[7]

وقوله: «من أحب آخرته أضر بدنياه، ومن أحب دنياه أضـر بآخرته، فآهدوا مـا يبقى على مـا يفنى، وأعلم أن أقل العلم والعرفان، بل أدنى الإسلام والإيمان أن يؤمن بأن الدنيـا فـانية والآخـرة باقية. ونتيجـة هـذا العلم وثمـرته أى يـختـار البـاقى على الفـانى، بل لو كـان البـاقى خزفا والفـانى ذهبـا، لكان العـاقل اختـار مـا يبقى على مـا يفنى، فكيف والآخرة ذهب باق، والدنيا خزف فان».[8]

كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾.[9]

وفى آية أخرى: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾.[10]

---

(١) فى الأصل (الفرد) وهو تصحيف والصحيح ما أثبته.

(٢) حديث: «تعوذوا بالله من جب الحزن....» رواه الترمذى فى السنن كتاب الزهد باب (٤٨) قال الترمذى هذا حديث حسن غريب جـ٤، ص٥٩٤.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى، أبو عبد الرحمن: صحابى من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله ﷺ، وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين، وولى بعد وفاة النبى ﷺ بيت مال الكوفة. توفى فى المدينة عن نحو ستين عاما فى عهد الخليفة عثمان بن عفان. وكان يحب الاكثار من التطيب. له ٨٤٨ حديثا وأورد له الجاحظ (فى البيان والتبيين) خطبة له ومختارات من كلامه. الأعلام ١٣٧/٤ ـ الاصابة ت ٤٩٥٥ ـ صفة الصفوة ١٥٤/١.

(٧) رواه أبو نعيم الأصفهانى فى الحلية عن ابن مسعود رض الله عنه، جـ٢، ص١٠٥.

(٨) أخـرجـه أحمـد فى المسند ٤١٢/٤ ورجـاله ثقـات، لكن فـيـه انقطاع ، كـمـا نبـه عليـه الذهبى فى تلخيص المستدرك ٣٠٨/٤ متعقبا تصحيح الحاكم إياه.

(٩) سورة النساء، آية (٧٧).

(١٠) فى الأصل «وللآخرة خير وأبقى» وصحة الآية كما أثبتها، سورة الأعلى آية (١٧).

ويومىء إليه قوله عليه السلام: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء»[1] هذا مع قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[2]

رابعا: الآثـــار:

«وأما الآثار عن الأخيار من الأحبار»

فعن أبى عمران الجونى عن هرم بن حبان[3] أنه قال: «إياكم والعالم الفاسق» فبلغ عمر بن الخطاب[4] فقال: ما العالم الفاسق؟ فكتب إليه هرم ابن حبان: والله يا أمير المؤمنين ما أردت إلا الخير، يكون إمام «يتكلم بالعلم ويعمل بالفسق، فيشبه على الناس، فيضلوا» ابن سعد[5] والمروزى فى العلم.

قلت: (المؤلف)[6] ويؤيده قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.[7]

---

(١) حديث صحيح بطرقه وشواهده، أخرجه ابن ماجة (٤١١٠) فى ك الزهد باب مثل الدنيا، وفيه زكريا بن منظور ضعيف، لكن تابعه عبد الحميد ابن سليمان عند الترمذى ٣٢١ وباقى رجاله ثقاة، وله شاهد عن ابن عمر عند الخطيب ٩٢/٤، واسناد صحيح، وآخر عند ابن المبارك فى الزهد (٥٠٩) عن رجال من أصحاب رسول الله، ولا بأس بإسناده فى الشواهد وثالث عند المبارك ايضا (٦٢٠) عن الحسن البصرى مرسلا بإسناد حسن، فالحديث صحيح بهذه الشواهد.

انظر: شرح السنة للبغوى - ٢٢٩/١٤.

(٢) سورة الزخرف. الآيات (٣٣ - ٣٥).

(٣) هو: هرم بن حبان العبدى الأزدى، من بنى عبد القيس (٠٠٠ - بعد ٢٦هـ = ٠٠٠ - بعد ٦٤٧م) وهو قائد فاتح، من كبار النساك. من التابعين، كان أمير بنى عبد القيس فى الفتوح. وولى بعض الحروب فى أيام عمر وعثمان، بأرض فارس. وحاصر «بوشهر» سنة ١٨ ودخلها. وكان من سكان البصرة عده ابن أبى حاتم فى الزهاد الثمانية، من كبار التابعين. سماه الجاحظ فى النساك الزهاد من أهل البيان. وقد بعثه عثمان بن أبى العاص (أمير البحرين) إلى قلعة (بحرة) ويقال لها «قلعة الشيوخ» فافتتحها عنوة (سنة ٢٦) ومات فى إحدى غزواته. الأعلام ٨٢/٨، طبقات ابن سعد ٩٥/٧، صفة الصفوة ١٣٧/٣.

(٤) هو: عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى أبو حفص (٤٠ ق هـ - ٢٣هـ) = (٥٨٢ - ٦٤٤) وهو ثانى الخلفاء الراشدين. فتح الشام والعراق والقدس والمدائن ومصر والجزيرة. وأول من وضع التاريخ الهجرى وأول من دون الدواوين، له فى كتب الحديث ٥٣٧ حديثا. ولقبه رسول الله ﷺ بالفاروق وقتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسى بخنجر وهو فى صلاة الصبح. الأعلام ٤٥/٥، الإصابة ت ٥٧٣٨، صفة الصفوة ١٠١/١.

(٥) هو سهل بن سعد الخزرجى الأنصارى، من بنى ساعدة: صحابى، ومن مشاهيرهم من أهل المدينة، عاش نحو مائة سنة له فى كتب الحديث ١٨٨ حديثا. الأعلام ١٤٣/٣.

(٦) ما بين المعكوفين من عندى للتوضيح.

(٧) سورة الصف، آية (٣).

وقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.(١)

وقال سفيان:(٢) «فى جهنم واد لا يسكنه إلا القراء والزائرون للملوك» وقال حذيفة(٣): «(٤) إياكم ومواقف الفتن قيل وما هى؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه(٥) (٦)!!!».

وعن كميل بن زياد(٧) قال(٨): أخذ بيدى على بن أبى طالب (فخرج بى)(٩) إلى

---

(١) سورة البقرة، آية (٤٤).

(٢) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى، من مضر، أمير المؤمنين فى الحديث، كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ فى الكوفة وخرج منها فسكن مكة - والمدينة. له من الكتب: «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» كلاهما فى الحديث وكان آية فى الحفظ. الأعلام للزركلى ١٠٤/٣ - ١٠٥.

(٣) هو: حذيفة بن حسل بن جابر العبسى، أبو عبد الله، واليمان لقب حسل: صحابى، من الولاة الشجعان الفاتحين. (٠٠٠ - ٣٦هـ = ٠٠٠ - ٦٥٦م) كان صاحب سر النبى ﷺ فى المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره. وولاه عمر على المدائن (بفارس) وكانت عادته إذا استعمل عاملا كتب فى عهده «وقد بعثت فلانا وأمرته بكذا، فلما استعمل حذيفة كتب فى عهده» اسمعوا له وأطيعوه، وأعطوه ما سألكم «فلما قدم المدائن استقبله الدهاقين، فقرأ عهده. فقالوا: سلنا ما شئت، فطلب ما يكفيه من القوت. وأقام بينهم فأصلح بلادهم. وهاجم نهاوند (سنة ٢٢هـ) فصالحه صاحبها على مال يؤديه فى كل سنة. وغزا الدينور، وماه سندان، فافتتحهما عنوة (وكان سعد بن أبى وقاص قد فتحهما ونقضتا العهد) ثم غزا همذان والرى، فافتتحهما عنوة. واستقدمه عمر إلى المدينة، فلما قرب وصوله اعترضه عمر فى ظاهرها، فرآه على الحال التى خرج بها، فعانقه وسر بعفته. ثم أعاده إلى المدائن، فتوفى فيها له فى كتب الحديث ٢٢٥ حديثا. الأعلام للزركلى ١٧١/٢، الإصابة ٣١٧/١، صفة الصفوة ٢٤٩/١.

(٤) وقد ورد فى الأحياء أن حذيفة رضى الله عنه قال: «إنكم فى زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك، وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا، وذلك لكثرة البطالين» الاحياء. جـ١، ص١٠٨.

(٥) وقد ورد فى الإحياء أيضا أن حذيفة رضى الله عنه قد خص بعلم المنافقين، وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن. فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضى الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة، وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقى منهم، ولا يخبر بأسمائهم. وكان عمر رضى الله عنه يسأله عن نفسه: هل يعلم فيه شيئا من النفاق؟ فبرأه من ذلك. الإحياء. جـ١، ص١٣٢.

(٦) الحلية لأبى نعيم ٢٧٣/٢. عن حذيفة رضى الله عنه.

(٧) هو: كميل بن زياد بن نهيك النخعى (١٢ - ٨٢هـ = ٦٣٣ - ٧٠١م) تابعى ثقة من أصحاب على بن أبى طالب، كان شريفا مطاعا فى قومه.
شهد صفين مع على، وسكن الكوفة، وروى الحديث. قتله الحجاج صبرا، الأعلام للزركلى ٢٣٤/٥، حلية الأولياء ١٩٠/٢، الإصابة، باب الكنى.

(٨) اعتمد الباحث فى تخريج الحوار بين كميل النخعى وعلى بن أبى طالب على ما ورد فى كتاب العقد الفريد، تأليف أبى عمر أحمد بن محمد ابن عبدربه الأندلسى. دار الكتاب العربى - بيروت - بنان. جـ٢، ٢١١ - ٢١٣.
وقد جاءت الرواية فى فضيلة العلم: «حدثنا أيوب بن سليمان ابن صالح بن هشيم المعافرى، أبو صالح القرطبى، قال حدثنا عامر بن معاوية عن أحمد بن عمران الأخنس عن الوليد بن صالح الهاشمى عن عبد الله بن عبد الرحمن الكوفى عن أبى محنف عن كميل النخعى... إلخ.

(٩) فى الأصل «فأخرجنى» وما أثبته نقلا من العقد الفريد (المرجع السابق).

ناحية الجبانة، فلما (أسحر)[١] تنفس (الصعداء)[٢] ثم قال: يا كميل: إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عنى ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم «ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، (مع كل ريح يميلون)[٣] لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق.

يا كميل (العلم خير من المال)[٤] العلم يحرسك وأنت تحرس المال (والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق ومنفعة المال تزول بزواله).[٥]

يا كميل محبة(العلم)[٦] دين يدان به، يكسب (العالم الطاعة لربه فى حياته)[٧] وجميل الأحدوثه بعد وفاته[٨]. والعلم[٩] (حاكم)[١٠] والمال محكوم عليه.

يا كميل: مات (خزان)[١١] (المال)[١٢] وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم فى القلوب موجودة. (ها أن هاهنا لعلما جما)[١٣] وأشار

---

(١) فى الأصل «أضحى» وما أثبته هو الصحيح نقلا من العقد الفريد (المرجع السابق).

(٢) هذه الكلمة ليست موجودة بالأصل، وإنما وردت فى العقد الفريد (المرجع السابق).

(٣) فى الأصل «يميلون فى كل ريح» وما أثبته نقلا من رواية العقد الفريد والمثبته بالهامش (المرجع السابق).

(٤) هذه الجملة ليست موجودة بالعقد الفريد.

(٥) فى الأصل «والعلم يزكو على الانفاق والمال تنقصه النفقة» وما أثبته هو الصواب نقلا من العقد الفريد (مرجع سابق).

(٦) فى الأصل «العالم» وهو تحريف والصواب ما أثبته.

(٧) فى العقد الفريد (يكسب الإنسان الطاعة فى حياته) وأرى أن رواية المخطوطة هى الصواب حيث أنها تناسب المقام ويستقيم بها المعنى.

(٨) جاء فى الأصل عقب تلك الجملة عبارة (ونفقة المال تزول بزواله) وهذه العبارة إضافة إلى أن بها «تصحيفا لكلمة» ونفقة «فالصحيح أنها «ومنفعة» فقد وردت بالعقد الفريد» ومنفعة المال تزول بزواله» وقد أثبت العبارة فى مكانها المناسب. انظر رقم (٥) أعلى الصفحة.

(٩) فى الأصل «والعلم والمال» وما أثبته هو الصحيح ليستقيم المعنى.

(١٠) ما بين المعكوفين نقلا من رواية العقد الفريد ليستقيم به المعنى.

(١١) فى الأصل «خبران» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(١٢) فى الأصل «الأموال» وهو تحريف والصحيح ما أثبته نقلا من رواية العقد الفريد.

(١٣) فى الأصل «ان هاهنا لعلماء» والصحيح ما أثبته نقلا من رواية العقد الفريد، حيث أنها تناسب المقام وتستقيم بها العبارة.

(بيده)[1] إلى صدره، لو (وجدت)[2] له حمله، (ثم قال اللهم)[3] (بلى أجد لقنا)[4] غير مأمون، يستعمل آلة الدين (للدنيا)[5] (ويستظهر بنعم الله على عباده، وبحجه على أوليائه)[6] (أو)[7] منقادا لحملة الحق (ولا)[8] بصيرة له فى أحنائه (ينقدح)[9] الزيغ[10] فى قلبه لأول عارض من شبهة، (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء: أو منهوما باللذة سلس القياد للشهوة، أو مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين فى شىء)[11] أقرب شبها (بهما)[12] الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت (حامليه)[13] (ثم قال)[14] اللهم (بلى)[15] لا تخلو الأرض من قائم (بحجة الله)[16]، إما ظاهرا مشهورا، وإما خائفا مغمورا، لئلا تبطل حجج الله وبيناته (وكم ذا وأين؟)[17] أولئك (والله)[18] هم الأقلون عددا والأعظمون (عند الله قدرا)[19] بهم يحفظ الله حججه (وبيناته)[20] حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها فى قلوب

---

(١) هذه الكلمة (بيده) غير موجودة بالأصل، إلا أنها وردت بالعقد الفريد وبها تستقيم العبارة.

(٢) فى الأصل (لو أحببت) وهو تصحيف والصحيح ما أثبته نقلا عن العقد الفريد.

(٣) هذه العبارة «ثم قال اللهم» غير موجودة بالعقد الفريد.

(٤) فى الأصل «بلى أصبته لفتى» والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى نقلا من العقد الفريد.

(٥) فى الأصل «فى الدنيا» والصحيح ما أثبته نقلا عن رواية العقد الفريد.

(٦) فى الأصل «ويستظهر بحجج الله على أوليائه... فقط» والصحيح ما أثبته نقلا عن العقد الفريد.

(٧) فى الأصل «و» بدون الهمزة والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٨) فى الأصل «لا» بدون الواو والصحيح ما أثبته.

(٩) فى الأصل «يقدح» وهو تحريف والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة.

(١٠) فى العقد الفريد «الشك» وأرى سلامة الكلمة كما هى بالأصل.

(١١) فى الأصل (اللهم لازار ولازاك أو منهوماً بالذات سلس القياد للشهوات ومنرما بالجمع والادخار وليس من رعاة الدين) والصحيح ما أثبته نقلا من العقد الفريد لتستقيم العبارة ويتضح المعنى.

(١٢) فى الأصل «بها» والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(١٣) فى الأصل «حملته» والصحيح ما أثبته ليناسب المقام.

(١٤) ما بين المعكوفين كما جاء فى رواية العقد الفريد وهو الصواب.

(١٥) لم ترد كلمة «بلى» فى الأصل، والصحيح وضعها كما جاء بالعقد الفريد.

(١٦) فى الأصل «لله لحججه» والصواب ما أثبته نقلا من العقد الفريد.

(١٧) فى الأصل (من كم وأين) والصواب ما أثبتناه نقلا من العقد الفريد ليستقيم المعنى وتتضح العبارة.

(١٨) فى الأصل بدون لفظ الجلالة والصحيح ما أثبته نقلا من العقد الفريد.

(١٩) لم ترد عبارة (عند الله قدرا) بالأصل والصواب إثباتها كما جاء بالعقد الفريد.

(٢٠) لم ترد كلمة «وبيناته» بالأصل. والصحيح إثباتها كما جاء بالعقد الفريد.

أشباههم (هجم بهم العلم على حقيقة الإيمان[١] (حتى)[٢] باشروا روح اليقين (فاستلانوا ما استخشن المترفون)[٣] وأنسوا بما استوحش (منه)[٤] الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة (بالرفيق)[٥] الأعلى. (يا كميل)[٦] أولئك خلفاء الله فى أرضه، الدعاة إلى دينه (آه آه)[٧] شوقا إلى (رؤيتهم)[٨] (انصرف يا كميل إذا شئت)[٩] أستغفر الله لى ولك.

ابن الأنبارى فى المصاحف والمرهبى فى العلم، ونصر فى الحجة، وابن عساكر[١٠] وأبو نعيم[١١] فى الحلية.

وقيل للأعمش[١٢]: قد أحببت العلم لكثرة من يأخذ منك، فقال: لا تعجلوا، ثلاث يموتون قبل الإدراك، وثلاث يلزمون أبواب السلطان، وهم شر الخلق، والثلاث الباقية لا يفلح منه إلا القليل.[١٣]

قال الأوزاعى[١٤]: «ما من شىء أبغض إلى الله تعالىٰ من عالم يزور عاملا» وقال مكحول الدمشقى: «من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقا إليه

---

(١) فى الأصل «ينجم العلم عن حقيقة الأمر» والصحيح ما أثبته ليتضح المعنى وتستقيم العبارة كما وردت فى العقد الفريد.
(٢) خلا الأصل من كلمة (حتى) والصحيح إثباتها كما فى العقد الفريد.
(٣) فى الأصل «واستباوا ما استوعر....» وهو تصحيف واضح والصحيح ما أثبته وفقا لرواية العقد الفريد.
(٤) خلا الأصل من كلمة (منه) وقد أثبتها العقد الفريد وهو الصواب.
(٥) فى الأصل «بالمحل» والصحيح ما أثبته وفقا لرواية العقد الفريد.
(٦) خلا الأصل من عبارة (يا كميل) والصواب إثباتها كما فى العقد الفريد.
(٧) فى الأصل (هاه) وهو تصحيف واضح والصحيح ما أثبته وفقا لرواية العقد الفريد.
(٨) جاء فى العقد الفريد «شوقا إليهم» وأرى سلامة عبارة النص كما وردت.
(٩) لم ترد عبارة (انصرف يا كميل إذا شئت) فى الأصل، إلا أن العقد الفريد أثبتها ورأيت موافقته ليستقيم المعنى وتتضح العبارة.
(١٠) سبقت ترجمته.
(١١) سبقت ترجمته.
(١٢) الأعمش (سليمان بن مهران) ٦١ ـ ١٤٨هـ = ٦٨١ ـ ٧٦٥م.
وهو: سليمان بن مهران الأسدى بالولاء، أبو محمد، الملقب بالأعمش: تابعى، مشهور. أصله من بلاد الرى، ومنشأه ووفاته بالكوفة. كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض، يروى نحو ١٣٠٠ حديث، قال الذهبى: كان رأسا فى العلم النافع والعمل الصالح. وقال السخاوى: قيل: لم ير السلاطين والملوك والأغنياء فى مجلس أحقر منهم فى مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره. الأعلام ١٣٥/٣، تاريخ بغداد ٣/٩.
(١٣) الحلية لأبى نعيم ٢٨٨/٧.
(١٤) الأوزاعى هو: (عبد الرحمن بن عمرو بن محمد: ٨٨ ـ ١٥٧هـ = ٧٠٧ ـ ٧٧٤م) من قبيلة الأوزاع، إمام الديار الشامية فى الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين. ولد فى بعلبك، ونشأ فى البقاع، وسكن بيروت وتوفى بها. له كتاب «الفن» فى الفقه «والمسائل» ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها. الأعلام ٣٢٠/٣.

وطمعا لما فى يديه خاض فى نار جهنم بقدر خطاه».

وقال سحنون[1]: «ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال: هو عند الأمير. قال: وكنت أسمع أنه يقال: إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم، حتى جربت، إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج، فإذا عليها الدرك[2]، وأنتم تعلمون وترون ما ألقاه به من الفظاظة[3] والغلظ وكره المخالفة لهواه، ولوددت أنى أنجو من الدخول عليه كفافا[4] مع أنى لا آخذ منهم شيئا، ولا أشرب لهم شربة ماء. ثم قال: «علماؤنا شر من علماء بنى إسرائيل يجيزون السلطان بالرخص، وبما يوافق هواه، ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم». وقال الحسن[5]: «كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم» فى الإسلام، وصحبة النبى عليه السلام.

●●

قال ابن المبارك[6]: يعنى ابن (أبى)[7] وقاص[8]، قال: وكان يغشى السلاطين ثم قعد عنهم، فقال له بنوه: يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى

---

(١) هو: سحنون بن سعيد بن حبيب التوخى الملقب بسحنون، (١٦٠ ـ ٢٤٠هـ = ٧٧٧ ـ ٨٥٤م)، قاضى، فقيه، انتهت إليه رياسة العلم فى المغرب، كان زاهدا، لا يهاب السلطان فى حق يقوله، أصله شامى من حمص، ومولده فى القيروان، ولى القضاء بها سنة ٢٣٤هـ واستمر إلى أن مات... روى «المدونة ـ ط» فى فروع المالكية. الأعلام ٤/٥.

(٢) الدرك بمعنى الذنب والمؤاخذة.

(٣) فى الأصل الفظة ولم أجد لها أصلا فى كتب اللغة، والفظاظة القسوة والإساءة. انظر المعجم الوسيط (فظظ).

(٤) كفافا: الكفاف ما كان مقدار الحاجة من غير زيادة ولا نقصان.
ويقال: ليتنى أخرج من هذا الأمر كفافا اى لالى ولا على.
انظر: المعجم الوسيط (كفف).

(٥) يعنى: الحسن البصرى = الحسن بن يسار.

(٦) هو: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى بالولاء، التميمى، المروزى أبو عبد الرحمن: الحافظ. (١١٨ ـ ١٨١هـ = ٧٣٦ ـ ٧٩٧م) وهو شيخ الإسلام المجاهد... جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء كان من سكان خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفا من غزوة الروم له كتاب فى «الجهاد» وهو أول من صنف فيه، و«الرقائق ـ خ» فى مجلد. الأعلام ٤/١١٥، تذكرة الحفاظ ١/٢٥٣.

(٧) ما بين المعكوفين ساقط من المخطوطة ويعنى (سعد بن أبى قاص).

(٨) هو: سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب (٢٣ ق هـ ـ ٥٥ هـ = ٦٠٠ ـ ٦٧٥م)، الصحابى الأمير، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ويقال له: فارس الإسلام، أسلم وهو ابن ١٧ سنة، له فى كتب الحديث ٢٧١ حديثا. الأعلام ٣/٨٦ ـ ٨٧.

الإسلام!!!! فلو أتيتهم... فقال: يا بنى، آتى إذاً جيفة قد أحاط بها قوم»، والله لئن استطعت ما شاركتهم فيها.

قالوا: يا أبانا إذاً نهلك هزلا، قال: يا بنى، لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقا سمينا. قال الحسن: خصمهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان.

وقال أبو ذر[1] لسلمة: «لا تغشى أبواب السلاطين، فأنك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه».

وكتب عمر بن عبد العزيز[2] إلى الحسن، أما بعد: «فأشر على بقوم[3] أستعين بهم على أمر الله تعالى» فكتب إليه: «أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا، فلن تهديهم، ولكن عليك بالأشراف، فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة».

وحكى الأوزاعى عن بلال بن سعد أنه كان يقول: «ينظر أحدكم إلى الشرطى فيستعيذ بالله منه، وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين[4] إلى الخلق، المتشوفين إلى الرياسة، فلا يمقتهم، وهذان أحق بالمقت من الشرطى».

وعن الحسن البصرى: «إن بقيت لك الدنيا لم تبلغها فأى فائدة[5] فى طلبها، وإنفاق العمر العزيز على كسبها».

---

(1) أبو ذر الغفارى (٠٠٠ ـ ٣٢هـ) = (٠٠٠ ـ ٦٥٢م).
وهو: جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد، من بنى غفار، من كنانة بن خزيمة، أبو ذر: صحابى، من كبارهم. قديم فى الإسلام، يقال أسلم بعد أربعة وكان خامسا.
يضرب به المثل فى الصدق. وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام.
هاجر بعد وفاة النبى ﷺ إلى بادية الشام، فأقام إلى أن توفى أبو بكر وعمر وولى عثمان. ومات فى (الربذة) من قرى المدينة وكان كريما. وروى له البخارى ومسلم ٢٨١ حديثا. الأعلام ١٤٠/٢. صفة الصفوة ٢٣٨/١، الإصابة ٦٠/٧.

(2) هو: عمر بن عبد العزيز مروان الأموى القرشى أبو حفص الخليفة الصالح والملك العادل. (٦١ ـ ١٠١هـ = ٦٨١ ـ ٧٢٠م) ولد ونشأ بالمدينة، وولى إمارتها للوليد ثم استوزره سليمان بن عبد الملك الشام، وولى الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩هـ فبويع فى مسجد دمشق. ومدة خلافته سنتان ونصف. ألفت فى سيرته كتب كثيرة منها: «الخليفة الزاهد . ط» فى سيرته لعبد العزيز سيد الأهدل. الأعلام ٥٠/٥.

(3) فى الأصل: «فأشر على قوام أستعيذ بهم» وهو تحريف واضح.

(4) فى الأصل (المتصفين) وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(5) فى الأصل «لم تتبعلها فأى حائرة» وهو تحريف واضح والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

ولله در القائل:

هب الدنيا تساق إليك عفوا

أليس مصير ذاك إلى زوال

وما دنياك إلا مثل ظل

أظلك ثم آذن بارتحال

ولآخر:

وأضغاث نوم[1] أو كظل زائل

إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وعن سفيان الثورى:[2]

«ما أخاف على دهر إلا من القراء والعلماء» فاستنكروا ذلك منه فقال: ما أنا قلته، إنما قاله إبراهيم النخعى[3] يعنى به أستاذا يخيفه.

وعن عطاء[4] قال: قال لى الثورى: «احذروا القراء واحذرونى معهم فلو خالفت أحدهم[5] فى رمانة فأقول إنها حلوة ويقول: انها حامضة ما أمنته أن يسعى به منى[6] إلى السلطان جائر».

وعن مالك بن دينار[7] أنه قال: «إنى أقبل شهادة القراء على جميع الخلق، ولا أقبل شهادة بعضهم على بعض، لأنى وجدتهم حساداً، قلت[8]: «وإذا كان من أعوان الظلمة، فيتعين أن لا تقبل شهادته على أحد، فإنه إما ظالم أو فاسق».

---

(١) «أضغاث نوم» يعنى بها «الدنيا».

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعى، من مذحج: (٤٦ - ٩٦هـ = ٦٦٦ - ٧١٥م) من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث. ولما بلغ الشعبى موته قال: والله ما ترك بعده مثله. الأعلام ١/ ٨٠.

(٤) هو: عطاء بن أسلم بن صفوان (ابن أبى رباح) (٢٧ - ١١٤هـ = ٦٤٧ - ٧٣٢م) وهو تابعى، من أجلاء الفقهاء. كان عبدا أسود. ولد فى جند (باليمن) ونشأ بمكة فكان مفتى أهلها ومحدثهم وتوفى فيها. الأعلام ٤/ ٢٣٥، صفة الصفوة ٢/ ١١٩.

(٥) فى الأصل (أو وهم إلى) وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٦) فى الأصل (من) وهو تحريف والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة.

(٧) هو: مالك بن دينار البصرى، أبو يحيى. (٠٠٠ - ١٣١هـ = ٠٠٠ - ٧٤٨م) من رواة الحديث، كان ورعا يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة، توفى بالبصرة. الأعلام ٥/ ٢٦٠ - ٢٦١.

(٨) (قلت) المقصود هنا (المؤلف).

وعن الفضيل[1] أنه قال لابنه: «اشتر لى دارا بعيدة من القراء، مالى بقوم إن ظهرت منى زلة هتكونى، وإن ظهرت على نعمة حسدونى» (وصدق)[2] من قال فى حالة هؤلاء الرجال:

تشاغل قوم بدنياهم
وقوم تخلوا بمولاهم
فألزمهم باب مرضاته
وعن سائر الخلق أغناهم

ولآخر:

أرى الزهاد فى روح وراحة
قلوبهم عن الدنيا مزاحة
إذا أبصرتهم أبصرت قوما
ملوك الأرض سيمتهم سماحة

وعن بعض المشايخ: «إن ما قدر لماضغيك أن يمضغاه فلا يمضغه غيرك فكل ويحك رزقك بالعز ولا تأكله بالذل».

وأصله الخبر المأثور عن النبى ﷺ أنه قال لابن مسعود[3]: «ليقل همك ما قدر يأتيك ومالم يقدر لم يأتك»

قلت[4]: «ويؤيده قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾.[5]

والحديث المشهور: «ما أصابك لم يكن ليخطئك[6] وما أخطأك لم يكن

---

(١) هو: الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى (١٠٥ ـ ١٨٧هـ = ٧٢٣ ـ ٨٠٣م) وهو شيخ الحرم المكى، من أكابر العباد الصلحاء، كان ثقة فى الحديث أخذ عنه خلق منهم: الإمام الشافعى. ولد فى «سمرقند» وسكن مكة وتوفى بها. من كلامه: «من عرف الناس استراح» الأعلام ١٥٣/٥.

(٢) ما بين القوسين زيادة من عندى تستقيم به العبارة.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) (قلت) المقصود. (المؤلف).

(٥) سورة التوبة، آية (٥١).

(٦) جزء من حديث النبى ﷺ لعبد الله بن عباس: يا غلام «ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك».

ليصيبك»[1] وحديث: «جف القلم على علم الله»[2] وفى رواية: «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة».[3]

وخبر على: «إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور».

وقد ثبت أن الله تعالى يقول: «إنى لأذود أوليائى عن نعيم الدنيا كما يذود الراعى الشفيق إبله عن مبارك المُرَّة».[4]

وفى هذا المعنى لبعض الزهاد شعر:

سبقت مقادير الإله وحكمه
فأرح فؤادك من لعل ومن لوا

وقال آخر:

فلعل ما نخشاه ليس بكائن
ولعل ما نرجوه ليس يكون
سيكون ما هو كائن فى وقته
وأخو الجهالة متعب محزون

وقال آخر:

جرى قلم القضاء بما يكون
فسيان التحرك والسكون
جنون «منك أن تسعى لرزق
ويرزق من غشاوته الجنين

●●

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد، باب ما جاء فى قصر الأمل. حديث = ٢٣٣٤، وأخرجه أحمد فى مسنده ٢٤/٢، ٤١، ١٣٢.

(٢) صحيح البخارى: كتاب القدر. الباب الأول ١٩٦/٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) (المُدَار) بقل «بَرِّىّ» من الفصيلة المركبة، وتسميه العامة فى مصر والشام: المُرّير. المعجم الوجيز.

وعن بعض الكبراء:

تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها. ثم إن السلف الصالح أجمعوا على التحذير من أهل زمانهم وآثروا العزلة فى عامة شأنهم، وأمروا بذلك، وتواصوا[1] بالتزام ما هنا لك ولا شك أنهم كانوا انصح وأبصر، وأقروا أن الزمان بعدهم لن[2] يصير خيرا مما كان، بل كل يوم شر[3] منه وأمر.

فمن يوسف بن أسباط أنه قال: سمعت الثورى[4] يقول: «والله الذى لا إله إلا هو لقد حلت العزلة فى هذا الزمان» قال حجة الإسلام[5]: «ولئن حلت فى زمانه ففى زماننا وجبت» قلت[6]: ويؤيده قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.[7]

وقوله عليه السلام «إذا رأيت شحاً مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة».[8]

وكتب رجل على باب داره: «جزى الله من لا يعرفنا خيرا ولا جزى بذلك أصدقاءنا خاصة. فما أوذينا قط إلا منهم».

وقال الفضيل[9]: «هذا زمان» احفظ فيه لسانك، وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر».

---

(١) فى الأصل: «وتواضعوا» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.
(٢) فى الأصل: «لم» وهو تحريف والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة لغويا.
(٣) فى الأصل «شرا» وهو تحريف حيث إن الكلمة خبر لكل والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة لغويا.
(٤) سبقت ترجمته.
(٥) هو: محمد بن محمد الغزالى الطوسى، أبو حامد (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ = ١٠٥٨ ـ ١١١١م) وهو حجة الإسلام، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى مصنف، مولده ووفاته فى الطابران «قصبة طوس، بخراسان» رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل أو إلى غزالة «من قرى طوس» من كتبه «إحياء علوم الدين ـ ط» أربع مجلدات، و«تهافت الفلاسفة ـ ط» و«الاقتصاد فى الاعتقاد ـ ط» و«فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ـ ط» و«عقيدة أهل السنة ـ ط» و«ميزان العمل ـ ط» الإعلام ٢٢/٧، طبقات الشافعية ١٠١/٤ ومفتاح السعادة ١٩١/٢ ـ ١٩٢.
(٦) قلت (المقصود: المؤلف).
(٧) سورة المائدة، آية (١٠٥).
(٨) الترمذى الجامع، كتاب تفسير القرآن، باب (٦) جـ٥ ص٢٥٧ ح = ٣٠٥٨.
وقال الترمذى حديث حسن غريب. طبعة ـ مصطفى الحلبى. تحقيق إبراهيم عطوة عوضى: ١٣٩٥هـ.
(٩) سبقت ترجمته.

وعن داود الطائى:[1] «صم عن الدنيا واجعل فطرك الجنة وفر من الناس فرارك من الأسد».

قلت[2]: ويشير إلى قوله تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾.[3]

وقوله سبحانه: ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾.[4]

وقال الثورى[5]: «هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والرضا بالقوت إلى أن تموت».

وعن يحيى بن معاذ[6]: «رؤية الناس بساط الرياء». وعن إبراهيم بن أدهم[7]: «كن واحدا امعيا[8] ومن ربك ذا أنس ومن الناس وحشيا ثم اعلم أنك متى عانقت العبادة بحقها ولزمتها حق الملازمة، ووجدت حلاوة المناجاة واستأنست بكتاب الله وسنة رسول الله اشتغلت عن الخلق ومرامهم واستوحشت من صحبتهم وكلامهم وسلامهم».

وقد قال ابن عباس[9] رضى الله عنهما: «جميع العلم فى القرآن، لكن تقاصرت عنه أفهام الرجال».

---

(١) هو: داود بن نصير الطائى أبو سليمان، من أئمة المتصوفين، أصله من خراسان ومولده بالكوفة، رحل إلى بغداد، فأخذ عن أبى حنيفة وغيره وعاد إلى الكوفة فاعتزل الناس ولزم العبادة إلى أن مات فيها قال: أحد معاصريه لو كان داود فى الأمم الماضية لقص الله تعالى شيئا من خبره» الأعلام ٢/٣٣٥، حلية الأولياء ٧/٣٣٥.

(٢) قلت: المقصود: المؤلف.

(٣) سورة الذاريات، آية (٥٠).

(٤) سورة المزمل، آية (٨).

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى، أبو زكريا: واعظ، زاهد، لم يكن له نظير فى وقته. من أهل الرى، أقام ببلخ، ومات فى نيسابور، له كلمات سائرة منها: «هان عليك من احتاج إليك» «الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوى غم ساعة» «اجتنبت صحبة ثلاثة أصناف من الناس: العلماء الغافلين، القراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين» الأعلام ٨/١٧٢.

(٧) هو: إبراهيم بن أدهم بن منصور (٠٠٠ ـ ١٦١هـ = ٠٠٠ ـ ٧٧٨م) زاهد مشهور. كان أبوه من أهل الغنى فى بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد وجال فى العراق والشام والحجاز، وكان يصوم فى السفر والإقامة، وينطق بالعربية الفصحى لا يلحن وكان إذا حضر مجلس سفيان الثورى وهو يعظ أوجز سفيان فى كلامه مخافة أن يزل. الأعلام ١/٣٠.

(٨) فى الأصل (حامعيا) وهو تحريف والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة.

(٩) سبقت ترجمته.

وقال غيره:

إذا ذكــرت[1] بحــار العلم يومــا
فقـول المصطفى لا غـير بحـرى[2]
هو البــحــر المحــيط ومــا عــداه
فــأنهــار صـــغــار منه تجــرى

وقد جاء بعض الأمراء إلى بعض الكبراء[3] واعتذر لقلة المارين إليه فأجاب عليه: «بأنه[4] بمقدار ما يفرح الناس بذهابك إليهم، فنحن نفرح بعدم إيابك إلينا».

وقال بعض المشايخ:

اتخـــذ الله صـــاحـــبــا
ودع النـاس جـــنـــانـبـــا
قلب النـاس كـــيف شـــئت
تجـــــدهم اقـــــاربـا

ويؤيده خبـر (اخبـر تقله)[5] وحديث: «الناس كابل مـائة لا تجد فـيهـا راحلة[6] واحدة».[7]

وفى قصـة أبى حنيفـة مع المنصـور وأبى هريرة[8] عبـرة لمن يعـتبـر فى الموعظة الحسنة ومما ينسب إلى على[9] كرم الله وجهه ورضى الله عنه:

---

(١) فى الأصل «اذا كرت» وهو تحريف واضح والصحيح ما أثبته.
(٢) فى الأصل «تجرى» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.
(٣) المقصود بالكبراء: «العلماء العباد المخلصون».
(٤) فى الأصل: «بأن مقدار» وهو تحريف والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة.
(٥) تقله: من قلا بمعنى: كره. ومعنى «اخبر تقله» اختبر الإنسان فقد تتكشف لك أشياء لا تحبها فيه.
(٦) الراحلة يقصد بها: الناقة التى تستطيع أن تحمل الرحل والأساس لمسافات طويلة.
(٧) روى الحديث البخارى ٢٨٦/١١ ك الرقاق، باب رفع الأمانة كما ورد فى مسلم (٢٥٤٧) فى ك فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ «الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة».
(٨) سبقت ترجمته.
(٩) سبقت ترجمته.

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم

على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه

والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز[1] بعلم تعش حياً به ابداً

الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود[2]: «ليس شيء أعز من العلم، فالملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك».

وقال ابن عباس[3]: «خير سليمان بن داود عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه».

وسئل ابن المبارك[4]: «من الناس؟ فقال: العلماء. فقيل من الملوك؟ قال: الزهاد. وقيل: من السفلة؟ فقال: الذين يأكلون بدينهم». وقال بعض الحكماء: ليت شعرى أى شيء أدرك من فاته العلم!!! وأى شيء فاته من أدرك العلم»!!!

وقال سالم بن أبى الجيد: اشترانى مولاى بثلاثمائة درهم فأعتقنى، فقلت: بأى حرفة أحترف؟ فاحترفت بالعلم، فما أتت لى سنة حتى أتى أمير المدينة زائرا فلم آذن له.

وقال أبو الدرداء: «لأن أتعلم مسألة أحب إلى من قيام ليلة، وقال أيضا: العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم.

---

(١) فى الأصل «ففز بهم بعلم» وهو تحريف والصواب ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٢) هو: (ظالم بن عمر بن سفيان بن جندل الدولى الكنانى ١ ق هـ - ٦٩هـ = ٦٠٥ - ٦٨٨م) وهو واضع علم النحو، كان معدودا فى الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان وهو من التابعين سكن البصرة فى خلافة عمر وولى إمارتها فى أيام على له شعر جيد فى «ديوان ط» صغير. من شعره: لاتنه عن خلق وتأتى مثله. مات بالبصرة. الأعلام ٣/٢٣٦.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سبقت ترجمته.

وقال عطاء:[1] «مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو» وقال عمر: «موت ألف عابد قائم بالليل صائم بالنهار أهون من موت عالم بصير[2] بحلال الله وحرامه. وعنه: «من تحدث بحديث فعمل به فله مثل أجر ذلك العمل» وقال عطاء: «دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى!!! فقلت ما يبكيك؟ قال ليس أحد يسألنى عن شىء!!!

وقال بعضهم: (العلماء)[3] سرج الأزمنة، كل واحد مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره».

وقال الحسن «لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم».

وقال يحيى بن معاذ: «العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم» قيل: وكيف ذلك؟ قال: «لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا (والعلماء)[4] يحفظونهم[5] من نار الآخرة.

ثم أعلم أن ما يطلب لذاته فهو السعادة فى الآخرة وما يتوسل به إليها فى الدرجة الفاخرة إنما هو العلم والعمل، ولا يتوصل إلى العمل أيضا إلا بالعلم بكيفية العمل، فأفضل السعادات فى الدنيا والآخرة العلم فهو أفضل الأعمال، وكيف لا!!!

وقد تعرف[6] فضيلة الشىء أيضا بشرف ثمرته، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين ومقارنة[7] الملائكة المقربين. ثم أى رتبة تكون أجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه، فى تقريبهم إلى الله زلفى وسياقتهم بالعلم إلى جنة المأوى».[8]

---

(١) سبقت ترجمته.
(٢) فى الأصل يصير وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.
(٣) ما بين القوسين من عندى لتستقيم به العبارة.
(٤) ما بين القوسين من عندى لتستقيم به العبارة.
(٥) فى الأصل «ويحفظون» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.
(٦) فى الأصل «يعرف» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.
(٧) فى الأصل «ومعارنة» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.
(٨) فى الأصل «وسياقتهم العلم إلى الجنة المأوى» وهو تحريف والصحيح ما أثبته.

فمن هنا قال عليه السلام: «اطلبوا العلم ولو بالصين»[1] ابن عدى والعقيلى والبيهقى[2] فى الشعب وابن عبد البر فى فضل العلم. قال الحجة[3]: «وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب».

كان الشافعى[4] يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى مكتب ويسأله كيف فى كذا وكذا؟ فيقال له: مثلك يسأل هذا البدوى فيقول: إن هذا وفق[5] لما علمت، وفى نسخة: لما جهلناه.

وكان أحمد بن حنبل[6] ويحيى بن معين[7] يختلفان إلى: معروف الكرخى[8] ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما، وكانا يسألانه، وكيف لا!!! وقد قال ﷺ: «سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم» الطبرانى[9] من حديث ابن عباس[10] فيه عبد الله بن كيسان. ضعفه الجمهور ومن هنا قيل: «علماء الظاهر زينة الأرض والملك وعلماء الباطن زينة السموات والملكوت».

---

(١) حديث «اطلبوا العلم ولو بالصين» رواه البيهقى وغيره عن أنس وهو ضعيف، بل قال ابن حبان: باطل وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات. انظر: كشف الخفاء ١٣٨/١.

(٢) هو: أحمد بن الحسين بن على، أبو بكر (البيهقى ٣٨٤ - ٤٥٨هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٦م) من أئمة الحديث ولد فى: خسروجرد (من قرى بيهق، نيسابور) ونشأ بها ثم رحل إلى بغداد والكوفة ومكة وغيرها، ثم طلب نيسابور فلم يزل بها إلى أن مات، وقد كثرت تصانيفه: ومنها: السنن الكبرى، والسنن الصغرى والمعارف والأسماء والصفات، والترغيب والترهيب والجامع المصنف فى شعب الإيمان، والاعتقاد وفضائل الصحابة. الأعلام ١١٦/١، طبقات الشافعية ٣/٣.

(٣) المقصود (حجة الإسلام الغزالى) وقد سبقت ترجمته.

(٤) الامام الشافعى (١٥٠ - ٢٠٤هـ) = (٧٦٧ - ٨٢٠) هو: محمد بن إدريس ابن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى المطلبى أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد فى غزة بفلسطين وحمل منهما إلى مكة وهو ابن سنتين. فزار بغداد مرتين وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفى بها وقبره معروف فى القاهرة. قال المبرد: كان الشافعى أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقرآن. الأعلام ٢٦/٦، الوفيات ٤٤٧/١ صفة الصفوة ١٤٠/٢.

(٥) فى الأصل «وفقا» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) ابن معين (١٥٨ - ٢٣٣هـ = ٧٧٥ - ٨٤٨م) وهو: يحيى بن معين بن عون بن زياد المرى بالولاء، البغدادى، أبو زكريا: من أئمة الحديث ومؤرخى رجاله. نعته الذهبى بسيد الحفاظ. ومن كلامه: كتبت بيدى ألف حديث. له: «التاريخ والعلل - خ» فى الرجال. و«معرفة الرجال» - خ الجزء الأول منه. وكان أبوه على خراج الرى فخلف له ثروة أنفقها فى طلب الحديث وعاش ببغداد وتوفى بالمدينة حاجا، وصلى عليه أميرها. الأعلام ١٧٢/٨ - ١٧٣.

(٨) هو معروف بن فيروز الكرخى أبو محفوظ: أحد أعلام الزهاد والمتصوفين كان من موالى الإمام على الرضى بن موسى الكاظم. ولد فى كرخ بغداد. ونشأ وتوفى بها. اشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك به حتى كان الإمام أحمد بن حنبل من جملة من يختلف إليه. الأعلام ٢٦٩/٧.

(٩) الطبرانى له: «المعجم الصغير والمتوسط والكبير» وفى الحديث (مسند ابن عباس).

(١٠) ابن عباس: سبقت ترجمته.

قال الثورى[1] لرفيق له كان يمشى معه، فنظر إلى باب دار مرفوع معمور: «لا تفعل ذلك فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى إلى هذا الإسراف، فالناظر إليه معين له على إسراف ما فى يديه» وفى قوله سبحانه: ﴿ ولا تمدن عينيك[2] إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ دلالة عليه.

وقال بعض العارفين: «لا تنظر إلى الأغنياء، فإن بريق أموالهم يذهب برونق أحوالكم».

وقال الجنيد[3] [4]: قال لى السرى[5] شيخى يوما: إذا قمت من عندى من تجالس؟ قلت: المحاسبى. قال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين. ثم لما وليت سمعته يقول: «جعلك الله صاحب حديث صوفيا، ولا جعلك صوفيا صاحب حديث. وأشار إلى (أن)[6] من حصل الحديث بالعلم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه. ثم أعلم أن من عرف الحق بالرجال حار فى مقامات الضلال؛ ولذلك قال بعض أهل الحال: «انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال؛ فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق، وان قنعت بالتقليد فانظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس من علماء الدنيا، ولا تغفل عن الصحابة الكرام، وعلى حبهم فى هذا المرام؛ فقد أجمعوا على أنهم لم

---

(١) الثورى: سبقت ترجمته.

(٢) ذكر المؤلف الآية فقط (ولا تمدن عينيك) وقد أثبتها هنا بتكملتها وهى من سورة طه، الآية (١٣).

(٣) يميل المحقق إلى أن المقصود هنا: «الجنيد البغدادى» (٠٠٠ ـ ٢٩٧هـ = ٠٠٠ ـ ٩١٠م) وسبب هذا الترجيح يعود إلى ان شيخ السرى السقطى يؤرخ له (٠٠٠ ـ ٢٥٣هـ = ٠٠٠ ـ ٨٦٧) كما أن المحاسبى يعتبر: الحارث ابن اسد ٢٣٤هـ ولعل تداخل تلك التواريخ إضافة إلى قرينة التخصص ترجح راينا.

(٤) هو الجنيدبن محمد بن الجنيد البغدادى الخزاز، أبو القاسم: صوفى من العلماء بالدين مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. وهو أول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد، عده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة من رسائله، «دواء الأرواح ـ خ» الأعلام ١٤١/٢.

(٥) السرى السقطى (٠٠٠ ـ ٢٥٣هـ = ٠٠٠ ـ ٨٦٧م) وهو سرى بن المغلس السقطى أبو الحسن: من كبار المتصوفة بغدادى المولد والوفاة. وهو أول من تكلم فى بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية. وهو خال الجنيد وأستاذه. ومن كلامه: «من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز» الأعلام ٨٢/٣.

(٦) ما بين المعكوفتين زيادة من عندى تستقيم به العبارة.

يدرك فى الدنيا شأوهم، ولا يشق غبارهم[1] ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها. وما[2] فضل أبو بكر[3] رضى الله عنه بكثرة صلاة ولا صيام ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بسر وقر فى صدره كما شهد له سيد المرسلين ﷺ كذا ذكره الغزالى.

قال العراقى أخرجه الترمذى فى النوادر من قول بكر بن عبد الله المزنى، قال: ولم أجده مرفوعا. قلت[4]: «لكنه فى حكم المرفوع، فإن مثل هذا لا يقال من قبيل الرأى، وقد تلقته المشايخ بالقبول، وأوردوه فى معرض النقول».

ويؤيده كلام ابن مسعود: «ليس العلم بكثرة الرواة، إنما العلم نور يقذف فى القلب، فليكن حرصك فى طلب ذلك السر، فهو الجوهر النفيس، والدر المكنون، ودع عنك ما يطابق أكثر الناس عليه، وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها، فلقد قبض رسول الله عن آلاف من الصحابة كلهم علماء بالله، أثنى عليهم رسول الله ﷺ، ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام، ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا».

ولقد كان ابن عمر[5] منهم، وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل: اذهب إلى هذا الأمير الذى تقلد أمور الناس، ووضع (الأمانة)[6] فى عنقه إشارة إلى أن الفتيا فى القضايا

---

(١) فى الأصل «غبارتهم»، وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٢) فى الأصل «دعا»، وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) أبو بكر الصديق (٥١ ق هـ - ١٣هـ = ٥٧٣ - ٦٣٤م) وهو: عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمى القرشى، أبو بكر: أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال وأحد أعاظم العرب، ولد بمكة، ونشأ سيدا من سادات قريش. بويع بالخلافة يوم وفاة النبى ﷺ سنة ١١ هجرية. فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة. توفى فى المدينة. له فى كتب الحديث ١٤٢ حديثا.
قيل: كان لقبه «الصديق» فى الجاهلية، وقيل: فى الإسلام لتصديقه النبى ﷺ فى خبر الاسراء. الأعلام ١٠٢/٤، صفة الصفوة ٨٨/١، ابن الأثير ١٦٠/٢.

(٤) «قلت» المقصود هنا «المؤلف».

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) ما بين المعكوفين من عندى ليستقيم المعنى وتنتظم العبارة.

والأحكام من توابع الولاية والسلطنة. ولما مات عمر[1] رضى الله عنه قال ابن مسعود: «مات تسعة أعشار العلم» فقيل له: تقول ذلك وفينا جملة من الصحابة!!! قال: «لم أرد علم الفتيا والأحكام وإنما أريد العلم بالله» أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل!!!

فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر، وهو الذى سد باب الكلام والجدل، فضرب «صبيغا»[2] بالدرة؛ لما أورد عليه سؤالا فى تعارض آيتين فى كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره.

خامسا: «العلوم التى يتقرب بها إلى الله تعالى»:[3]

والحاصل أن أقسام ما يتقرب (به)[4] إلى الله ثلاثة:

علم مجرد: هو علم المكاشفة.

وعمل مجرد: كعدل السلطان مثلا.

(و)[5] مركب من علم وعمل، وهو علم طريق الآخرة؛ فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعا، فأنظر إلى نفسك (تكن)[6] يوم القيامة فى حزب علماء الله أو عمال الله، أو فى حزبيهما، فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما.

شعر:

خذ ما تراه[7] ودع شيئا سمعت به

فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) «صبيغا» اسم رجل فاسق ضربه عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(٣) هذا العنوان من صياغة الباحث، حيث يتفق مع المادة العلمية التالية وحتى يسهل على القارئ متابعة المعلومات من خلال الاطلاع على تلك المخطوطة.

(٤) ما بين المكوفين من عندى لتستقيم العبارة.

(٥) فى الأصل «مركب» بدون الواو وهو تحريف، والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى وتنتظم العبارة.

(٦) ما بين المكوفين من عند المحقق لتستقيم العبارة.

(٧) فى الأصل «ترده» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى. والشاعر هو: «الطغرائى» والبيت من قصيدته المشهورة والمعروفة بلامية العجم.

وفى كلام الشافعى[1]: «من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وخالقها فى قلبه فقد كذب».

وكتب حكيم[2] إلى حكيم: «قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم».

وقال عيسى عليه السلام:

«ما أكثر الشجر

وليس كلها يثمر

وما أكثر الثمر

وليس كلها يطيب

وما أكثر العلوم

وليس كلها بنافع»[3]

وأما فى الاحياء من حديث: «قليل من التوفيق خير من كثير من العلم».[4]

فقال العراقى: لم أجد له أصلا. وكذا ما ذكره من أن عليا أخرج القصاص من جامع البصرة، فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه؛ إذ كان يتكلم فى علم الآخرة، لم يصح[5]؛ إذ المحدثون اتفقوا على عدم اجتماع الحسن بعلى رضى الله عنه.

أصل العلم وغايته وثمرته:[6]

ثم أعلم أن لب العلم هو التوحيد، وغايته عند ذوى التأييد أن ترى الأمور كلها من الله تعالى، رؤية بقطع التفاقد من الأسباب والوسائط والإضافات، فلا يرى الخير والشر كله إلا منه.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) فى الأصل «حكم» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) فى الأصل «وليس بكلها منافع» وهو تحريف والصواب ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٤) انظر: كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للمفسر المحدث الشيخ اسماعيل بن محمد العجلونى، المتوى ١١٦٢هـ. طبعة مكتبة القدسى، ١٣٥٢هـ جـ٢ ص٩٩، ح = ٨٨٢، وذكره صاحب الفردوس عن أبى الدرداء، لكن قال: (العقل) بدل (العلم). ولم يخرجه ولده فى مسنده، قال العلامة (على القارى) صاحب تلك المخطوطة: وتعقبه بعض المتأخرين بأن ما ذكره فى الفردوس رواه ابن عساكر عن أبى الدرداء، ورواه الطبرانى عن ابن عمر بلفظ (قليل الفقه خير من كثير العبادة).

(٥) جملة «لم يصح» خبر المبتدأ «ما ذكره» المدون فى بداية الجملة.

(٦) هذا العنوان الجانبى من عندى حيث أنه يناسب المقام ويتفق مع المعلومات المذكورة تاليه.

وهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل.

ومنها: ترك شكاية الخلق، وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله.

وكان إحدى ثمراته، قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه، لما قيل له فى مرضه: أنطلب لك طبيبا؟ فقال: الطبيب أمرضنى» وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب فى مرضك؟ فقال، قال: «إنى فاعل لما أريد».

وإذا عرفت هذا فإليك الخيرة فى أن تنظره بنفسك، فتقتدى بالسلف أو تستدل بحبل الغرور وتتشبه بالخلف.

فكل ما ارتضاه السلف من العلوم فقد اندرس أكثره (و)[1] ما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع محدث.

وقد صح قول رسول الله ﷺ : «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء»[2] فقيل من الغرباء؟ فقال[3]: الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى، والذين يحيون ما أوتوه[4] من سنتى. مسلم من حديث أبى هريرة مختصرا، وهو بتمامه عند الترمذى من حديث عمرو بن عوف وحسنه.

وفى حديث آخر: «الغرباء ناس قليلون صالحون بين ناس كثير، من يبغضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم»[5] أحمد[6] من حديث عبد الله بن عمرو[7] وقد صدق

---

(١) ما بين المكوفين من عندى ليستقيم المعنى.

(٢) حديث: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء» رواه مسلم: ك الإيمان (٢٣٢).

(٣) فى الأصل «فقيل» وهو تحريف والصحيح ما أثبته.

(٤) فى الأصل «اتوه» وهو تحريف والصحيح ما أثبته.

(٥) «الغرباء ناس قليلون...» رواه أحمد عن ابن عمر. الجامع الصغير ٢/١٠٠.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) هو: عبد الله بن عمرو بن العاص. ٧ق هـ - ٦٥هـ = ٦١٦ - ٦٨٤م، وهو من قريش صحابى جليل من النساك. من أهل مكة. كان يكتب فى الجاهلية، ويحسن السريانية. وأسلم قبل أبيه، فاستأذن رسول الله ﷺ فى أن يكتب ما يسمع منه فأذن له. شهد كثيرا من الحروب والغزوات ويضرب بسيفين. وحمل راية أبيه يوم اليرموك. ولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة وامتنع عن بيعة يزيد بن معاوية وانزوى بعسقلان منقطعا للعبادة. له ٧٠٠ حديث. أعلام ٤/١١١. صفة الصفوة ١/٢٧٠.

عليه السلام، فإن تلك العلوم قد صارت غريبة اليوم بحيث يمقت ذاكره. وكذا قال النووى:[1] «إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء، فأعلم أنه مخلط، لأنه إن نطق بالحق أبغضوه».

والحاصل أن القسم المحمود من العلوم بالأشياء إلى أقصى غايات الاستقصاء، هو العلم بالله تعالى وبصفاته، فإن هذا علم مطلوب بنفسه[2]، والتوسل به إلى سعادة الآخرة، وذخائره[3] الفاخرة، بل بذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن هذا الواجب، فإنه البحر الذى لا يدرك غوره، وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم من إشرافه، وما أحاط[4] أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون فى العلم من الأصفياء على اختلاف درجاتهم بحسب قوة حالاتهم، وتفاوت تقدير الله فى مراتب عناياتهم، وهذا هو العلم المكنون، لا يبسط[5] فى الكتب، وإنما يعين على التنبه له التعليم، ومشاهدة أحوال علماء الآخرة، ويعين عليه فى آخر الأمر المجاهدة، والرياضة وتصفية القلب، وتفريغه من علائق الدنيا وعوائقها والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء بالقطع عن حدائقها، ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد، ولا غنى فيه عن الاجتهاد، فإن المجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها.

ثم أعلم أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ، تولاها الخلفاء الراشدون[6] المهديون، فكانوا أئمة علماء بالله تعالى، فقهاء فى أحكامه ومشتغلين بالفتاوى فى الأقضية،

---

(١) النووى (٦٣١ ـ ٦٧٦) هـ = ١٢٣٣ ـ ١٢٧٧م) هو يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامى الحوراني، النووى، الشافعى، أبو زكريا، محيى الدين علامة بالفقه والحديث. له الكثير من المؤلفات منها: المنهاج فى شرح صحيح مسلم ورياض الصالحين وغيرها. مولده ووفاته فى نوا (من قرى حوران بسوريا) الأعلام ١٤٩/٨ ـ ١٥٠، طبقات الشافعية للسبكى ١٦٥/٥.

(٢) فى الأصل «لنفسه» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) فى الأصل «وذخائر» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٤) فى الأصل «خاطر» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٥) فى الأصل «أبسطه» وهو تحريف والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة.

(٦) فى الأصل «الراشدين» وهو تحريف ويخالف قواعد اللغة والصحيح ما أثبته.

فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا ما ورد فى وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على المولى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم.

فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء واستصحابهم فى جميع أحوالهم لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم فى أفعالهم وأقوالهم. وقد كان بقى من العلماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول فى اليقين وملازم صفوة[١] الدين ومواظب على سمت السلف الصالحين، وكانوا إذا طلبوا أعرضوا وهربوا، فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح (فى)[٢] طلبهم لتولية القضاء والحكومات.

فرأى أهل تلك الأعصار من[٣] العلماء فى الأمصار إقبال الأئمة والولاة عليهم، مع إعراضهم عنهم وعدم التفاتهم إليهم، فأشربوا، فطلب العلم توصلا إلى نبل العز وطلب الجاه من قبل الولاة، فأكبوا على علم الفتاوى، وعرضوا أنفسهم على الولاة، وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلاة لديهم، فمنهم من حرم ومنهم من تبجح[٤]، فالمتبحح لم يخل من ذل الطلب ومهانة التبذل، فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين، وبعد أن كانوا أعزة بالاعراض عن السلاطين، أذلة بالإقبال عليهم، إلا من بغضه الله تعالى فى كل عصر من علماء الدين، وقد كان أكثر الإقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها فى الولايات والحكومات، ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد، ومالت نفسه إلى سماع الحجج وما فيها من الفوائد فقلبت رغبته إلى المناظرة والمجادلة فى الكلام، فانكب الناس على علم الكلام وما يتعلق به[٥] من الأحكام،

---

(١) فى الأصل «صفو» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.
(٢) فى الأصل «إلى الإلحاح طلبهم» بدون حرف الجر «فى» والصحيح إثباتها ليستقيم المعنى.
(٣) فى الأصل «عن» وهو تحريف والصحيح ما أثبته.
(٤) فى الأصل «أحج» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.
(٥) فى الأصل «بها» وهو تحريف والصحيح ما أثبته.

وتركوا سائر أحكام الإسلام واستمرسوا فنون المناقضات وأصناف المفاوضات فى المقالات، وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله وقمع البدعة والتدافع عن السنة، كما زعم من قبلهم أن غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد أحكام المرسلين إشفاقا[١] على خلق الله ونصيحة لهم، ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام، وقبح فتح باب المناظرة فى ذلك المرام لما كان قد تولد فى فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة من العناد المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد وسائر أنواع الفساد فيما بين العباد ومالت نفسه إلى المناظرة[٢] فى الفقه وبيان الأولى من مذهب أبى حنيفة[٣] والشافعى[٤] على الخصوص.

فترك الناس الكلام وفنون علوم الإسلام، وانسالوا[٥] على المسائل الخلافية بين الحنفية والشافعية، وتساهلوا فى الخلاف مع المالكية والحنبلية، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع واستخراج حقائق الأصل والفرع، وتقرير علل المذاهب وأدلتها، وتمهيد أصول الفتاوى وتتمتها، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات وزينوا فيها أنواع المجادلات.

قال حجة الإسلام[٦]: وهم مستمرون عليه إلى الآن، ولست تدرى، ما الذى يحدثه[٧] الله فيما بعد من الأعصار فى الأمصار، ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى

---

(١) فى الأصل «شفاقا» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٢) فى الأصل «الناظرة» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) هو: النعمان بن ثابت التيمى بالولاء، الكوفى أبو حنيفة (٨٠ - ١٥٠هـ = ٦٩٩ - ٧٦٧م) وهو إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد ونشأ بالكوفة ومات وهو محبوس، لأنه رفض المنصب الذى ولاه إياه المنصور العباسى، وهو القضاء على بغداد فسجنه إلى أن مات. له «مسند - ط» فى الحديث جمعه تلاميذه، و«المخارج - خ» فى الفقه، صغير، رواه عنه تلميذه أبو يوسف. الأعلام ٣٦/٨، تاريخ بغداد ٣٢٣/١٣ - ٣٢٤.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) فى الأصل «وانسألوا» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) فى الأصل يحدث وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

الخلاف مع إمام آخر وإلى علم آخر لمالوا أيضا معهم وزعموا أن ما اشتغلوا به هو من علم الدين، وأن لا مطلب لهم إلا التقرب إلى رب العالمين، ثم قاسوا الملوك بالحدادين، وظنوا أن عادة الصحابة فى مشاوراتهم، كتشاورهم فى مسألة الحد والآخرة، وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ كما نقل من إلقاء المرأة جنينها خوفا من عمر، وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها، وما نقل عن مالك والشافعى ومحمد بن الحسن وأبى يوسف وغيرهم من العلماء فى محاوراتهم.

وقد رؤى الثورى[(١)] حزينا، فقيل له: مالك!!! فقال صرنا[(٢)] متجرا لأبناء الدنيا؛ يلزمنا أحدهم، حتى إذا تعلم، جعل عاملا وقاضيا أو قهرمانا.

وقد ذكرناانذرا يسيرا فى:

فضل العلم. وميزنا بين العلوم المحمودة والمذمومة فى شرح عين العلم.

سادسا: آداب المعلم:[(٣)]

بقى بعض الآداب اللازمة[(٤)] لأولى الألباب منها:

تصحيح النية فى جميع الأبواب من العبادات والمعاملات بحديث: إنما الأعمال بالنيات.[(٥)]

وتقديم طهارة النفس عن الأخلاق الرديئة والأفعال الذليلة[(٦)]، فقد ورد: «من طلب علما مما يبتغى به وجه الله، ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة أى ريحها». رواه أبو داود وابن ماجة بإسناد جيد.[(٧)]

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) فى الأصل (حزنا) وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) هذا العنوان من عندى حيث أنه يناسب المقام.

(٤) فى الأصل «واللازم» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٥) جزء من حديث ورد فى صحيح البخارى، جـ١، باب كيف كان بدء الوحى، ص٢٠ حدثنا عبد الله بن مسلمة قال: أخبرنا مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم عن علقمة بن وقاص عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

(٦) فى الأصل «الدليلة» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٧) انظر: الحلية لأبى نعيم ١٠/٢٩٠.

وقال بعض المحققين: معنى قولهم: «تعلمنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا الله»: أن العلم أبى وامتنع علينا ولم تتكشف حقيقته لدينا، وإنما وصل حديثه وألفاظه إلينا، والظن[1] أن معناه أنا تعلمنا لغير[2] الله فأبى العلم شرفه أن يكون إلى الله، فببركة العلم حصل تصحيح العمل، وهذا خالص لجميع (من)[3] جذبتهم العناية الإلهية، وأخلصتهم[4] من التعلق بالأمور[5] الملاهية؛ وإنما يكون هذا نتيجة علم الكتاب والسنة دون سائر العلوم المحدثة لأصل البدعة.

قال بعض أهل العلم[6] ببطلان النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وحققه أصحابها.

ومنها أن يقلل العلائق والعوائق والتعلق بالخلائق، فإنها شاغلة ومانعة عن خدمة الخالق (و) «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه[7]»، وكذا قيل: «العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت من اعطائه إياك بعضه على خطر».

ومنها أن لا يتكبر على العلم ويتواضع للمتعلم.

قال الشعبى[8]: صلى زيد بن ثابت[9] على جنازة، فقربت إليه بغلة ليركبها فجاء

---

(١) فى الأصل «والنظر» وهو تحريف والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى.
(٢) فى الأصل «بغير» وهو تصحيف والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى.
(٣) ما بين المعكوفين من عند المحقق لسلامة المعنى.
(٤) فى الأصل «وأخلصتم» وهو تحريف والصحيح ما أثبتناه.
(٥) فى الأصل «من الأمور» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.
(٦) فى الأصل «الظن» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.
(٧) سورة الأحزاب، آية (٤).
(٨) الشعبى (٠٠٠ ـ ٤٩٩هـ = ١١٠٦م) هو: عبد الرحمن بن قاسم الشعبى، أبو المطرف: قاضى مالقة (بالأندلس) كانت تدور عليه الفتيا بقطره أيام حياته. وكان يذهب إلى الاجتهاد. له «مجموع» فى الأحكام. الأعلام ٣/٣٢٣ تهذيب التهذيب ١/٢٥٤.
(٩) هو: زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجى (١١ ق هـ ـ ٤٥هـ = ٦١١ ـ ٦٦٥م).
صحابى من أكابرهم. كان كاتب الوحى ولد فى المدينة ونشأ بمكة. هاجر مع النبى ﷺ وهو ابن ١١ سنة، وتعلم وتفقه فى الدين، فكان رأسا بالمدينة فى القضاء والفتوى والقراءة والفرائض. وكان أحد الذين جمعوا القرآن فى عهد النبى ﷺ من الأنصار، وعرضه عليه. وهو الذى كتب فى المصحف لأبى بكر، ثم لعثمان حين جهز المصاحف إلى الأمصار. له فى كتب الحديث ٩٢ حديثا. الأعلام ٣٠/٥٧، صفة الصفوة ١/٢٩٤.

ابن عباس(1) فأخذ بركابه، فقال زيد: خل عنك يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء، فقبل زيد ابن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ كذا فى الإحياء.

وقال العراقى ذكره الحاكم والبيهقى(2) فى المدخل، أنهم قالوا: هكذا نفعل قال الحاكم: صحيح الاسناد على شرط مسلم.

وقد قيل: العلم حرب للمتعال

كالسيل حرب للمكان العالى

ومنها أن يعمل بعلمه. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾.(3)

وقال عليه السلام: «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم (لم)(4) ينفعه الله بعلمه»(5) الطبرانى(6) والبيهقى، وقال: «لا يكون المرء عالما(7) حتى يكون عاملا»(8) ابن حبان.(9)

وقال أسامة بن زيد(10): سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور كما يدور الحمار بالرحا، فيطوف به أهل النار

---

(1) سبقت ترجمته.

(2) سبقت ترجمته.

(3) سورة الصف آية (2).

(4) ما بين المعكوفين زيادة من عندى سقطت من المخطوطة.

(5) رواه الطبرانى وابن عدى وابن ماجه عن أبى هريرة وسكت عنه العجلونى فى كشف الخفاء جـ1/131، وأشار السيوطى فى الصغير إلى ضعفه جـ1/136.

(6) الطبرانى. سبقت ترجمته.

(7) فى المخطوطة «عالم» وهو تصحيف ولحن واضح، لأن عالم خبر كان.

(8) حديث لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا: ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء، والبيهقى فى المدخل موقوفا على أبى الدرداء، ولم أجده مرفوعا هكذا ذكره العراقى بالاحياء. الجزء الأول. بهامش صفحة 98.

(9) ابن حبان: سبقت ترجمته.

(10) هو: أسامة بن زيد بن حارثة من كنانة عوف، أبو محمد: (7 ق هـ - 54هـ = 615 - 674م) وهو صحابى جليل. ولد بمكة، ونشأ على الإسلام (لأن أباه كان من أول الناس إسلاما) وكان رسول الله ﷺ يحبه حبا جما، وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين، هاجر مع الرسول ﷺ إلى المدينة وأمره رسول الله قبل أن يبلغ العشرين من عمره. له فى كتب الحديث 128 حديثا، الأعلام 1/291.

فيقولون: مالك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه[1]»، متفق عليه.

ولعل هذا الحديث مقتبس من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.[2]

أبلغ من هذا قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ إلى أن قال: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾.[3]

الآية، أى سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات ويحرص إلى اللهوات. قال سفيان الثورى:[4] «يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل».

ومنها: أن يكون حريصا على طلب زيادته لقوله تعالى: ﴿وقل رب زدنى علماً﴾.[5]

ولقوله عليه السلام: «... لا بورك لى فى يوم لا أزداد[6] فيه علما»[7] ولقولهم: «من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان، ومن استوى يوما فهو مغبون» وقال ابن المبارك[8]: «لايزال المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد[9] علم فقد جهل»

---

(١) رواه مسلم. ك الزهد، باب (٧) جـ ٢، ص٣٩٠.
كما أكد هذه الرواية العراقى فى تعليقه بهامش الاحياء الجزء الأول صفحة ١٠٠ أكد العراقى ان الاتفاق على ان الرواية المتفق عليها «يؤتى بالرجل...» بدل العالم حيث وردت بالاحياء بلفظ العالم.

(٢) سورة الجمعة، آية (٥).

(٣) نص الآية: «واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون» الأعراف، الآيات (١٧٥ ـ ١٧٦).

(٤) سفيان الثورى سبقت ترجمته.

(٥) سورة طه، آية (١١٤).

(٦) فى الأصل «زداد» وهو تصحيف. والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى.

(٧) ورد فى الفوائد المجموعة للشوكانى بلفظ: إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما فلا بورك فى طلوع شمس ذلك اليوم» ثم قال الشوكانى رحمه الله: رواه الطبرانى فى الأوسط عن عائشة مرفوعا. وفى إسناده وضاع الفوائد. ص٢٧٥.

(٨) ابن المبارك سبقت ترجمته.

(٩) فى الأصل «فقد» وهو تصحيف والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى.

ويؤيده حديث: «منهومان لا يشبعان: طالب العلم وطالب الدنيا».[1]

ومنها: التباعد عن مصاحبة أهل الدنيا والتسارع[2] بمرافقة أهل العقبى.

قال الفضيل[3]: «إنى لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغنى قوم افتقر، وعالما يلعب به الجهال الحمقى أبناء الدنيا».[4]

وقيل ليحيى بن معاذ الرازى:[5] «متى يذهب بهاء العلم والحكمة؟ قال: إذا طلبت[6] الدنيا بهما».

وقال عمر[7] رضى الله عنه: «إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه (فى)[8] دينه فإن كل محب يخوض فيما أحب».

قلت[9]: ويؤيده حديث: «من أحب شيئا[10] ذكره[11] «وقال سعيد بن المسيب[12] : «إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص».[13]

---

(١) «منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا» رواه ابن عدى عن أنس والبذار عن ابن عباس، وأشار السيوطى ٥٦٧/٢ إلى ضعفه.

(٢) فى الأصل «والتساعد» وهو تصحيف والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى.

(٣) الفضيل سبقت ترجمته.

(٤) هذا الحديث رواه الديلمى. وهو موضوع. فى أسانيده كذابون ومجهولون.
انظر الفوائد المجموعة للشوكانى. ص٢٧٨. هذا كما قال العجلونى: روى بسند فيه منكر. انظر: كشف الخفاء ١١٥/١٠.

(٥) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى أبو زكريا واعظ زاهد لم يكن له نظير فى وقته، من أهل الرأى، أقام ببلخ ومات فى نيسابور. من أقواله «من خان الله فى السر، هتك الله ستره فى العلانية» الأعلام ١٧٢/٨.

(٦) فى الأصل طلب وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) ما بين المكوين من عندى ليستقيم المعنى.

(٩) المقصود «المؤلف».

(١٠) فى الأصل «شىء» والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(١١) حديث: «من أحب شيئا ذكره» رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن عائشة رضى الله عنها وأشار السيوطى فى جامعه إلى ضعفه ٤٧٨/٢.

(١٢) هو: سعيد بن المسيب بن حزن (١٣ - ٩٤هـ = ٦٣٤ - ٧١٣م) وهو سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاء. توفى بالمدينة الأعلام ١٠٢/٣.

(١٣) هكذا ذكره الغزالى فى الأحياء. الجزء الأول. ص١٠٢.

شعر:

عجبت لبياع الضلالة بالهدى

ومن يشترى دنياه بالدين اعجب

واعجب من هنين من باع دينه

سواء ذاك من ذين اعجب

ومنها: أن لا يطلب الدنيا بعلمه، لما قدمناه، ولأن أقبل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرافها وعظم الآخرة وعزتها وصفائها ودوامها، ويعلم أنهما متضادتان كالضرتين، مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وككفتى الميزان مهما رجحت احداهما خفت الأخرى وكالمشرقين فمتى قربت من احداهما بعدت عن الثانى، وكقدحين أحدهما مملوء فبقدر ما تصب منه فى الأخرى حتى يمتلىء، يفرغ من الآخرة، كما نبه على هذا الأمر قوله عليه السلام:

«من أحب آخرته أضر[١] بدنياه، ومن أحب[٢] دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى» كذا رواه أحمد[٣] والحاكم عن أبى موسى[٤]. ثم من لا يعرف حقارة الدنيا وخساستها وانقلاباتها وامتزاج لذاتها بآلامها وكدوراتها ثم انصرام ما يصفوفى بعض حالاتها، فهو فاسد العقل فيما هنالك، فإن المشاهدة والتجربة ترشد[٥] إلى ذلك.

فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظمة الآخرة ونفاستها ودوامها، فهو كافر مسلوب الإيمان، فكيف (يكون)[٦] من العلماء من لا إيمان له، ومن

---

(١) فى الأصل «آخر» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٢) فى الأصل «حب» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) أبو موسى الأشعرى (٢١ ق هـ - ٤٤ هـ = ٦٠٢ - ٦٦٥م) هو عبد الله بن قيس ابن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى، من بنى الأشعر، صحابى جليل، من الشجعان، الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضى بهما على ومعاوية بعد حرب صفين. ولد فى زبيد «باليمن» وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، كان أحسن الصحابة صوتا فى التلاوة له ٣٥٥ حديثا. الأعلام ١١٤/٤.

(٥) فى الأصل «تراشد» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٦) ما بين المعكوفين من عند المحقق ليستقيم السياق.

لا يعلم مضارة الدنيا للعقبى، وأن الجمع بينهما طمع فى غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء، كلهم، بل هو كافر بالقرآن من أوله إلى آخره.

فكيف يعد من زمرة العلماء من علم هذا كله، ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا، فهو أسير الشيطان، وقد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته، فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته.

وفى أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى: «ان أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى. يا داود لا تسأل عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى، أولئك قطاع الطريق على عبادى».

يا داود: «إذا رأيت (لى)[1] طالبا فكن له خادما، يا داود من رد إلى هاربا كتبته جهبذا[2] (ومن كتبته جهبذا) لم أعذبه أبدا».[3] ولذا قال الحسن (رحمه الله)[4] «عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل العقبى»[5] (الآخرة)[6] وكان يحيى بن معاذ (الرازى رحمه الله)[7] يقول لعلماء الدنيا «يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وأثوابكم طالوتيه (ظاهرية)[8]وأخفافكم جالوتيه، ومراكبكم قارونية، وأوانيكم فرعونية، ومآثمكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية، فأين المسالك (الشريعة)[9] المحمدية والمسالك الأحمدية[10] ثم لا يظن أن ترك المال يكفى للحوق بعلماء الآخرة فى الحال والمال[11]، فإن (محبة)[12] الجاه أضر من

(١) ما بين المكوفين نقلا عن رواية الاحياء الجزء الأول الصفحة ١٠١.
(٢) ما بين المكوفين وفقا لرواية الأحياء الجزء الأول الصفحة ١٠٢.
(٣) هذا الخبر الذى حكاه داود عليه السلام عن المولى عز وجل مذكور تقريبا بنفس النص فى كتاب الاحياء مع تغيير طفيف فى بعض الألفاظ التى لا تخل بجوهر المعنى وقد أشرت إلى بعضها.
(٤) ما بين المكوفين وفقا لرواية الاحياء المشار إليها بالصفحة ١٠٢، الجزء الأول.
(٥) تلك الرواية عن الحسن رضى الله عنه ذكرت فى الاحياء (المشار إليه) صفحة ١٠٢.
(٦) ما بين المكوفين وفقا لرواية الاحياء الجزء الأول الصفحة ١٠٢.
(٧) ما بين المكوفين وفقا لرواية الاحياء الجزء الأول الصفحة ١٠٢.
(٨) ما بين المكوفين كرواية الاحياء (ظاهرية) بدلا من (طالوتية) كنص المخطوطة.
(٩) ما بين المكوفين كرواية الاحياء (الشريعة) بدلا من (المسالك) كنص المخطوطة.
(١٠) خلت رواية الاحياء من (والمسالك الاحمدية).
(١١) جملة (فى الحال والمال) لم ترد ضمن رواية الأحياء.
(١٢) خلت رواية الاحياء من لفظه (محبة) التى جاءت بالمخطوطة.

المال[1]» وكذا قال بشر: «حدثنا باب من أبواب الدنيا، فإذا سمعت الرجل يقول: «حدثنا» فإنما يقول: أوسعو إلى».[2]

وقال الثورى: «فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد».[3]

وقال سهل[4]: «...[5] الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء سكارى إلا العاملين[6] والعاملون[7] كلهم معزورن إلا المخلصين، والمخلص على وجل حتى يدرى بما يختم[8] له به...» وفى رواية والمخلصون على خطر عظيم، وهو انقلاب الاخلاص رياء ونفاقا.

وقال بعض المحققين: خطره أن يظن أن إخلاصه بإخلاص نفسه، ولذا قيل: مرتبة المخلصين بفتح اللام أعلى من منزلة المخلصين بكسرها. وقد[9] قرئ بالوجهين فى السبعة قوله تعالى: ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾.[10]

وكأن فى القراءتين تنبيها على الحالتين والنسبتين من المعنى المجازى الكسبى والحقيقى الوهبى، كما حقق فى قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾.[11]

---

(1) هذه الرواية عن يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله مذكورة فى الاحياء مع اختلاف طفيف فى اللفظ أشرت إليه سابقا.

(2) هذه الرواية عن بشر مذكورة بنصها فى الاحياء الجزء الأول الصفحة ١٠٢.

(3) هذه الرواية عن الثورى مذكورة فى الاحياء الجزء الأول الصفحة ١٠٢، وزيد عليها: «وكيف لا تخاف فتنة وقد قيل لسيد المرسلين ﷺ : «ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلاً» انظر: الاحياءالجزء الأول. ص١٠٢.

(4) سهل بن سعد (٠٠٠ ـ ٩١هـ = ٠٠٠ ـ ٧١٠م) وهو: سهل بن سعد الخزرجى الأنصارى من بنى ساعدة (صحابى) من مشاهيرهم، من أهل المدينة عاش نحو مائة سنة، له فى كتب الحديث ١٨٨ حديثا. الأعلام ١٤٣/٣.

(5) رواية سهل كما ذكرها الاحياء الجزء الأول الصفحة ١٠٣ بها زيادة فى أولها «وقال سهل رحمه الله: العلم كله دنيا، والآخرة منه العمل به، والعمل كله هباء إلا الاخلاص: وقال: الناس كلهم... إلخ» كما أشارت المخطوطة إلى نهاية الرواية.

(6) فى الأصل «العالمين» وما ذكرته نقلا عن الاحياء (المرجع السابق) هو المناسب للسياق.

(7) فى الأصل «والعالمون» وما ذكرته نقلا عن الاحياء. (المرجع السابق) تستقيم به العبارة.

(8) فى الرواية ذاتها التى جاءت فى الاحياء المرجع السابق «حتى يدرى ماذا يختم له به».

(9) فى الأصل «وان» وما أثبته هو المناسب للمعنى.

(10) سورة يوسف، آية (٢٤).

(11) سورة الأنفال، آية (١٧).

وهذا مرتبة جمع الجمع التى هى نهاية المقصد الأقصى من المنزلة الأسنى.

وقال أبو سليمان الدارانى[1]: «إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا، وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية وطيب[2] الحديث الذى لا يحتاج (إليه)[3] إلا فى طريق الآخرة.[4]

وقال بعض السلف: «العلماء يحشرون فى زمرة[5] الأنبياء، والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين، والأمراء فى معنى القضاة، كل فقيه يقصد بعلمه الجاه والمال».[6]

وروى أنه حمل إلى الحسن رجل من خراسان كيسا بعد انصراف الحسن من مجلسه، فيه خمسة آلاف درهم، وعشرة أثواب من دقيق البر وقال: «يا أبا سعيد[7]: هذه نفقة وهذه كسوة». فقال الحسن: «عافاك الله (تعالى)[8] ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك، انه من جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا، لقى الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق (له).[9]

ومنها: أن يكون غير مائل إلى الترفه فى المطعم والمشرب والتنعم فى المجلس والتجمل فى الأثاث والمسكن، بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك، ويتشبه بالسلف الصالح (رحمهم الله تعالى)[10] فيما هنا لك (ويميل إلى الاكتفاء بالأقل فى جميع

---

(١) أبو سليمان الدارانى (٠٠٠ ـ ٢١٥هـ = ٠٠٠ ـ ٨٣٠هـ) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى المذحجى، أبو سليمان: زاهد مشهور، من أهل «داريا» (بغوطة دمشق) رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفى فى بلده. كان من كبار المتصوفين. له أخبار فى الزهد من كلامه: «خير السخاء ما وافق الحاجة» الأعلام ٢٩٣/٣ ـ ٢٩٤.

(٢) جاء فى الاحياء «أو طلب الحديث».

(٣) ما بين المعكوفين من عند المحقق ليستقيم المعنى.

(٤) جاء فى الاحياء «فى طلب الآخرة» انظر: الاحياء الجزء الأول. ص١٠٣.

(٥) فى الأصل «فرة» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٦) حديث: «العلماء يحشرون فى زمرة الأنبياء، والقضاه يحشرون فى زمرة... إلخ» قال الصنعانى: «موضوع» انظر: «كشف الخفاء» جـ٢، ص٦٥.

(٧) المقصود بأبى سعيد «كنية» الحسن البصرى.

(٨) ما بين المعكوفين زيادة كرواية الاحياء. الجزء الأول ص١٠٥.

(٩) ما بين المعكوفين زيادة يستقيم بها المعنى كرواية الاحياء. المرجع السابق.

(١٠) ما بين المعكوفين وارد بالاحياد. المرجع السابق.

ذلك) وكلما ازداد إلى طرف القلة ميله ونهمته ازداد من الله تعالى قربه ومنزلته، وارتفع فى علماء الآخرة درجته. ويشهد لذلك ما يحكى عن أبى عبد الله الخواص[1]،، وكان من أصحاب حاتم الأصم[2] قال: «دخلت مع حاتم إلى الرى، ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلا نريد الحج، وعليهم المرقعات[3] وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين، فأضافنا تلك الليلة، فلما كان من الغد، قال لحاتم: ألك حاجة؟ فإنى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل، فقال حاتم: عيادة المريض فيها فضل، والنظر إلى الفقيه عبادة، فأنا أيضا أجىء معك، وكان العليل: محمد بن مقاتل قاضى الرى، فلما جئنا (إلى)[4] الباب، فإذا هو مشرف حسن[5]، فبقى حاتم متفكرا يقول[6]: باب عالم على هذه الحالة!!! ثم أذن لهم فدخلوا، فإذا دار (حسناء قوراء، واسعة نزهة، وإذا بزة[7] وستور) فبقى حاتم متفكرا، ثم دخلوا إلى المجلس الذى هوفيه، وإذا بفرش (وطيئة)[8] وهو راقد عليها، وعند رأسه غلام وبيده مذبة[9]، فقعد الزائر[10] (عند رأسه)[11] وسأل عن حاله،

---

(1) (لعله) إبراهيم الخواص (٠٠٠ ـ ٢٩١هـ) = (٠٠٠ ـ ٩٠٤م) هو: إبراهيم ابن أحمد بن إسماعيل، أبو اسحاق الخواص: صوفى، كان أوحد المشايخ فى وقته. من أقران الجنيد. ولد فى «سُرَّ من رأى» ومات فى جامع الرى. قال الخطيب البغدادى: له «كتب» مصنفه. والخواص: بائع الخوص. الأعلام ٢٨/١.

(٢) حاتم الأصم (٠٠٠ ـ ٢٣٧ = ٠٠٠ ـ ٨٥١م) هو: حاتم بن عنوان، أبو عبد الرحمن، المعروف بالأصم: زاهد، اشتهر بالورع والتقشف. له كلام مدون فى الزهد والحكم. من أهل بلخ. زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل. وشهد بعض معارك الفتوح. مات بواشجرد. وكان يقال: حاتم الأصم لقمان هذه الأمة. الأعلام ١٥٢/٢، تاريخ بغداد ٢٤١/٨.

(٣) جاء فى الاحياء «وعليهم الزرمانقات» انظر الاحياء جـ١، ص١١٢.

(٤) ما بين المعكوفين زيادة تناسب المقام كما جاء فى الاحياء.

(٥) جاء فى الاحياء (فإذا قصر مشرف حسن).

(٦) فى الأصل (القول) والصحيح ما أثبته كما هو رواية الاحياء. المرجع السابق.

(٧) فى الأصل «فإذا دار بزراء وبن وبيمة وستور» وهو تصحيف واضح والصحيح ما أثبته وهو كرواية الاحياء. المرجع السابق.

(٨) فى الأصل «وطب» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته كرواية الاحياء. المرجع السابق.

(٩) فى الأصل ندية وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليناسب المقام.

(١٠) فى الأصل «الرازى» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليناسب المقام.

(١١) ما بين المعكوفين زيادة تناسب المقام كما ورد فى رواية الاحياء، المرجع السابق.

وحاتم قائم على حياله[1]، فأوما (إليه)[2] ابن مقاتل أن اجلس، فقال: لا أجلس، فقال: لعل لك حاجة فقال: نعم، فقال: ما هى؟ فقال: مسألة أسألك عنها، قال سل، قال: قم (فاستو جالسا)[3] حتى أسألك عنها، فاستوى (جالسا)[4] فقال حاتم: «علمك هذا من أين أخذته؟ فقال: «من الثقاة[5] حدثونى به» «قال: «عمن؟» قال: «عن أصحاب رسول الله ﷺ» قال: «وأصحاب رسول الله عمن؟» قال: «عن رسول الله ﷺ» قال: ورسول الله عمن.؟ قال: «عن جبريل عن الله عز وجل» قال حاتم: «فطالما[6] أداه جبريل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله ﷺ، وأداه رسول الله إلى أصحابه، وأصحابه إلى الثقاة، وأداه الثقاة إليك، هل فيما سمعت من كان فى داره إسراف وكانت سعتها أكثر، كان له عند الله المنزلة أكبر؟» قال: «لا» قال: «كيف سمعت؟» قال: «سمعت من زهد فى الدنيا ورغب فى العقبى وأحب المساكين وقدم لآخرته (كانت)[7] له عند الله المنزلة.

قال له حاتم: «وأنت بمن اقتديت؟ (أبالنبى) ﷺ وأصحابه والصالحين من أحبابه، أم بفرعون ونمروز[8] وأحزابه؟ يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول: العالم على هذه الحالة (أفلا أكون أناشرا منه)[9] وخرج من عنده.

---

(١) فى الأصل «خياله» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليناسب المعنى.

(٢) ما بين المكوفين زيادة كما جاء فى رواية الاحياء، مرجع سابق.

(٣) فى الأصل «واستو» بدون «جالسا» والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى كما جاء فى رواية الإحياء. المرجع السابق.

(٤) ما بين المكوفين زيادة وافقت المعنى وهو وفقا لما جاء بالاحياء. المرجع السابق.

(٥) فى الأصل «الثقات» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٦) فى الأصل «ففيما» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٧) فى الأصل «كان» وهو تحريف والصحيح ما أثبته.

(٨) «نمروز» هو أول من بنى بالجص والآجر.

(٩) فى الأصل «لا أكون ناشرا منه» وهو تصحيف واضح والصحيح ما أثبته ليناسب المقام وهو كرواية الاحياء. المرجع السابق.

فلما دخل حاتم بغداد، اجتمع إليه (أهل بغداد)[1] فقالوا: «يا أبا عبد الرحمن انت رجل (ألكن)[2] أعجمى (وليس)[3] يكلمك أحد إلا قطعته»

قال: «معى ثلاث خصال أظفر بهن على خصمى: أفرح إذا أصاب خصمى، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسى أن لا (أجهل)[4] عليه» فبلغ ذلك أحمد بن حنبل[5] فقال «سبحان الله ما أعقله!!! قوموا بنا إليه» فلما دخلوا عليه قال أحمد: يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا؟ قال: يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى تكون معك أربع خصال: تغفر للقوم جهلهم، وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا، فإذا كنت هكذا سلمت من الدنيا.

وفى سير السلف فى البذاذة[6] وترك التجمل ما يشهد لذلك، والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام، ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه، واستدامة الزينة لا تمكن إلا بمباشرة أسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصى من المداهنة فى الحق ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخر هى مخطورة، فالحزم اجتناب ذلك، لأن من خاض فى الدنيا لا يسلم منها البتة هنالك، ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ فى ترك الدنيا حتى نزع القميص[7] المطرز بالعلم[8] كما فى الصحيحين «ونزع خاتم الذهب فى أثناء الخطبة».[9]

---

(١) فى الأصل «أهله» وهو تحريف والصحيح ما أثبته وفقا لرواية الاحياء جـ ١ ، ص١١٣.

(٢) فى الأصل «لكن» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته وفقا لرواية الاحياء جـ ١، ص١١٣.

(٣) فى الأصل «ليس» وما أثبته «بالواو» نقلا عن رواية الاحياء جـ ١، ص١١٣.

(٤) فى الأصل «يجهل» والصحيح ما أثبته وفقا لرواية الاحياء، ص١١٣.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) بذ يبذ بذذا وبذاذة وبذوذة بمعنى: رثت هيئته وساءت حالته. فالبذاذة = رثاثة الهيئة، وهى ترك مداومة الزينة. انظر: لسان العرب. بذذ وقد وردت الكلمة فى الأصل (البذارة) وهو تحريف والصحيح ما أثبته.

(٧) فى الأصل الخميص وهو تحريف والصحيح ما أثبته وفقا لرواية الاحياء جـ١ ص١١٤.

(٨) العلم خيط ملون.

(٩) ما بين المعكوفين زيادة وفقا لرواية الاحياء جـ ١، ص١١٤.

وقد حكى أن يحيى أن يزيد النوفلى كتب إلى مالك بن أنس[1] بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد وآله فى الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس.

أما بعد: فقد بلغنى أنك تلبس الدقاق، وتأكل الرقاق، (وتجلس على الوطئ[2]) وتجعل على بابك حاجبا، وقد جلست (مجلس العلم)[3] وقد ضربت إليك المطىّ، وارتحل إليك الناس، واتخذوك إماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع. كتبت إليك بالنصيحة منى كتابا ما اطلع عليه غير الله سبحانه والسلام.

فكتب إليه مالك: بسم الله الرحمن الرحيم. من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد: سلام الله عليك. أما بعد: فقد وصل إلى كتابك فوقع منى موقع النصيحة فى الشفقة والأدب، أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا، وأسأل الله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فأما ما ذكرت لى فى أكل الرقاق ولبس الدقاق، وأحتجب وأجلس على الوطاء، فنحن نفعل ذلك، ونستغفر الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.[4]

وإنى لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه، ولا تُرعِنَا من كتابك فلسنا تُرعِك من كتابنا[5] والسلام.

فانظر إلى انصاف مالك مع جلالة مفاسد هنالك بحيث اعترف بأن ترك ذلك خير منه، وأفتى بأنه مباح، وقد صدق فيها جميعا.

ومثل مالك فى منصبه إذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف فى مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود الله حتى لا يحمله ذلك على

---

(١) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحى الحميرى، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية من مؤلفاته: الموطأ ـ ط وله رسالة فى الوعظ. وقد عاش من (٩٣ ـ ١٧٩هـ = ٧١٢ ـ ٧٩٥م) الأعلام ٥/٢٥٧.

(٢) فى الأصل وتأكل الرقاق على الموطأ والصحيح ما أثبته وفقا للاحياء جـ١، ص١١٤.

(٣) فى الأصل مجلسا للعلم وما يوافق اللغة ما أثبته وفقا لرواية الاحياء، ص١١٤.

(٤) سورة الأعراف، آية (٣٢)

(٥) معنى عبارة «ولا تدعنا من كتابك فلسنا نرعك من كتابنا» معناها ذكرنى وأذكرك.

المداهنة والمراءاة[1] والتجاوز إلى المكروهات، وأما غيره فلا يقدر عليه، فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم، وهو بعيد من الخوف والخشية. وخاصية العلماء الخشية، وخاصية الخشية التباعد عن مظان الحظر.

ومنها أن يكون شيئا مستعصيا (عن)[2] السلاطين، فلا يدخل عليهم البتة، مادام يجد إلى الفرار منهم سبيلا، بل ينبغى أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة، وزمامها بأيدى السلاطين والظلمة، والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف (فى طلب)[3] مرضاتهم واستمالة قلوبهم فى تزيين حالاتهم مع أنهم ظلمة فى حكوماتهم ويجب على كل متدين أن ينكر عليهم، ويضيق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم، فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه، أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا لهم، أو يتكلف فى كلامه لمرضاتهم وتحسين حالاتهم وذلك هو البهت الصريح، أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت الفضيح.

ومنها أن لا يعامل كل منسوب إلى ظلم، فلا يعامله، وكذا الأجناد والظلمة لا يعاملهم البتة، ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم لأنه يكون معينا لهم بذلك على الظلم. كذا فى الاحياء.

وحكى عن رجل أنه تولى عمل سور بعمارة ثغر من الثغور قال: فوقع فى نفسى من ذلك الشىء، وإن كان ذلك العمل من الخيرات، بل من فرائض الإسلام لكن كان الأمير الذى تولى عن جهته من الظلمة، قال: فسألت سفيان[4]، فقال: لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير. قلت: هذا سور فى سبيل الله للمسلمين، فقال: نعم، ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب لقاءهم ليوفوك أجرك، فتكون قد أحببت لقاء من يعصى الله. وقد جاء عن الحسن: «من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله

---

(١) فى الأصل والمرايات وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليوافق السياق.

(٢) فى الأصل (على) وما أثبته يناسب السياق اللغوى وهو يوافق رواية الاحياء، جـ ١ ، ص١١٥.

(٣) ما بين المعكوفين زيادة وفقا لرواية الاحياء جـ١، ص١١٥، وهى تناسب السياق.

(٤) سبقت ترجمته.

في أرضه»[1] وعنه عليه السلام: «إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق» ابن أبى الدنيا وغيره من حديث عائشة.

وقد أدخل سفيان الثورى على المهدى[2] وبيده درج أبيض فقال: يا سفيان أعطنى الدواة حتى أكتب مقالا فقال: أخبرنى أى شىء تكتب، فإن كان حقا أعطيتك، وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.[3]

ومن هذا القبيل أن بعض الأمراء طلب من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طينا ليختم بالكتاب فقال: ناولنى الكتاب حتى أنظر ما فيه.

ومنها أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا، بل يكون متوقفا ومتحرزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا، فإن سئل عما يعلم تحقيقا بنص كتاب، أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلى أفتى، وإن سئل عما يشك فيه قال: لا أدرى، وإن سئل عما يظنه باجتهاد أو تخمين احتاط ورفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان فى غيره غنية. هذا هو الحزم لأن نقل خطر الاجتهاد عظيم.

وقد كان ابن عمر[4] إذا سئل عن الفتيا قال: اذهب إلى الأمير الذى تقلد أمور الناس وضعها فى عنقه ويقول: تريدون أن تجعلونى جسرا تعبرون عليه إلى جهنم.

وقال ابن مسعود: «إن الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون» وقال: «جنة العالم: لا أدرى، فإن أخطأ فقد أصيبت مقاتله» وقال ﷺ: «ما أدرى أعزير نبى أم

(١) ذكره البيهقى فى الشعب. انظر كشف الخلفاء للعجلونى جـ٢، ص٢٤٨.

(٢) المهدى (١٢٧ - ١٦٩ هـ = ٧٤٤ - ٧٨٥م) هو محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن على العباسى، أبو عبد الله، المهدى بالله: من خلفاء الدولة العباسية فى العراق. ولد بايذج (من كور الأهواز) وولى بعد وفاة أبيه وبعهد منه (سنة ١٥٨هـ) وأقام فى الخلافة عشر سنين وشهرا ومات فى ما سبذان، صريعا عن دابته فى الصيد، وقيل مسموما، كان محمود السيرة والعهد، محببا إلى الرعية، حسن الخلق والخلق، جواداً، وهو أول من لعب بالصوالجة فى الإسلام. الأعلام ٦/٢٢١.

(٣) سورة المائدة، آية (٢).

(٤) سبقت ترجمته.

لا؟ ومــا أدرى أتبع ملعــون أم لا؟ وذو القــرنين نبى أم لا؟» رواه أبو داود والحــاكم وصححه من حديث أبى هريرة.

ولما سئل عليه السلام عن خير البقاع وشرها قال لا أدرى!!! حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال: لا أدرى!!! إلى أن علمه الله تعالى أن المساجد خير البقاع وشرها السوق، أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصحح إسناده الطبرانى من حديث جبير بن مطعم ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر.

وكان ابن عمر يسأل عن عشر مسائل، فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع، وكان ابن عباس يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة.

وكان فى الفقهاء من يقول لا أدرى، أكثر من أن يقول أدرى، منهم سفيان الثورى ومالك وأحمد بن حنبل والفضيل وبشر بن الحارث.

وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى(1): «أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم أحد يسأل عن حديث أو فتيا إلا ورأى(2) أخاه كفاه ذلك».

وفى لفظ آخر: «كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها على الآخر، ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول».

ونظيره ما روى أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو فى غاية من الضر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر وهكذا دار(3) بينهم حتى رجع إلى الأول.

وقال بعضهم: كان أسرعهم فتيا، أقلهم علما، وآخرهم فعلا لها(4) أورعهم.

---

(1) هو: محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى (٧٤ ـ ١٤٨هـ = ٦٩٣ ـ ٧٦٥م) قاض فقيه، من أصحاب الرأى، ولى القضاء والحكم بالكوفة لبنى أمية ثم لبنى العباس، واستمر ٣٣ سنة. له أخبار مع الإمام أبى حنيفة وغيره مات بالكوفة. الأعلام ١٨٩/٦.

(2) فى الأصل (ران) وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليناسب السياق.

(3) فى الأصل (درا) وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(4) فى الأصل (فعالها) وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم السياق.

وكان شغل الصحابة والتابعين خمسة أشياء: قراءة القرآن، وعمارة المسجد، وذكر الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر.

وكان أنس إذا سئل يقول: سلو مولانا الحسن. وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول: سلوا جابر بن زيد. وكان ابن عمر يقول: سلوا سعيد ابن المسيب. وحكى أنه روى صحابى فى حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال: ما عندى إلا ما رويت فأخذ الحسن فى تفسيرها حديثا (حديثا)[1] فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه، فأخذ الصحابى كفا من حصى ورماهم به وقال: تسألونى عن هذا العلم وهذا الحبر بين أظهركم.

ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب، ومعرفة طريق الآخرة وصدق الرجاء فى الانكشاف[2]. من ذاك المراقبة والمجاهدة، فإن المجاهدة تفضى إلى المشاهدة فى دقائق علوم القلب، ويتفجر بها ينابيع الحكمة من فيض الرب.

أما الكتب والتعليم فلا تفى بذلك، إذ الحكمة خارجة عن الحصر والعد هنالك، وإنما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله فى الخلوة مع حضور القلب وصفاء الفكرة مع الحق والانقطاع عن الخلق فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف المحكم والأحكام، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة، وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب، فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول أولى الألباب. قال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾.[3]

وقال عليه السلام: «من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم»[4] أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من عندى ليستقيم المعنى.

(٢) فى الأصل «انكشاف» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) سورة البقرة، آية (٢٨٢).

(٤) رواه أبو نعيم عن أنس. انظر: كشف الخفاء ومزيل الالباس للعجلونى جـ٢، ص٢٦٥، ولم يشر إلى حكمه. قال الإمام الشوكانى فى الفوائد المجموعة ص٢٨٦ وهو ضعيف.

وفى بعض الكتب السالفة: «يا بنى إسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به؟ ولا فى تخوم الأرض من يصعد به؟ ولا من وراء البحار ومن يعبر يأتى به!!! العلم مجبول فى قلوبكم، تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا بأخلاق الصديقين، أظهر العلم فى قلوبكم، حتى نعطيكم ونغمركم».

وقد ورد: «من أخلص لله أربعين يوما، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[1]. أبو نعيم فى الحلية عن أبى أيوب.

ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين، فإن اليقين هو رأس مال الدين، وهو فى التوحيد بأن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب، ولا يلتفت إلى الوسائط، بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فيزول عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم وينزل الوسائط فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع منه، فإنه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما، بل يراهما آلتين مسخرتين واسطتين. ومتى تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان، وكل مخلوق، فهى مسخرات بأمره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب، وأن القدرة الأزلية هى المصدر للكل، استولى على قلبه التوكل والرضا والتسليم، وصار بريئا من الغضب والحسد، وسوء الخلق.

ومن ذلك الثقة بضمان الله للرزق، وقطع الطمع والنظر إلى الخلق.

ومن ذلك أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

وثمرة هذا اليقين، صدق المراقبة، فى الحركات والسكنات، والخطرات والمبالغة فى التوقى، والاحتراز عن كل السيئات، وكلما كان اليقين أغلب، كان الاحتراز أشد، والتشمير أبلغ.

---

(١) رواه الديلمى فى مسند الفردوس بمأثور الخطاب جـ٢ ص٥٦٤ح = ٥٧٦٧، عن أبى أيوب الأنصارى. قال المناوى: أورده ابن الجوزى فى الموضوعات، واقتصر العراقى فى تخريج الاحياء على تضعيفه، انظر حاشية مسند الفردوس ٣/٥٦٣.

ومن ذلك اليقين بأن الله سبحانه مطلع عليك فى كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك، وخفايا خواطرك وفكرك. وثمرته أن يكون الإنسان فى خلوته متأدبا فى جميع حاله كالجالس بمشهد ملك عظيم ينظر إليه، فإنه لايزال مطرقا متأدبا متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب. كما يشير إليه قوله عليه السلام «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[١] ويكون فى فكرته الباطنة كهوفى فى أفعاله الظاهرة، أن يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته، كما يطلع الخلق على ظاهره فيكون مبالغا فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى، الحافظة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر الناس، لما ورد «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأحوالكم»[٢] وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والاستكانة والخضوع والوقار، وجملة من الأخلاق المحمودة للأبرار.

ثم (ان)[٣] هذه الأخلاق تورث نوعاً من الطاعات وأصنافا من الحالات.

ومنها أن يكون اعتماده فى علومه على بصيرته، وإدراكه بصفاء قلبه وطهارته لا على المصحف والكتب، ولا على تقليد ما يسمعه من غيره، فإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه، فيما أمر به وقاله. وإنما تقلد الصحابة، من حيث أن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله ﷺ، ثم إذا قلد صاحب الشرع فى تلقى أقواله وأفعاله، ينبغى أن يكون حريصا على فهم أسراره وأحواله، فإنما المقلد يفعل الفعل، لأن صاحب الشرع فعله، والنبى عليه السلام، لما فعله، لابد أن يكون لسر فعله، فينبغى أن يكون شديد البحث فى أسرار الأعمال والأقوال، فإنه إن اكتفى بحفظه ما يقال كان (كمن)[٤] دعا للعلم ولا يكون عالما.

---

(١) البخارى: الصحيح. ك: الإيمان، باب (٣٨) جـ١، ص١٧ ومسلم. الصحيح ك: الإيمان. باب (١) جـ١، ص١٧ ويعرف بحديث جبريل.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه. ك: البر، باب (٩) جـ٢، ص٢٧٩، ك: اللباس باب (١٠) جـ٢، ص١٥٦.

(٣) ما بين المكوفين من عند المحقق ليستقيم المعنى.

(٤) ما بين المكوفين من عند المحقق ليستقيم المعنى.

وقال ابن عباس: «ما من أحد إلا يؤخذ مر عمه ويترك، إلا رسول الله ﷺ»[١] رواه الطبرانى من حديث يرفعه بلفظ يدع بدل يترك.

(وكان ابن عباس قد تعلم)[٢] من زيد بن ثابت الفقه وقرأه[٣] على أبى بن كعب ثم خالفهما فى الفقه والقراءة جميعا.

وقد قال الإمام أبو حنيفة: ما جاءنا عن رسول الله ﷺ، تلقيناه على الرأس والعين، وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ منه ونترك وما جاءنا من التابعين فهم رجال ونحن رجال.

وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرض، فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد، بل الكتب والتصانيف محدثة، لم يكن بشىء منها فى زمن الصحابة، وصدر من التابعين. وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين، وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين، وبعد وفاة سعيد ابن المسيب[٤]، والحسن، وخيار التابعين، بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث، وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها، عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر، وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ.

ولذا كره أبو بكر الصديق رضى الله عنه وجماعة من الصحابة، تصحيف القرآن فى مصحف، وقالوا: كيف نفعل شيئا ما فعله رسول الله ﷺ، وخافوا اتكال الناس على المصاحف، وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين، والاقراء، ليكون هذا شغلهم وهمهم، حتى أشار عمر وبقية من الصحابة بكتب القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم، وعذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه فى كلمة أو قراءة من المتشابهات.

فانشرح صدر أبى بكر لذلك، فجمع القرآن فى مصحف واحد هنالك.

---

(١) انظر: حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى. جـ٣، ص٣٠٠.

(٢) فى الأصل (وقد كان ابن عباس تعلم) والأصح ما ذكرناه فهو الأولى ليستقيم المعنى والسياق.

(٣) فى الأصل «وقرا» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٤) سبقت ترجمته.

وكان أحمد بن حنبل[1] ينكر على مالك فى تصنيفه الموطأ ويقول: لا نبتدع مالم يفعله الصحابة. كذا فى الأحياء. لكن يشكل بأنه صنف المسند، ولعله بعدما استقرت[2] عليه الآراء.

وقيل أول كتاب صنف فى الإسلام (كتاب)[3] ابن جريج فى الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة. ثم كتاب: معمر بن راشد الصنعانى[4] باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة. ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس، ثم جامع سفيان الثورى، ثم من القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثرة الخوض فى الجدال (و)[5] الخوض فى إبطال المقالات، ثم مال الناس إليه وإلى القصص، والوعظ بها، فأخذ علم اليقين فى الاندراس من ذلك الزمان، فصارت[6] بعد ذلك تستعزب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكائد الشيطان (وما أعرض)[7] عن ذلك إلا الأقلون. هكذا ضعف الدين فى قرون سالفة، فكيف الظن بزمانك هذا، وقد انتهى الأمر إلى أن مُظهر الانكار يُستهدف بالنسبة إلى الجنون. فالأولى أن يشتغل الإنسان بنسفه ويسكت.

كذا قال الغزالى وهو فى قرن خمسمائة فكيف بزماننا هذا وقد زاد على الألف من الهجرة.[8]

ولاشك أن البعد عن زمان الحضرة[9] بمنزلة البعد عن المشعلة، فإن كل من يبعد يقع فى زيادة الظلمة.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) فى الأصل استقر وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) ما بين المكوفين من عند المحقق ليستقيم المعنى والسياق.

(٤) هو: معمر بن راشد ابن أبى عمرو الأزدى الحدانى بالولاء (٩٥ - ١٥٣هـ = ٧١٣ - ٧٧٠م) فقيه حافظ للحديث، متقن، ثقة من أهل البصرة، ولد واشتهر فيها وسكن اليمن. أول من صنف باليمن. الأعلام. ٣٧٢/٧.

(٥) ما بين المكوفين من عند المحقق ليستقيم المعنى.

(٦) فى الأصل «فصار» وهو تصحيف والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى.

(٧) فى الأصل (وأعرض) وهو تحريف والصحيح ما أثبتناه ليناسب السياق.

(٨) تبين الفقرة سنة تاليف الكتاب ومن ثم معرفة عصر مؤلفه.

انظر: ترجمة المؤلف.

(٩) يقصد البعد عن حضرة الرسول ﷺ كما نبعد عن المشعل التى تضىء.

ولذا قال عليه السلام: «لا يأتى عليكم عام ولا يوم إلا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم» أحمد والبخارى[1] والنسائى[2] عن أنس.

ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور، وأن اتفق عليه الجمهور ولا يغرنه إطباق الجماعة على ما حدث[3] به الصحابة، وليكن حريصا على التفتيش عن سير السلف وأحوالهم، وما كان فيه أكثر همتهم من أقوالهم وأفعالهم، أكان فى التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية، وتولى الأوقاف والوصايا ومال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم فى العزة أم كان فى الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن، واجتناب دقيق الإثم[4] وجليله، والحرص على إدراك خفايا شهودات النفس ومكائد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن.

وأعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق فى العرفان، أشبههم بالصحابة، وأعرفهم بطريق السلف الصالحين، فمنهم من أخذ معرفة الدين بالوجه اليقين.

وكذا قال على: «خيرنا أتبعنا لهذا الدين» لما قيل له خالفت فلانا، فلا ينبغى أن تكثرت بمخالفة أهل العصر، فى موافقة عصر رسول الله ﷺ، فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم إليه، ولا تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان عن الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه.

---

(١) هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله، حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ﷺ. صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخارى. نشأ يتيما وقام برحلة طويلة فى طلب الحديث. فزار خراسان والعراق ومصر والشام وسمع من نحو ألف شيخ وجمع ستمائة ألف حديث اختار منها فى صحيحه ما وثق برواته وهو أول من وضع كتابا فى الإسلام على هذا النحو. توفى فى «خرتنك» من قرى سمرقند. وكتابه فى الحديث أحد الكتب الستة المعول عليها. الأعلام ٣٤/٦.

(٢) هو: أحمد بن على بن شعيب بن على بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن النسائى (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ = ٨٣٠ ـ ٩١٥م) صاحب السنن، القاضى الحافظ، شيخ الإسلام، أصله من نسا (بخراسان) وجال فى البلاد واستوطن مصر فحسده مشايخها فخرج إلى الرملة (بفلسطين) فسئل عن فضائل معاوية فامسك عنه فضربوه فى الجامع وأخرج عليلا، فمات ودفن ببيت المقدس، وقيل خرج حاجا فمات بمكة. له: «السنن الكبرى» فى الحديث، و«المجتبى ـ ط» وهو السنن الصغرى من الكتب الستة فى الحديث وغير ذلك. الأعلام ١٧١/١.

(٣) فى الأصل «أحدث» وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم السياق.

(٤) فى الأصل «الاسم» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

وعن ابن مسعود[1] مرفوعا: إنما هنا اثنتان: الكلام والهدى فأحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدى هدى رسول الله ﷺ ألا وإياكم ومحدثات الأمور، فإن شر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة، ألا لا يطولن عليكم الأمد، فتقسوا قلوبكم. ألا كل ما هو آت قريب، ألا إن البعيد ليس بآت. رواه ابن ماجه باسناد جيد.

وقال حذيفة: إن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، ومنكركم معروف زمان قد أتى، وإنكم لاتزالون بخير، ما عرفتم الحق، وكان العالم فيكم غير مستخف به. ولقد صدق، فأكثر معروفات هذه الأعصار منكرات فى عصر الصحابة الأبرار. إن من إعداد المعروفات تزيين المساجد وترفيعها وإنفاق الأموال العظيمة فى دقائق عمارتها، وفرش البسط الرقيقة فيها، وقد كان يعد فرش السوارى فى المسجد بدعة، وقيل إنه من محدثات الحجاج، فقد كان الأولون قل ما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا. ومن ذلك التلحين فى القرآن والأذان. ومن ذلك التقشف فى النظافة، والوسوسة فى الطهارة، وتقدير الأسباب البعيدة فى نجاسة الثياب مع التساهل فى حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك.

ولقد صدق ابن مسعود حيث قال: أنتم اليوم فى زمان، الهوى فيه تابع للعلم، وسيأتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى.!!! وكان أبو سليمان الدارانى يقول: لا ينبغى لمن ألهم شيئا من الخيرات أن يعمل به حتى يسمع به فى الأثر، فيحمد الله تعالى، إذ[2] وافق ما فى نفسه. وقال بعض العلماء: ما تكلف فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه فالكلام فيه تكلف.

وقال بعض العارفين: إنما انقطع الأبدال[3] فى أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور، لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت، لأنهم عندهم جهال بالله تعالى، وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) فى الأصل (إذا) وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليناسب المعنى والسياق.

(٣) الأبدال: حوالى ثلاثين شخصا يتبادلون عملا بالتبادل من باب الحديث «ان الله يبعث على رأس كل قرن ما يجدد به أمر دينه».

وفى الاحياء قالت الصوفية: العلم حجاب، وأرادوا بالعلم العقائد التى استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد، أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها إليهم لموافقتهم[1] فى المشارب.

وأما العلم الحقيقى الذى هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة، فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب. أقول[2]: وقد يقال: العلم حجاب نورانى والجهل حجاب ظلمانى.

ثم أعلم أن عوام القضاة، أحسن أحوالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين أنهم من العلماء المجتهدين، لأن الأعمى معترف بتقصيره فيتوب ويستغفر. وهذا الجاهل الظان أنه عالم، وأن ما هو مشتغل به من العلوم التى هى وسائله إلى الدنيا من سلوك طريق الدين، فلا يتوب ولا يستغفر، بل لايزال مستمرا عليه إلى الموت، فنسأل الله العافية وحسن الخاتمة.

سابعا: العقل ووظيفته:[3]

ثم أعلم أن العقل منبع العلم ومطلقه ووسائله[4] ومداره، والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين. وقد ورد: «يأيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما أمرتم به، وما نهيتم عنه، واعلموا أنه مجدكم عند ربكم، واعلموا أن العاقل من أطاع الله، وان كان ذميم المنظر، حقير الخطر، دنىء[5] المنزلة رث الهيئة، وان الجاهل من عصى الله، وإن كان جميل المنظر، عظيم الخطر، شريف المنزلة، حسن الهيئة، فصيحا نطوقا، فإن القردة والخنازير أعقل عند الله ممن عصاه. ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا إياكم وإياهم، فإنهم من الخاسرين».

---

(١) فى الأصل (موافقتهم) وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليناسب السياق.

(٢) المعنى هنا: المؤلف.

(٣) هذا العنوان من عند المحقق، ليناسب المقام، حيث أن ما ورد تحته من معلومات يتناسب مع هذا العنوان.

(٤) فى الأصل: «واسائله» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليناسب السياق.

(٥) فى الأصل: «وفى» وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليناسب المعنى.

رواه داود بن المحبر[1] أحد الضعفاء فى كتاب العقل، من حديث أبى هريرة وهو مسند الحارث بن أسامة عن داود، لما خلق الله تعالى العقل قال له: «أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال الله عز وجل: وعزتى وجلالى ما خلقت أكرم على منك، بدء آخذ وبك أعطى، وبك أثيب، وبك أعاقب»[2] رواه عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائد الزهد عن الحسن مرفوعا مرسلا بسند جيد. فزعم ابن تيمية والزركش أنه باتفاق أهل العلم كذب وموضوع مردود ومدفوع.

وعن أنس قال: «أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ حتى بالغوا «فقال عليه السلام: «كيف عقل الرجل؟» فقالوا: «نخبرك عن اجتهاده فى العبادة وأصناف الخير، وتسألنا عن عقله» فقال: «إن الأحمق يصيب لحمقه أكثر من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غدا فى الدرجات زلفى من ربهم على قدر عقولهم».

ابن المحبر بتمامه والترمذى الحكيم فى النوادر مختصرا.

وعن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ما اكتسب رجل مثل فضله عقل يهدى صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله»[3] ابن المحبر فى العقل، وعنه الحارث بن أبى أسامة. وقال ﷺ : «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، ولا يتم للرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله، فعند ذلك تم له إيمانه، وأطاع ربه وعصى عدوه إبليس»[4] ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب[5] عن أبيه عن جده. والحديث عند الترمذى مختصر دون

---

(١) هو: داود بن المحبر بن قحذم بن سليمان بن ذكوان الطائى، أبو سليمان (٠٠٠ ـ ٢٠٦هـ = ٠٠٠ ـ ٨٢١م) من رجال الحديث. له فيه كتاب «العقل» واختلف العلماء فى توثيقه، وأكثرهم على أنه ضعيف، يروى عن كل أحد. وهو من أهل البصرة، سكن بغداد وتوفى بها، الأعلام ٢/٣٣٤.

(٢) قال الزركشى: كذب موضوع باتفاق. انظر: كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، للشيخ: إسماعيل بن محمد العجلونى، جـ ٢، ص١٤٨.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط عن عمر رضى الله عنه، وأشار السيوطى فى الجامع الصغير من حديث البشير النذير. جـ٢، ص٤١٨ح = «٧٨٣» أشار إلى ضعفه.

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير، عن أبى أمامه رضى الله عنه. انظر: السيوطى الجامع الصغير، جـ١، ص٢٦٧ وأشار رحمه الله إلى ضعفه.

(٥) هو: عمرو بن شعيب بن محمد السهمى القرشى (٠٠٠ ـ ١١٨هـ = ٠٠٠ ـ ٧٣٦م من رجال الحديث. سكن مكة وتوى بالطائف. الأعلام للزركلى ٥/٧٩.

قوله ولا يتم من حديث عائشة. وصححه عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ «لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.[1]

ابن حجر[2] وعنه الحارث.

وعن أبى هريرة قال: لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أحد، سمع الناس يقولون: «كان فلان أشجع من فلان، وفلان أبلى مالم يبل فلان ونحو هذا» فقال رسول الله ﷺ «أما هذا فلا علم لكم به» قالوا: «وكيف ذاك يا رسول الله؟» فقال: «إنهم قاتلوا على قدر ما قسم لهم من العقل، وكانت[3] نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم؟ فأصيب منهم من أصيب، على منازل شتى، فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على نياتهم وقدر عقولهم» ابن المحبر.

وعن البراء بن عازب[4] أن النبى ﷺ قال: «جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله تعالى بالعقل، وجد المؤمنون من بنى آدم على قدر عقولهم، فأعملهم بطاعة الله أوفرهم عقلا» ابن المحبر وعنه الحارث فى مسنده، ورواه البغوى فى معجم الصحابة من حديث أبى عازب، رجل من الصحابة غير البراء، وهو بالسند الذى رواه ابن المحبر.

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: «قلت يا رسول الله بأى شيء يتفاضل الناس فى الدنيا؟» فقال: «بالعقل» قلت: «ففى الآخرة» (قال)[5] «بالعقل» قلت: «أليس إنما يجزون بأعمالهم؟» فقال: «وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من

---

(١) سورة الملك، آية (١٠).

(٢) هو ابن حجر العسقلانى صاحب «شرح البارى».

(٣) فى الأصل «وكان» وهو تصحيف والصحيح ما اثبته ليستقيم المعنى والسياق.

(٤) هو: البراء بن عازب بن الحارث الخزرجى أبو عمارة (٠٠٠ ـ ٧١هـ = ٠٠٠ ـ ٦٩٠م) قائد صحابى من أصحاب الفتوح أسلم صغيرا وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة أولها غزوة الخندق. روى له البخارى ومسلم ٣٠٥ من الأحاديث. الأعلام ٤٦/٢ ـ ٤٧.

(٥) ما بين المعكوفين من عند المحقق ليستقيم السياق والمعنى.

العقل!!! فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون» ابن المحبر والترمذى الحكيم فى النوادر ونحوه.

وقال عليه السلام: «أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمر به ونهى عنه نظرا وكان أقلكم تطوعا» ابن المحبر من حديث أبى قتادة.(١)

ثم أعلم أن العقل(٢): هو الوصف الذى يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان، وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وكماله: أن تنتهى قوة تلك الغريزة، إلى أن يعرف عواقب الأمور وآخرها، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقسرها، وهى القصوى، والدرجة العليا.

وعن على رضى الله (تعالى عنه):(٣)

رأيت العقل عقلين
فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع إذا
لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس
وضوء العين ممنوع

وقد ورد: «وما خلق الله خلقا هو أكرم عليه من العقل» الترمذى(٤) والحكيم فى النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن جده من الصحابة.

---

(١) هو: الحارث (أو النعمان، أو عمرو) ابن ربعى الأنصارى الخزرجى السلمى، أبو قتادة: صحابى: من الأبطال الولاة اشتهر بكنيته، وكان يقال له «فارس رسول الله» وفى حديث أخرجه مسلم: «خير فرساننا أبو قتادة» شهد الوقائع مع النبى ﷺ ابتداء من وقعة أحد ومات بالمدينة. الأعلام ٢/١٥٤.

(٢) من آراء المؤلف حول مفهوم: «العقل».

(٣) فى الأصل: «وعن على رضى الله عنه ما رأيت» والصحيح حذف (ما) النافية ليستقيم المعنى.

(٤) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى البوغى الترمذى أبو عيسى من أئمة علماء الحديث وحفاظه من أهل ترمذ، تتلمذ للبخارى وشاركه فى بعض شيوخه وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمى فى آخر عمره، وكان يضرب به المثل فى الحفظ مات بترمذ. من تصانيفه «الجامع الكبير - ط» باسم صحيح الترمذى فى الحديث مجلدان، و«الشمائل النبوية - ط» و«التاريخ» و«العدل» فى الحديث. الأعلام ٦/٣٢٢.

وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث على: «إذا اكتسب الناس من أنواع البر يتقربون[1] بها إلى ربنا عز وجل، فاكتسب أنت أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة» واسناده ضعيف. وقال عليه السلام لأبى الدرداء[2]: «إذا أزددت عقلا ازددت من ربك قربا» فقال: «بأبى أنت وأمى فكيف لى بذلك؟» فقال: «اجتنب محارم الله، وأد فرائض الله، تكن عاقلا، واعمل بالصالحات من الأعمال، تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك قربة وعزة» ابن المحبر، ومن طريقه الحارث بن أسامة، والترمذى والحكيم فى النوادر. وقال ابن المسيب: إن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: «يا رسول الله من أعلم الناس؟» فقال: «العاقل» قالوا: «من أعبد الناس؟» فقال: «العاقل» قالوا: «فمن أفضل الناس؟» قال: «العاقل» قالوا: «أليس العاقل من تمت مروءته، وظهرت فصاحته، وجادت كفه، وعظمت منزلته؟» فقال: ﴿وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[3]

إن العاقل هو المتقى وإن كان فى الدنيا خسيسا دنيا» ابن المحبر.

وفى حديث آخر: «إن العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بطاعته» ابن المحبر من حديث سعيد بن المسيب مرسلا وفيه قصة. ثم التفاوت فى العقل الذى هو الغريزة فلا سبيل إلى جحده، فإنه مثل نور يشرق على النفس، ويطلع صبحه ومبادئ إشراقه عند شمس التميز. ثم لايزال ينمو (ويأخذ فى)[4] التدريج إلى أن يتكامل بقرب أربعين سنة. ومثاله نور الصبح، فإن أوائله تخفى خفاء يشق إدراكه، ثم

---

(١) فى الأصل «يتقربوا» وهو خطأ نحوى، فالصحيح ما أثبته.

(٢) هو: «عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصارى الخزرجى، أبو الدرداء، صحابى، من الحكماء الفرسان القضاة. كان قبل البعثة تاجرا فى المدينة، ثم انقطع للعبادة، ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك وفى الحديث: «عويمر حليم أمتى» و«نعم الفارس عويمر» وولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب وهو أول قاض بها. ابن الجزرى: «كان من العلماء الحكماء» وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبى ﷺ بلا خلاف. الأعلام ٩٨/٥.

(٣) سورة الزخرف، آية (٣٥).

(٤) فى الأصل «وارغو اخفى» وهو تصحيف واضح والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

يتدرج إلى الزيادة (إلى)[1] أن يكمل بطلوع قطر الشمس. وتفاوت نور البصيرة، كتفاوت نور البصر، والفرق بين مدرك الأعمش وبين مدرك الحاد البصر، بل سنة الله جارية فى جميع خلقه بالتدريج، حتى أن غريزة الشهوة لا تركب فى الصبى عند البلوغ دفعة وبغتة، بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج، فكذلك جميع القوى والصفات. ومن أنكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة، كان متخلفا عن رتبة العقل الغريزى.[2]

ومن ظن أن عقل النبى ﷺ مثل عقل أحد من السوادية وأجلاف البادية، فهو أخس فى نفسه من أحد السوادية.

وكيف ينكر تفاوت الغريزة، ولولاه لما اختلف الناس فى فهم العلوم ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم، وإلى ذكى يفهم بأدنى رمز وإشارة فى عبارة، وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور دون التعلم، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[3] وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام، إذ يتضح لهم فى بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع، ويعبر عن ذلك بالإلهام. وعن مثله عبر النبى ﷺ حيث قال: «إن روح القدس نفث فى روعى، أحبب من أحببت فإنك مفارقة، وعشى ما شئت فإنك ميت، وأعمل ما شئت فإنك مجزى به» الشيرازى فى ألقاب من حديث سهل بن سعد والطبرانى فى الأصغر والأوسط من حديث على وكلاهما ضعيف.

ومما يدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى ان عبد الله بن سلام[4] سأل رسول الله ﷺ فى حديث طويل فى آخره وصف عظيم للعرش، وان الملائكة قالت:

---

(١) ما بين المعكوفين من عند المحقق ليستقيم المعنى.

(٢) فى الأصل «الفريزة» والصحيح ما اثبته لتستقيم العبارة.

(٣) سورة النور. جزء من الآية رقم (٣٥).

(٤) هو: عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلى أبو يوسف، صحابى أسلم عند قدوم النبى ﷺ المدينة وكان اسمه «الحصين» فسماه رسول الله ﷺ «عبد الله» وفيه الآية «وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله» أقام بالمدينة حتى مات. الأعلام ٤/٩٠.

«ياربنا هل خلقت خلقا أعظم من العرش؟» قال: «نعم، العقل» قالت[1]: «وما بلغ من قدره؟» قال: «هيهات لا يحاط بعلمه، هل لكم على بعدد الرمل؟» قالوا: «لا» قال الله تعالى: «فإنى خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل، فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين، ومنهم من أعطى الثلاث ومنهم من أعطى الأربع، ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من اعطى وسقا، ومنهم من اعطى أكثر من ذلك» ابن المحبر من حديث أنس بتمامه، والترمذى الحكيم مختصرا فى نوادره. ثم كل أحد من العقلاء يصرف عقله فى شىء من الأشياء، ويصير فى ذلك الفن من النبلاء وغيره فيه من الجهلاء.

وإذا أردت أن تفرق بين العلم والعقل، فاعلم أن أحدا من السلاطين سلم ولدا له إلى أحد من الرمالين، ليتعلم علم الرمل على وجه التخمين، فاجتهد الرمال فى تعليم الولد مدة من زمن الاستقبال، إلى أن صار من جهة العلم فى غاية من الكمال، فأتى به إلى السلطان وقال: «ما كان فى وسعى من العلم فعلمته فى غايته، لكن ليس لى علاج فى قلة عقله وعدم فطانته» فقال له: «كيف هذا؟» فقال: «يخفى السلطان فى يده شيئا ويجربه» «فأخذ خاتمه فى كفه» وقال له: «ارم الرمل؟» فرماه، وقال: «شىء معدنى» ورماه ثانيا: فقال: «مدور» ورماه ثالثا فقال: «مجوف» فقيل له: «فماذا يكون؟» قال: «رحى» فلو كان فيه عقل يعرف أن لا يتصور وجود رحى فى كف أولى النهى. ومن هنا قال تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾.[2]

ونظيره أنه قال أبو يوسف يوما فى حد الصوم: «انه الامساك من طلوع الصبح إلى غروب الشمس» فقال له قائل: «وإذا لم تغرب الشمس؟» قال: «متى للقيوم الواحد؟»[3] وقد ورد: «ابن آدم أطع ربك تسمى عاقلا ولا تعصه فتسمى جاهلا»

---

(١) فى الأصل قال وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٢) سورة العنكبوت، آية (٤٣).

(٣) متى للقيوم الواحد . معناها : «أن الشمس لابد أن تغرب، لأن هذا سنة الله القيوم الواحد فى الكون».

رواه أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة وأبى سعيد[1]، وقال عز وجل «ولكن أكثرهم لا يعقلون».

ومجمل الكلام أن العقل يسمى به لعقله، ومنعه صاحبه عمالا يليق به، كما يسمى نهى، لنهيه عن الفحشاء والمنكر ونحوه.

والحاصل أن العقل لا ينفع بدون النقل، والنقل (لا ينفع)[2] بدون العقل. وهذا نهاية التحقيق والله ولى التوفيق.

وقد وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب، من يد العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى، عبد الله بن مصطفى أفندى غفر الله له، ولوالديه ولجميع المسلمين آمين يارب العالمين، من تاريخ شهر[3] ذى الحجة الشريفة من سنة تسع عشر ومائة وألف على يدكاتبه الفقير إلى الله تعالى عيسى محمد عفى عنه آمين سنة ١٢٩٥ ثم ثم ثم.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

■■■

(١) هو: سعد بن مالك بن سنان الخدرى الأنصارى الخزرجى أبو سعيد.
(١٠ ق هـ - ٧٤هـ = ٦١٣ - ٦٩٣م) وهو صحابى، وكان من ملازمى النبى ﷺ، وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنى عشرة غزوة وله ١١٧٠ حديثا. توفى فى المدينة، الأعلام ٨٧/٣. وصفة الصفوة ٢٩٩/١.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من المحقق لتستقيم العبارة.

(٣) فى الأصل شهور وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

فهرس الآيـات

سورة البقرة:

سورة النساء:

سورة المائدة:

سورة الأعراف:

سورة الأنفال:

سورة التوبة:

■ ■ ■

فهرس الأحاديث الشريفة

(حرف الألف)

●●●

●●●

(حرف الشين):

●●●

(حرف الصاد):

●●●

(حرف العين):

●●●

(حرف الغين).

●●●

(حرف القاف):

●●●

(حرف الكاف):

●●●

(حرف اللام):

(حرف الميم):

●●●

■■■

فهرس الأعلام

(حرف الألف)

●●●

(حرف الباء):

●●●

(حرف التاء):

●●●

(حرف الجيم):

●●●

(حرف الحاء):

●●●

(حرف الدال):

(حرف الزال):

●●●

(حرف السين):

●●●

(حرف الشين):

●●●

(حرف الطاء):

●●●

(حرف العين):

●●●

(حرف الفاء):

●●●

(حرف الكاف):

●●●

(حرف الميم):

●●●

(حرف النون):

●●●

(حرف الهاء):

●●●

(حرف الياء):

●●●

فهرس الأنبياء والرسل

الأنبياء:

فهرس الأماكن والبلدان:

الأماكن والبلدان:

■ ■ ■

فهرس الشعر

الأبيـــــات:

(الهمزة):

●●●

(حرف الباء):

●●●

(حرف التاء):

●●●

(حرف الراء):

●●●

(حرف العين):

(حرف اللام):

●●●

(حرف الميم):

●●●

(حرف النون):

●●●

(حرف الهاء الساكنة):

●●●

(حرف الواو):

●●●

(حرف الياء):

فهرس الآثار

(حرف الألف):

●●●

(حرف التاء):

●●●

(حرف الخاء):

●●●

(حرف اللام):

●●●

(حرف الميم):

●●●

(حرف الهاء):

●●●

●●●

■■■

فهرس المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

القرآن الكريم.

- (ابن حنبل) أحمد الشيباني. المسند. دار الفكر. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. لبنان. بيروت. د ت.
- (أبوحامد الغزالي) محمد بن محمد بن محمدالغزالي. إحياء علوم الدين. دار الشعب. القاهرة. بدون.
- أبونصر الديلمي، مسند الفردوس.
- (أبونعيم) أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لبنان. بيروت دار الكتاب العربي. ط٢. ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م.
- أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلس. كتاب ا لعقد ا لفريد. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (البخاري) محمد بن إسماعيل صحيح البخاري.
- (الترمذي) محمد بن عيسى بن سورة. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. د ت.
- (الزركلي) خير الدين. ا لأعلام. دار العلم للملايين. بيروت، لبنان ط٦، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (السخاوي) محمد بن عبدالرحمن. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. تحقيق محمد عثمان الخشت. لبنان. بيروت، دار الكتاب العربي. ط١ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- إسماعيل بن محمد العجلوني. كشف الخفاء ومزيل الألباس. طبعة مكتبة القدسي، ١٣٥٢هـ.
- (السيوطي) جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير.
- (المناوي) محمد بن عبدالرءوف. فيض القدير شرح الجامع الصغير. لبنان. بيروت. دار المعرفة ط٢ ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- (النووي) يحي بن شرف الدين. صحيح مسلم بشرح النووي. لبنان. بيروت. دار الفكر. د ت.
- شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي معجم البلدان. المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
- علي بن سلطان محمد القاري. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، تحقيق: أبوهاجر محدم السعيد ابن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

ثانيا: رسائل علمية:

● عبدالله على الملا: كتاب رد الفصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة ا لشهود. للإمام الفقيه المحدث الملا على بن سلطان محمدالقارى المتوفى سنة ١٠١٤هـ، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى. مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة ١٤٠٩هـ.

ثالثا: كتب محققة:

● أحمدعبدالرزاق الكبيسى، فصول مهمة فى حصول المتهمة. للإمام ا لعلامة على بن سلطان محمد القارى المكى. المتوفى سنة ١٠١٤هـ تحقيق مطابع الصفا بمكة المكرمة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

رابعا: المراجع:

● أبوالحسن الندوى، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية. دار ا لأنصار. القاهرة. ط٣، ١٩٧٧م

● أبوبكر الجزائرى. الدولة الإسلامية. دار المكتبات الأزهرية. القاهرة. بدون.

● إبراهيم الدسوقى أباظة. خبز وحرية سلسلة كتابك. العدد (١٤٧)، دار المعارف بمصر. ١٩٧٩م.

● إبراهيم عصمت مطاوع. أصول التربية. دار المعارف.ط٣، القاهرة ١٩٨٣م.

● سعيد إسماعيل على، أصول التربية الإسلامية. دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨م.

● سعيد حوى، فصول فى الإمرة والأمير. دار ا لسلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٣م.

● عاصم أحمد أبوعجيلة، الحرية الفكرية وترشيد ا لعقل الإسلامى، القاهرة مطبعة نهضة مصر، ١٩٨٤.

● عبدالسلام هارون تحقيق ا لنصوص ونشرها. مؤسسة الحلبى للنشر والتوزيع. القاهرة. ط٢، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

● عبدالقادر عودة، الإسلام وأوضاعنا السياسية. المختار الإسلامى، القاهرة ١٩٧٨م.

● على إبراهيم حسن، النظم الإسلامية. مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٧٠م.

● عمر شريف، نظام الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية مطبعة المدنى، القاهرة ١٩٨٢م.

● فاروق عبدالسلام، أزمة الحكم فى العالم، الإسلامى مكتب قليوب للطبع والتوزيع ١٩٨١م.

● محدم البهى، منهج القرآن فى تطوير المجتمع مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٧٩.

● محمد البهى غيوم تحجب الإسلام مكتبة وهبة ط٢، القاهرة ١٩٧٩م.

● محدم أسد، منهاج الإسلام فى الحكم تعريب: منصور محمد ماضى. بيروت دار العلم للملايين، ط٦، ١٩٨٣م.

● محمد عبدالقادر أحمد. طرق تعليم التربية الدينية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨١م.

● محمد على المرصفى وليلى عطار، محاضرات فى التربية الإسلامية وأشهر ا لمربين المسلمين، جدة، السعودية ١٤٠٩هـ.

● محمد يوسف موسى، نظام الحكم فى الإسلام دار الكتاب العربى، ط٢، القاهرة ١٩٦٣م.

● نعمات فؤاد، أزمة الشباب، كتاب الهلال العدد ٣٨٦، فبراير ١٩٨٣م.

● يوسف القرضاوى. الحل الإسلامى فريضة وضرورة، متبة وهبة، جـ٢، ط٣، ١٩٧٧م.

● يوسف القرضاوى، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، كتاب الأمة، العدد (٢) شوال ١٤٠٢.

خامسا: الدوريات:

● مجلة الأمة القطرية، العدد (٤٩) نوفمبر ١٩٨١م.

● مجلة ا لدوحة القطرية، العدد (٩٥) محرم ١٤٠٤هـ ـ نوفمبر ١٩٨٣م.

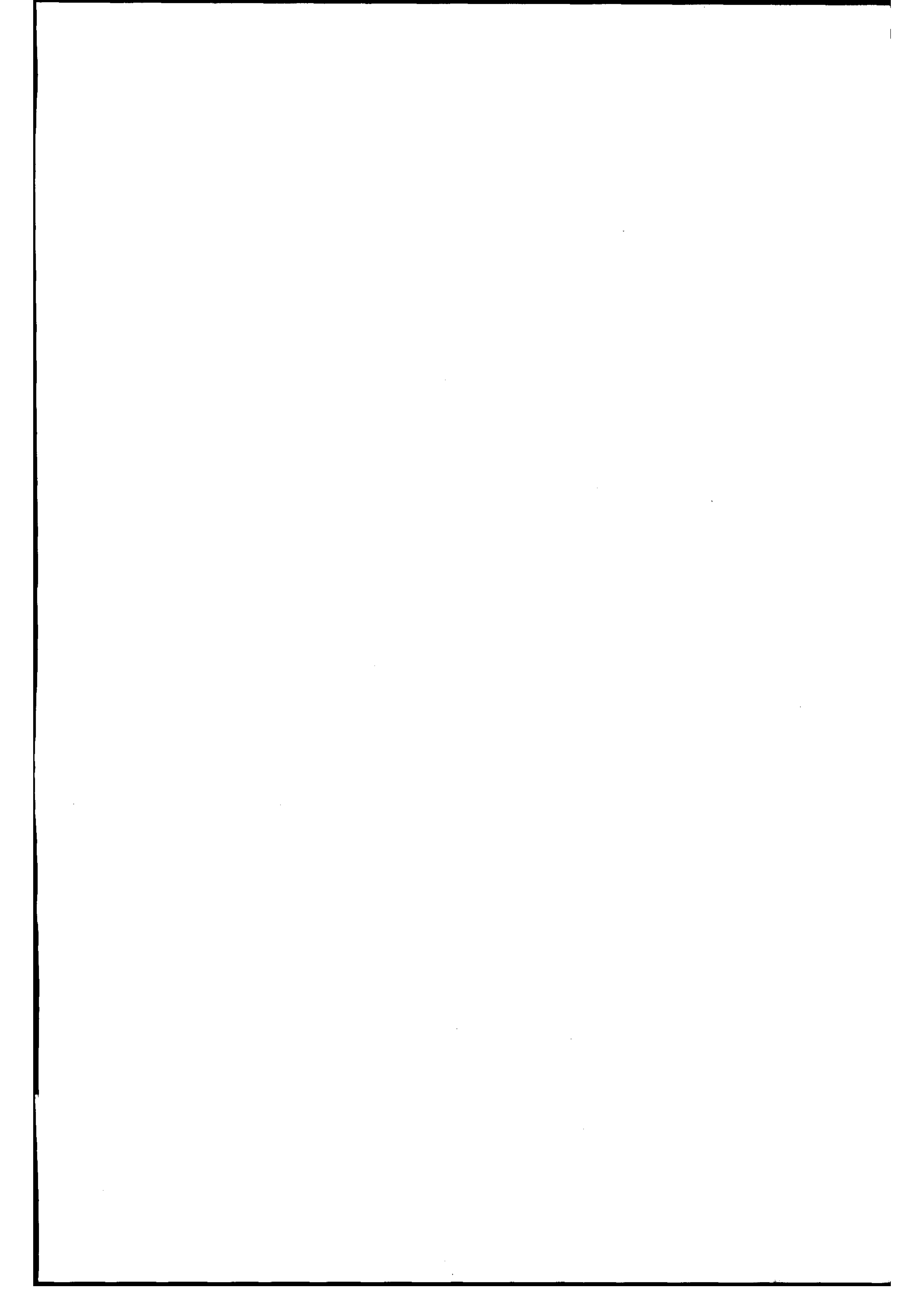
سادسا: الصحف اليومية:

● جريدة الأهرام عدد بتاريخ ١٩٨٢/٧/٥م.

● جريدة الأهرام عدد بتاريخ ١٩٨٢/٧/٧م.

● جريدة الجمهورية عدد بتاريخ ١٩٨٢/٩/١٢م.

■■■



المنشورات العلمية

السيد الأستاذ الدكتور / محمد على المرصفى
أستاذ أصول التربية
ووكيل كلية التربية لشئون التعليم والطلاب

أولا : بحوث منشورة بمجلات علمية محكمة :

(١) " اقتصاديات التعليم " بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العلمى السنوى السابع عشر الدولى حول " استراتيجيات التحديث والجودة للاقتصاديات العربية فى إطار المنافسة العالمية " القاهرة ١٧-١٩ إبريل ٢٠٠١ والمنعقد بقاعة المؤتمرات - جامعة الدول العربية - كلية التجارة - جامعة المنصورة .

(٢) " الإعداد التربوى للداعية ودوره فى مواجهة الإرهاب والتطرف " بحث منشور ضمن بحوث " المؤتمر الدولى حول العلوم الاجتماعية ودورها فى مكافحة جرائم العنف والتطرف فى المجتمعات الاسلامية ٢٨-٣٠ يونيو ١٩٩٨ م والمنعقد بمركز صالح كامل للاقتصاد الاسلامى - جامعة الأزهر .

(٣) " بعض القيم التربوية ودور الأسرة والمدرسة فى إكسابها للطفل " بحث منشور بالمجلد الثالث من بحوث المؤتمر السنوى الرابع للطفل المصرى تحت عنوان : (الطفل المصرى وتحديات القرن الحادى والعشرين) ٢٧-٣٠ ابريل ١٩٩١ م. جامعة عين شمس - مركز دراسات الطفولة .

(٤) " العوامل التى تؤثر فى أداء أستاذ الجامعة - دراسة حالة لكلية التربية بطنطا " بحث منشور بمجلة كلية التربية - جامعة طنطا العدد الحادى عشر (ب) سبتمبر ١٩٩٠م.

(٥) " التربية العقلية فى الإسلام - دراسة تحليلية " بحث منشور بمجلة كلية التربية - جامعة طنطا العدد الحادى عشر (ب) سبتمبر ١٩٩٠م.

(٦) " تربية الوعى السياسى لطلاب الجامعة من خلال المشاركة فى الاتحادات الطلابية - دراسة حالة لكلية التربية - جامعة طنطا " بحث منشور بمجلة كلية التربية - جامعة طنطا - العدد العاشر (ب) يونيو ١٩٩٠م.

(٧) " الآراء التربوية فى أدب الرافعى " بحث منشور بمجلة كلية التربية - جامعة المنوفية العدد الرابع ١٩٨٩م.

(٨) "التنشئة الإجتماعية ودورها فى تربية الطفل المسلم " بحث منشور ضمن مطبوعات المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية والمنعقد بالقاهرة ٨-١٣ مارس ١٩٨٧م.

(٩) " تطور التعليم الزراعى فى المملكة العربية السعودية " بحث منشور بمجلة كلية التربية - جامعة المنوفية - العدد الثامن ١٩٨٧م.

(١٠) " تطور التعليم التجارى فى المملكة العربية السعودية .دراسة تحليلية " بحث منشوربمجلة كلية التربية - جامعة طنطا اكتوبر ١٩٨٥م .

(١١) " تطور التعليم الصناعى فى المملكة العربية السعودية " بحث منشور فى : التعليم الصناعى فى المملكة العربية السعودية . دراسة نظرية تطبيقية - جدة ١٩٨٤ .

(١٢) " الاتجاه نحو التعليم الصناعى بالمملكة العربية السعودية دراسة ميدانية " بحث منشور فى : التعليم الصناعى فى المملكة العربية السعودية ، دراسة نظرية تطبيقية - جدة ١٩٨٤.

(١٣) " دراسة دور بعض عوامل المدرسة الثانوية فى ترسيخ مبادىء تربوية مستمدة من الكتاب والسنة بإستخدام تحليل التباين المتعددالمتدرج " بالإشتراك مع أ.د. عبدالعاطى الصياد بحث منشور بمركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية السعودية فى شعبان ١٤٠٥ هـ .

(١٤) " قيم تربوية فى القصص القرآنى - تحليل لمواقف من قصة يوسف عليه السلام" بحث منشور بمجلة كلية التربية - مركز البحوث التربوية والنفسية - جامعة أم القرى- مكة المكرمة نوفمبر ١٩٨٢ .

(١٥)نظرة علمة حول التربية الإسلامية، بحث منشور بمجلة كلية التربية - مركز البحوث التربوية والنفسية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، نوفمبر ١٩٨١ م.

(١٦) " التربية الجمالية فى الإسلام " بحث مقبول للنشر فى مجلة : دراسات تربوية ، والتى تصدرها رابطة التربية الحديثة بالقاهرة .

<u>ثانيا : الكتب المنشورة</u>

(١) إجتماعيات التربية " مترجم " دار المجتمع للنشر والتوزيع .جدة - السعودية ١٩٨٩م

(٢) التربية الإ سلامية وأشهر المربين المسلمين ، بالإشتراك مع د/آمال المرزوقى. مطابع الوفاء- المنصورة ١٩٨٩م .

(٣) مقدمة فى أصول التربية . دار المجتمع للنشر والتوزيع . جدة - السعودية ١٩٨٨م

(٤) فى التربية الإسلامية ، بحوث ودراسات . مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٧م.

(٥) من المبادىء التربوية فى الإسلام . عالم المعرفة جدة ١٩٨٢ م .

ثالثا : مقالات منشورة :

- للباحث مجهود فى إصدار سلسلة من المقالات فى التربية الإسلامية . وقد صدر حتى الآن مانيف على خمسين مقالا منشورا فى مجلة التضامن الإسلامى ومجلة الحج التى تصدرها وزارة الحج والأوقاف بمكة المكرمة إبتداء من جمادى الأول عام ١٤٠٣ هـ وحتى الآن .

الأستاذ الدكتور / محمد على المرصفى

أستاذ أصول التربية

ووكيل كلية التربية – جامعة طنطا

بيان بالأنشطة فى مجال الدعوة وخدمة المجتمع

للأستاذ الدكتور / محمد على محمد المرصفى

أستاذ أصول التربية ووكيل كلية التربية - جامعة طنطا

-----

(١) السفر الى الولايات المتحدة الأمريكية (لوس أنجلوس) بدعوة من المركز الإسلامى بمدينة فيزتا (كاليفورنيا) وذلك لنشر الثقافة الاسلامية خلال شهر رمضان المعظم عام ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .

(٢) الإيفاد من الأزهر للعمل فى مجال الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية والتدريس بالمركز الثقافى الإسلامى " بلندن " ابتداء من ١٩٩٢ وحتى يوليو ١٩٩٦ م.

(٣) الإيفاد من مشيخة الأزهر الشريف للدعوة ونشرالثقافة الإسلامية وذلك بمدينة " فيينا" بالنمسا خلال شهر رمضان ١٩٩٢م.

(٤)الإيفاد من مشيخة الأزهر الشريف للدعوة ونشر الثقافة الإسلامية وذلك بمدينة "لندن " خلال شهر رمضان ١٩٩١م.

(٥) مؤلفات وبحوث ومقالات منشورة فى مجال التربية عموما ومجال التربية الإسلامية على وجه الخصوص ... (انظر القائمة المرفقة) .

(٦) التدريس فى مجال التربية وأصولهاوفى مجال التربية الإسلامية) (أنظر شهادات الخبرة).

(٧) إعداد وتقديم برنامج " دين ودنيا " يبثه مصورا تليفزيون الشرق الأوسط M. B.C وذلك البرنامج يشاهد كل يومين ابتداء من ١٩٩٣- ١٩٩٩ .

(٨) المشاركة فى ندوات ولقاءات تعقد بين الحين والآخر بمدينة لندن وذلك منذ سبتمبر ١٩٩٢ م وحتى يوليو ١٩٩٦ م.

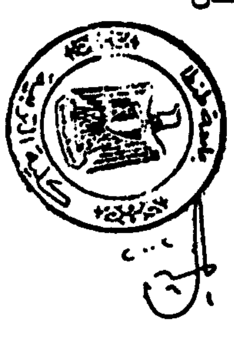
(٩)عضو بنقابة القراء المصرية منذ مارس ١٩٩٣

(١٠) فتاوى إسلامية سواء بالكتابة أو المشافهة من خلال عملى كإمام سابق بالمركز الاسلامى بلندن .

(١١) أداء خطبة الجمعة باللغة العربية والإنجليزية بالمركز الإسلامى بلندن

(١٢)إعداد وتقديم بعض البرامج لإذاعة الشرق الأوسط بلندن ومنها :

- من أمهات الكتب ...
- كتاب للقراءة ...



(١٣)عضو بمقـرأة الزعيم الراحل جمـال عبدالنـاصر ابتداء مـن ١٩٧١ - ١٩٧٥ م تـاريخ السفر فى بعثة حكومية لدراسة دكتوراه الفلسفة فى التربية (انجلترا) .

(١٤) نشاط فى مجال الدعوة وذلك مـن خـلال تواجدى فـى (كـارديف) مقاطعـة (ويـلز) بريطانيا وذلك لدراسة الدكتوراة ١٩٧٥ -١٩٧٨م وضمن هذا النشاط خطبـة الجمعـة وخطـب الأعياد وإحياء ليالى شهر رمضان .

(١٥) أداء خطبة الجمعة بالتكليف من وزارة الأوقـاف بمسـاجد القـاهرة (الفجالـة ، الظـاهر) منذ عام ١٩٦٩ م وحتى ١٩٧٥ م تاريخ السفر إلى انجلترا فى بعثة لدراسة الدكتوراه.

(١٦) التصدى والقيام بحملة للمجهود الحربى خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ م وتسليم التبرعـات الى البنك المركزى بالقاهرة .

(١٧)مقرر لجنة الزكاة بمسجد (العدوى) بالظاهر وهى منبثقة من الإدارة العامة للزكاة (ببنك ناصر الإجتماعى) ١٩٧١-١٩٧٣ م.

(١٨)إجتياز مسابقة قراء المقارىء المصرية .

(١٩) حفظ القرآن الكريم تلاوة وتجويدا .

هذا والله سبحانه من وراء القصد ,,

الأستاذ الدكتور / محمد على المرصفى

أستاذ أصول التربية

ووكيل كلية التربية - جامعة طنطا

نموذج رقم « ١٧ »

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر الشريف
مجمـع البحـوث الاسـلامية
الادارة العـامة
للبحـوث والتاليف والترجمـة

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation



٣٢-٦

السـيد / د. محمد علي محمد المرصفي

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : تبعيد العلماء عن تقريب الامراء
تاليف : الامام الفقيه المحدث الملا علي بن سلطان محمد القاري
تحقيق : د. محمد علي محمد المرصفي

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسـلامية ولا مانع من طبعـه ونشره على نفقتـكم الخـاصة .

مع التـاكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبـع .

واللـه المـوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

مـدير عـام
البحوث والتـاليف والترجمـة

٩٨/٧/١٢

تحريرا في ١٨ / ٣ / ١٤١٩ هـ
الموافق ١٢ / ٧ / ١٩٩٨ م